الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد (٢١٧) - رجب ١٤١٥هـ (ديسمبر - يناير) ١٩٩٤/١٩٩٥م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE (217) DEC./JAN. 1994 /1995

الإدارة اليابانية: ماذا يميّزها؟

القوارض: طاعون الإنسان والاقتصاد

الوقف عبر العصور

صِقلّية صُوَرٌ وحكايات

تحفة المحتاج لشرح المنهاج

تأليف أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، المتوفى سنة ٩٧٣هـ.

من كتب الفقه الشافعي المشهورة والمتداولة كتاب «منهاج الطالبين» للإمام أبي زكريا محيي الدين النووي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ. ولأهمية هذا الكتاب فقد اعتنى به علماء المذهب الشافعي، ما بين مختصر وشارح وناظم، وقد ذكر حاجي خليفة في (كشف الظنون ٢/١٨٧٣-١٨٧٦) عشرات الكتب التي أُلِفَتْ بشأنه، منها كتاب تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي، الذي شرح الكتاب شرحاً موسعاً في أربعة مجلدات كبيرة، ولأهميته عند العلماء وطلاب العلم فقد انتشر في مختلف أقطار العالم الإسلامي.

وهذه النسخة تمثل الربع الثاني من الكتاب، وتبدأ بكتاب البيع وتنتهي بكتاب الجعالة، وهي نسخة جيدة ونفيسة، وعليها الكثير من الحواشي والتعليقات. كتبت في داغستان سنة ١٢٠٩هـ، ثم قام الناسخ بمقابلة وتصحيح ما كتبه على نسخة أخرى بخط أحد علماء داغستان.



المخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

إعداد: إبراهيم ناجي [illegible]

في العدد القادم:

- «اللغة العربية» لماذا الهجر والغربة؟
  (ملف يحلل الأسباب ويشارك في وصف العلاج)
- انفجار النخبة!
- كيف تخفف من أحزانك؟

رشاد قاضيتش :
من الأدباء المسلمين في البوسنة



د. جمال الدين سيد محمد

من المؤكد أن «رحلة إلهامي إلى الموت» تعد من أشهر، بل من أفضل الأعمال الروائية للكاتب البوسني «رشاد قاضيتش».

ومن الجلي أنه كتبها دفعة واحدة. وهي تبين، على أفضل صورة، إمكانات هذا الأديب وقدراته الإبداعية، بحيث يحزن المرء لأنه لم يُكَرِّسْ كل حياته للرواية وللعمل الروائي.

وهذه الرواية تعد قصة حقيقية عن «عبد الوهاب بن عبد الوهاب الجيبتشاوي إلهامي» الذي عاش حياة العادل. وكان عالمًا فاضلاً من علماء الدين، ويعمل إمامًا وخطيبًا لمسجد «فرهاد باشا». علاوة على ذلك كان متحمسًا وشاعرًا شجاعًا. وكان يؤلف باللغتين التركية والعربية، وبلغته الأم التي كانت تسمى آنذاك «بالبوسنوية». وبالإضافة إلى كتاباته الدينية الملحوظة، فقد ترك عددًا كبيرًا من القصائد التي يعد بها من أغزر الشعراء اليوغسلاف المسلمين إنتاجًا في عصره.

ولد إلهامي وعاش في مدينة «جيبتشه» في فترة متخمة بالطغيان والظلم والرذائل التي كانت منطقة البوسنة ترزح تحت وطأتها، وتنزف خلالها دماؤها. وكان الجلالي، حاكم البوسنة، قاسي الطباع، عديم الشفقة، لا يتردد في اتخاذ قراراته الجائرة، وكان من رأيه أنه لايفل الحديد إلا الحديد، وهذا هو ما فعله، فقد بدأ يستدعي الأعيان المشتبه في أمرهم والقائمين بالعصيان، وانتهى الأمر بأولئك الذين أسعدهم الحظ بالنفي، أما الباقون فقد انتهوا إعدامًا بسيف الجلاد، أوشنقًا.

ظهور الشاعر

ودب الخوف في قلوب الناس في البوسنة. وحينما سئم الجميع من الظلم، ظهر إلهامي الذي ثارت مشاعره بسبب مصير بلاده وأهل بلده، ورفع صوته ضد أولئك الذين اعتبرهم مسؤولين عن المصير السيّئ لمسقط رأسه. وأنشد قصيدته المعروفة باسم «حل زمان غريب».

كان إلهامي مسلمًا صادقًا محبًا للعدالة، وكانت لديه الشجاعة ليندد بالطغيان تنديدًا علنيًا، وأن يقول الحقيقة.

وقصيدة الاحتجاج هذه التي كتبها إلهامي وضعت بصمتها على قدره المؤسف؛ فقد استدعاه الوالي البوسنوي وكان هذا - في الآونة نفسها ووفقًا للتقاليد السارية - يعني صدور حكم بالإعدام عليه. وكان إلهامي يعلم ماذا ينتظره حين استدعاه رئيس مدينة «ماجلاي» وأبلغه بذلك وهو في غاية التأثر، وأفهمه أنه لايستطيع مساعدته، وأن عليه أن يتحرك بنفسه، فهو لايريد أن يطارده أحد لأنه ليس قاتلاً أو قاطع طريق.

وتملك الناس الفزع حينما وصل إلى «جيبتشه» نبأ استدعاء إلهامي إلى مدينة «ترافنيك». وفي أثناء مروره عبر السوق كانوا ينظرون إليه، كما ينظرون إلى أولئك الذين يتم اقتيادهم إلى ساحة الإعدام. ولم يقترب منه أيّ إنسان، ولم يخاطبه أحد. وتظاهر الناس في

رشاد قاضيتش :
من الأدباء المسلمين في البوسنة

السوق بأنهم لايرونه، رغم أنهم جميعًا يشاهدونه ويتابعونه بنظراتهم، لكنهم كانوا ينظرون إليه خلسة من الدكاكين والمقاهي.

في الطريق إلى (الجلالي)

وكان قلب إلهامي يستشعر سبب استدعاء الجلالي له، ويتصور ما ينتظره في «ترافنيك». فعزم على الذهاب إلى الجلالي. وبعدما أخذ أهبته ترك المدينة في عجلة، ولم يلتفت وراءه ولم يسمح لمشاعره بأن تفت في عضده، أو تنال من صلابته في جهاده.

وفي طريقه إلى الجلالي التقى بقطاع الطرق، الذين سرعان ما تركوه لشأنه حينما علموا أنه ذاهب إلى الوالي الذي استدعاه، فقد عرفوا ماذا ينتظره هناك. وحاول قطاع الطرق أن يقنعوه بالبقاء معهم كي يشاركهم أعمالهم، أو على الأقل يُبقي على رأسه بين كتفيه. لكنه رفض وانتقد تصرفاتهم وأفعالهم، وكذلك أفعال الجلالي، وتوقع لهم وللجلالي عاقبة تسبب لهم الندم.

وسبقته أخباره إلى قرية «فراندوك»، وساد الصمت الجميع. ولما دخل إلى مقهى الخان الحافل بالناس اشرأبت أعناقهم إليه، فقد سبقته أخباره على ألسنة التجار وسائقي العربات الذين قدموا إلى الخان. وكان هناك شخصان من بلدته نفسها أسهبا في الحديث عنه.

وأحسن (حمزة أغا) صاحب الخان استقبال إلهامي لأنه كان يعرفه من قبل. وخلال حديثهما حاول حمزة أغا أن يثنيه عن الذهاب إلى الجلالي لأنه لا أحد يجبره على ذلك. واستنكر إلهامي على نفسه أن يختفي أو يهرب من حتفه، فلم تكن تهمه نفسه لأنه أودعها أمانة لدى الله، علاوة على أنه سدد كل ديونه في الدنيا.

وخلال هذه الرحلة الفريدة التقى إلهامي بكثيرين آخرين، وخلال تحاوره معهم كان يتضح لنا مقدار شجاعة إلهامي ونبل أخلاقه وعدم خوفه من الموت، بل لهفته للالتقاء به. وكان إلهامي يريد أن يضع، بأسرع ما يمكن، نهاية لهذه الرحلة الشاقة التي لاقى خلالها معاناة وسقوطًا ونهوضًا وسموًا.

ودخل «ترافنيك»، مدينة الوالي، فوجدها ساكنة صامتة. فمنذ أن جاء الجلالي وسكان مدينة «ترافنيك» يغلقون منازلهم قبيل المغرب، ولم يكن يهبط إلى السوق إلا المضطر، بل لم يكن أحد يخرج من داره. فالخوف يزحف على «ترافنيك» نهارًا وليلاً. ويمر الناس بالقرب من قصر الوالي في وجل وعجلة، وبعينين مشدودتين إلى الأرض. ويتم همسًا داخل المنازل والمحلات ذكر أسماء من جاؤوا بهم ثانية واقتادوهم، وسرد أسماء من انطلقت من أجل إعدامهم المدافع اليوم أو بالأمس، وأسماء أعيان البوسنة الذين احتسوا «الشراب» المسموم. ورغم كل هذا فقد كانت الأخبار الجديدة تصل تباعًا من القلعة، ولم يكن من الممكن إخفاء شيء.

واتجه إلهامي مباشرة إلى قصر الوالي، وسرعان ما تم إرساله إلى القلعة لكي يبيت فيها.. وحين التقى بالجلالي طلب منه الأخير أن يتلو عليه القصيدة التي استُدْعِيَ من أجلها. ثم سأله فيم كان يفكر حينما كتب هذه القصيدة؟ وماذا أراد أن يقول من خلال أبياتها؟. وأجاب إلهامي في شجاعة بأنه فكَّر في الشر والبلاء حينما كتب هذه القصيدة. لقد أنهكت الحروب أهل البوسنة ، وفيها ضاع، ويضيع، كثير من أبنائها، وتهلكهم الأوبئة، والجهالة تسود، والفقر ينتشر، كما أبيدت العدالة، فظهر التمرد وأعمال قطع الطرق، وازدهر الطغيان والارتشاء وسوء الأخلاق. أما أولئك الذين ينبغي أن يكونوا في المقدمة وأن يحددوا ماهية العدالة ويعملوا على نشرها بدءًا برجال الامبراطور والأعيان، وانتهاءً بالعلماء، فهم يتحدثون بشيء، ويفعلون شيئًا مغايرًا، ويفكرون في أنفسهم فحسب، وكل منهم يسرع صوب وجهته دون الالتفات إلى الآخرين، وتحولت البوسنة كلها إلى جرح دام لايلتئم.

واستشاط الجلالي غضبًا وقال له: أنت يا إلهامي انقضضت على الامبراطورية، وقصيدتك الثائرة تنتقل من مدينة إلى مدينة ومن فم إلى فم، وهي أمضى وأشد خطورة من كل سيف. وبالنسبة للامبراطورية وللسلطان فأنت خطير للغاية، مثل أولئك الذين جئت من أجلهم إلى هنا! بل إنك أشد خطورة لأنك نقي ولا تطلب شيئًا لنفسك، ولأن الناس يصدقونك. وعليك أن تندم يا إلهامي، وقل ذلك جهارًا وبيانًا بحيث يسمعك الجميع. قم بسحق القصيدة بمثلها، أنكرْها وحافظ على رأسك وإلا فسيتم إعدامك. سأحزن من أجل ذلك، ولكن الإمبراطورية والسلطان فوق كل شيء بالنسبة لي، ولاتوجد هنا رحمة تجاه أي إنسان.

الموت.. أو النهاية

ولم يهب إلهامي ولم يجبن، وفي رده أكد أنه لافائدة للامبراطورية من دون طمأنينة وسعادة أبنائها. والناس أهم من السلطان ومن الامبراطورية، ولن ينبت شيء طيب وسط الدماء. والإنسان هو أكمل ما خلقه الله وويل لمن يمتهنه.

ويستمر هذا الحوار الذي أجاد الكاتب في إدارته. ويجيب الجلالي: ياإلهامي، لقد حكمت على نفسك بنفسك. إنني حزين من أجلك. إنك أكثر نقاء وشجاعة من جميع أولئك الذين التقيت بهم، لذا فأنا أشفق عليك، ولو ترفقت بك لخدعت نفسي، ولأصبحت أنت قدوة سيئة لكثيرين، لهذا فإنك لن تفلت من الموت.

وفي الختام طلب منه إلهامي أن يكون أكثر رحمة تجاه الناس، لأن الشخص الذي لايملك الرحمة تجاه الآخرين لايستطيع أن يطلبها لنفسه، والرحمة مطلوبة للجميع، وطالبه بقضاء ليلة واحدة مع أولئك التعساء الموجودين في سجن القلعة. كما طلب منه أن يتذكره ويتذكر كلماته حينما يحضره الموت.

وسرعان ماذاع نبأ إعدام إلهامي، وكأن الرياح قد حملته ونشرته فتقبله الناس في خوف وحزن.

جزاء الطاغية

بعد عام تقريبا تسلم الجلالي (فرمانًا) بعزله من ولاية البوسنة، وفي الليلة نفسها ساءت حالته الصحية ووافته منيته. وانتشرت الشائعات على الفور، فمن الناس من يقول إنه تناول السم، ومنهم من يقول إن الندم قد قتله، ومنهم من ذكر أسبابًا أخرى.

ويلاحظ بوجه عام أن الكاتب البوسني «رشاد قاضيتش» يكتب عن آلام الإنسان وكروبه وهمومه

ومصائبه، ويصور، أبدع تصوير، الظلم الذي سحق المسلمين في البوسنة والهرسك، بل تعداهم إلى غيرهم من أتباع الديانات الأخرى تاركًا فيهم آثاره البشعة، وفي كل مرة تكون الآثار أشد عنفًا وقسوة. ولكن لابد من التنويه بأن «رشاد قاضيتش»، ككاتب إسلامي، لايترك شخصياته تضيع بين التردد واليأس، أو تنتهي في مآسٍ سوداء بعد أن فقدت آمالها وروحانياتها وما يقودها إلى بر الأمان.

مع الماضي

وقد استلهم «رشاد قاضيتش» أحداث رواياته من الماضي كما فعل من سبقه من الأدباء، ولكن النقاد يعتبرونه من الأدباء القلائل الذين تحدثوا بأسلوب صادق عن روح المسلم اليوغسلافي، تلك الروح التي انشغلت بفكرة الموت والحياة الأبدية، وكادت أن تنفصل عن الواقع.

ويتميز أسلوب «قاضيتش» بالحوار الجميل والتعبيرات التلقائية، والابتعاد عن القوالب المعروفة في الآداب العالمية، وكان متمسكًا بأسلوبه الخاص المتميز في الكتابة بطريقة يسيرة على الفهم، وبلغة شعبية حبيبة إلى أذن القارئ.

رواياته

ومن أعماله المشهورة رواية «الرسالة الأخيرة لباشيسكي»، وبطلها هو (مولى مصطفى باشيسكي)، وهو كاتب متواضع من مدينة سراييفو، عاش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. ورغم أنه لم يكن عالمًا إلا أنه كان أكثر نضجًا وحكمة من معاصريه. وكان طوال حياته يسجل بنشاط مختلف الأحداث، ويعلق عليها، ثم جمعها في كتابه المشهور «الحوليات»، الذي يعد من أروع ما كتب في الأدب اليوغسلافي في هذا المضمار.

ويستعرض هذا الكتاب أمام القارئ مجموعة من الشخصيات المتباينة ابتداءً من الصوفية الذين وهبوا أنفسهم للأمورالروحية، مرورًا بأصحاب النفوذ الذين فقدوا الإحساس بالآخرين، وانتهاء بالقتلة والعتاة.

وروايته الأخرى «الحاج لويو» تعالج حدثًا من أضخم الأحداث - إن لم يكن أضخمها على الإطلاق - في التاريخ الحديث لمنطقة البوسنة والهرسك وخاصة تاريخ المسلمين في هذه المنطقة، ألا وهو الاحتلال النمساوي الهنغاري للبوسنة والهرسك في عام ١٨٧٨م. وكان هذا الحدث نقطة تحول بارزة في حياة جميع المسلمين آنذاك.

وتعد هذه الرواية في حقيقتها تأريخًا دقيقًا لهذا الحدث، وتبدأ بوصف الاستعدادات السياسية والعسكرية لاحتلال هذه المنطقة بواسطة الامبراطورية النمساوية الهنغارية، وكيف خاض شعب هذه المنطقة دوامة الحرب، وكيف شرع أفراده العزل في مقاومة المحتل المتفوق عليهم عددًا وعدة أضعاف المرات.

وسجل أحد النقاد اليوغسلاف في معرض كتابته عن رواية «الحاج لويو» أن هذا الموقف الدرامي العصيب اكتسب في هذه الرواية سموًا ملحميًا، وبيّن للعالم أجمع القلب الكبير الذي يحمله بين جنباته هذا الشعب الصغير في منطقة البوسنة والهرسك. ونقل الأديب «رشاد قاضيتش» بقلمه المبدع ولغته السلسة وكلماته المعبرة، هذا الحدث الخطير من الواقع المؤلم إلى صفحات روايته الأدبية، وقدم له التفسيرات اللازمة، ودعم كلامه بالوثائق. وهكذا عادت الحياة إلى عام ١٨٧٨م على صفحات هذه الرواية، وعلى يد الأديب اليوغسلافي المسلم «رشاد قاضيتش».

النقاد اعتبروه من الأدباء القلائل الذين تحدثوا بأسلوب صادق عن المسلم البوسني وهمومه

ومن المعروف أن الأديب رشاد كان يكتب الشعر الإسلامي أيضا. فقد كتب قصيدة «المولد الشريف» وهي من قصائد المدح النبوي الشريف وحصل بها على أول جائزة في المسابقة التي أجرتها المشيخة الإسلامية بيوغسلافيا السابقة. وقد لاقت هذه القصيدة قبولاً شعبيًا طيبًا لدى المسلمين اليوغسلاف، وطبعت حتى الآن عشر طبعات، كما تم تسجيلها على اسطوانة. وهكذا دخلت هذه القصيدة كل منزل يوغسلافي مسلم، ووجدت في جميع المناسبات والاحتفالات.

ثم كتب قصيدة أخرى عن شخصية «الغازي خسرو بك»، وعن أعماله الخيرية التي عاشت حتى يومنا هذا، بعد مرور ما يقرب من (٤٥٠) عامًا من إقامتها، شاهدًا على ماقام به هذا الرجل المسلم الذي لايزال يُذكر بالخير حتى الآن. وقد حظيت هذه القصيدة أيضا بعدة طبعات.

وصاغ الأديب والشاعر «رشاد قاضيتش» أيضا قصيدة عن حياة السيدة «فاطمة» بنت النبي عليه الصلاة والسلام. وصاغها بأسلوب عصري قريب إلى القلب والأذن. ولابد في هذا المجال من التنويه بما قام به «رشاد قاضيتش»، بالاشتراك مع الأديب «عليا ناميتاك»، من جمع القصائد الدينية لمسلمي البوسنة والهرسك ونشرها. وقد تم نشر مختارات من هذه القصائد ونبذة عن حياة مؤلفيها.

وبعد، فهذه لمحة وجيزة عن رواية «رحلة إلهامي إلى الموت» للأديب البوسني المسلم «رشاد قاضيتش»، الذي استرعى إليه الأنظاربكتاباته العديدة. وقد أكدت معرفته الجيدة ببيئته التي استلهم منها موضوعاته، كما وضحت ثراء معجمه اللغوي، وأشارت إلى العذوبة التي تميَّز بها حواره البسيط الممتع.

المراجع :

١- عليا إيساكوفيتش، الجواهر - مختارات من أدب المسلمين، زغرب ١٩٧٢م.

٢- د. جمال الدين سيد محمد، الأدب اليوغسلافي المعاصر، الكويت ١٩٨٤م.

٣- أنس دوراكوفيتش، مسارات الآداب اليوغسلافية، صحيفة أوسلوبوجيني، سراييفو في ١٩٨٩/٥/٢٧م، ص١١.

٤- قصص عن الألم والظلم، مجلة النهضة الإسلامية، سراييفو في ٨٩/٩/١٥، ص١٣.

قصة قصيدة

الجبل

لابن خفاجة الأندلسي

عاصم البيطار

قصيدة «الجبل» لابن خفاجة إبراهيم بن أبي الفتح الهوّاري الأندلسي (٤٥٠ - ٥٣٣هـ) لها مَذَاق خاص، فهي لاتصف الجبل كما تراه العين وحسب، بل تُحسُّ فيها بأن الشاعر يصف الجبل كأنه قطعة من نفسه. ويلقي عليه بظلال مشاعره، ومايحمل في وجدانه من الوحشة والكآبة لفراق الأحبّة، وانصرام أيام البهجة والإقبال على مفاتن الدنيا.

ابن خفاجة لوى عنقه عن قصور الملوك وكبار القوم، وشعر أن طبيعة الأندلس المونقة الرائعة هي دنياه، وكان ينادي:

يأهل أندلسٍ لله دركم
ماءٌ وظل وأنهار وأشجارُ
ماجنّة الخلد إلا في دياركم
ولو تَخيّرتُ هذي كنتُ أختارُ
لاتختشوا بعدها أن تدخلوا سقرا
فليس تُدخل بعد الجنّة النارُ

كان لابن خفاجة أصحاب ونَدَامى تحلو باجتماعهم الأيام، وقد غاب الرقيب، ونام عنهم الزمان، غير أن الدنيا لايدوم لها صفاء، ولاتبقي على الود، فقد بدأ الموت ينزل بأصحابه واحداً تلو الآخر وهو لايستطيع له منعاً ولا دفعاً، والتفت فوجد نفسه وحيدا. فاستبدّت به وحشة جعلت الدنيا مظلمة في عينيه، فكأن تغريد الطيور أصبح نواحا، وكأن الأزاهير فقدت سحرها وعطرها، وكأن الدنيا كلها قد أضاعت معناها، فأراد أن يسلوَ همَّه بالأسفار، ومرّ في طريقه بجبل مهيب، قد استقر على بقعةٍ واسعةٍ من الأرض، وعَلَتْ هامتُه حتى خالطت السحب. نظر إلى ذلك الجبل الجبار فأحسّ بأن له قلباً يخفق، وأن له قصة حزينة كقصته، فقد مرّ به أناس كثيرون، وأوى إليه أبرار وأشرار، فاتسع قلبه للجميع، وشهد ولادة دول، وقيام جبابرة، وثورة بحار ثم ماذا؟

«أتى على الكل أمرٌ لامردّ له... فكأن ماكان أضغاث أحلام كما يقول المتنبي:

ومَنْ لم يعشق الدنيا قديما
ولكنْ لاسبيل إلى الوصال
نصيبُك في حياتك من حبيبٍ
نصيبك في منامك من خيال

وقف ابن خفاجة أمام ذلك الجبل المهيب وقفة المعتبر، وكان لايريد أن يصدّق أن تلك الحياة العريضة التي سعد بها قد غدت ذكريات ماضية، ولكنه أدرك الآن أمام وحشة هذا الجبل وكآبته أن سنة الله في الكائنات ماضية، وأن الموت هو الوجه الآخر للحياة، وأن البشير بالفرح هو صورة أولى للناعي الذي يملأ القلوب بالأسى والحزن. يقول المعرّي:

غيرُ مجد في ملّتي واعتقادي
نوحُ باكٍ ولاترنّم شادي
وشبيهٌ صوت النِعيّ إذا قيـ
ـس بصوت البشير في كل نادي

أبكت تِلْكُمُ الحمامة أم غنـ
ـت على فرع غصنها المياد

أجل هذا هو القانون الإلهي.. الجميع راحلون بعضهم إثر بعض، ومانستقبله بالفرحة الغامرة اليوم سنودّعه بالحزن المذيب غدا.

وبعد فإن رائعة ابن خفاجة هذه ترد بصدق على كثير من المستشرقين والنقاد الذين زعموا أن شعراءنا القدامى وصفوا ظاهر الطبيعة ولكنهم لم يستطيعوا الاتحاد بها، وأنهم صدروا في وصفهم عما يرون لاعما يحسون به، فقد رأينا ابن خفاجة يُصغي إلى الجبل بعد أن ألقى عليه مشاعره، فإذا هو واعظ حكيم، وإذا هو في وحشته وتفرّده صورة للشاعر، أو هو والشاعر صورة واحدة لحقيقة الحياة والموت.

يقول ابن خفاجة :

بعيشكَ هل تدري أهُوج الجَنائب — تَخُبّ برحلي أم ظهورُ النجائب

***

وأرْعن طمّاح الذؤابة باذخٍ — يُطاول أعنان السماء بغارب
يسد مهب الريح عن كل وجهة — ويزحم ليلاً شهبه بالمناكب
وقور على ظهر الفلاة كأنه — طوال الليالي مُفْكر في العواقب
يلوث عليه الغيم سود عمائم — لها من وميض البرق حمر ذوائب

***

أصختُ إليه وهو أخرسُ صامت — فحدّثني ليل السُّرى بالعجائب
وقال: ألا كم كنتُ ملجأ قاتل — وموطن أوّاهٍ تبتّل تائب
وكم مرَّ بي مِنْ مُدْلج ومؤوّب — وقال بظلي من مَطيّ وراكب
ولاطم من نُكْبِ الرياح معاطفي — وزاحم من خضر البحار غواربي
فما كان إلا أن طوتهم يدُ الردى — وطارت بهم ريح النوى والنوائب
فما خَفْقُ أيكي غيرُ رجفة أضلع — ولانوح وُرْقي غيرُ صرخة نادب
وماغيَّض السلوان دمعي وإنما — نزفت دموعي في فراق الصواحب
فحتى متى أبقى ويظعن صاحب — أودع منه راحلاً غير آيب
وحتى متى أرعى الكواكب ساهراً — فمن طالع أخرى الليالي وغارب
فرحماكَ يامولاي دعوة ضارع — يمدّ إلى نعماك راحة راغب

***

فأسمعني من وعظه كل عبرة — يترجمها عنه لسان التجارب
فسلَّى بما أبكي، وسرَّى بما شجا — وكان على عهد السُّرى خيرَ صاحب
فقلتُ وقد نكبت عنه لطيّة: — سلامٌ فإنّا من مقيم وذاهب

لمحات عن الحركة التعليمية في منطقة الأحساء (١)

بقلم د. محمد بن عبد اللطيف آل ملحم

ما شهده الآن من حركة ثقافية متنامية في مجال العلوم والآداب في شتى أنحاء المملكة العربية السعودية ليس إلا ثمرة من ثمرات «بذرة خير» غرسها مؤسس هذا الكيان الآمن جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - في «المؤتمر التعليمي» الذي عقده في مكة المكرمة في عام ١٣٤٣هـ، وتعهَّد «البذرة» بالرعاية والسقاية - من بعده - أبناؤه البررة أصحاب الجلالة: سعود، وفيصل، وخالد - رحمهم الله -، ويرعاها اليوم «خادم الحرمين الشريفين» أول وزير للمعارف بديارنا السعودية. ومازالت الغرسةُ كشجرةٍ طيبةٍ، أصلُها ثابتٌ، وفرعُها في السماءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كلَّ حينٍ بإِذْنِ رَبِّهَا.

وفي إطار هذه الحركة الثقافية سأتحدث عن «لمحات» من «حركة تعليمية» في جزء غالٍ من بلادنا الحبيبة في عهد الملك «عبدالعزيز»، هذا مع العلم أن تاريخ هذه الحركة التعليمية لم يُكتب بعد بموضوعية تامة وعلى نحو عام وشامل، وأعني بذلك الجزء «مقاطعة الأحساء» كما كانت تسمى في عهد الملك عبدالعزيز - يرحمه الله -.

الحركة التعليمية في مقاطعة الأحساء في عهد الملك عبدالعزيز، حركة منسية تاريخيًا لا تطبيقيًا في مجال «تأريخ التعليم» في عهد الملك عبدالعزيز.

ولكي أضع تصورًا عامًا لهذه «اللمحات» الحركة لابد لي من استعراضها في «مقدمة» ويليها البيان من خلال أربعة مداخل.

مقدمة

في محاولة مني لمعالجة ما ورد من نقص في تأريخ الحركة التعليمية في عهد الملك عبد العزيز، أود القول إنه، وفيما عدا علاّمة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر - الذي تحدث عن أحداث مهمة في خصوصية التعليم في مقاطعة الأحساء في عهد الملك عبدالعزيز - فإن الذين تناولوا تأريخ هذه الحركة من رجالات التربية والتعليم في منطقة الحجاز وغيرهم، قد قصروها على ما حَدَثَ من نشاط تعليمي وتربوي في منطقة الحجاز فحسب، ولم يتعرضوا لتأريخ الحركة التعليمية في «مقاطعة الأحساء»، مع أن فترات بدء التعليم في غرب المملكة العربية السعودية وشرقها تكاد تكون متقاربةً.

ومن الذين أَرَّخُوا للحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز، وقصروها على منطقة الحجاز - دون أن يَتَعَرَّضُوا لمسار الحركة التعليمية في مقاطعة الأحساء آنذاك اللهم إلا من اقتضاب عابر، وخَلْط بين الأوراق - كل من:

(أ) الأستاذ عبدالله عبدالمجيد بغدادي، صاحب كتاب «الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية، أصولها، جذورها، أولوياتها».

(ب) الدكتور عبدالله سعيد أبو راس والأستاذ بدر



جلالة الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ

الدين الدّيب، صاحبا كتاب: «الملك عبد العزيز والتعليم».

(ج) الدكتور عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش، صاحب بحث: «التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز: نشأته وتطوره».

(د) معالي وزير المعارف السابق الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن حسن آل الشيخ، صاحب كتاب «لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية».

(هـ) الدكتور حمد بن إبراهيم السلوم، صاحب كتاب «الإدارة التعليمية في المملكة العربية السعودية».

ولكي تكون الصورة واضحة فيما يتعلق ببدء حركة التعليم في مقاطعة الأحساء في عهد الملك عبدالعزيز فإنه لابد ـ من الناحية العلمية ـ من استعراض موقف أصحاب هذه الكتب من بدء تلك الحركة، لاسيما أنّها ـ كما سبقَ القولُ ـ قد بدأت بعد فترةٍ قصيرةٍ من بدء حركة التعليم في منطقة الحجاز.

(أ) تعرَّض الأستاذ عبدالله عبدالمجيد بغدادي في كتابه لبدء الحركة التعليمية في الحجاز في شيءٍ من التفصيل، وعلى نحوٍ عامٍ وشامل.

أما فيما يخصّ التعليم في مقاطعة الأحساء ـ ناهيك عن نَجْد ـ فقد اكتفى المؤلفُ بنقل ماذكره الأستاذ خيرالدينَ الزركلي في كتابه «شبه جزيرة العرب في عهد الملك عبدالعزيز» تحت عنوان «التعليم في نجد والمنطقة الشرقية»، وما ذكره الأستاذ «الزركلي» يُقرأ كالتالي:

أما بلاد «نجد»، فعكفت على الدراسات القرآنية والحديثية والفقهية أول الأمر، ولم تُعرف فيها المدارس النظامية الحديثة إلا بعد سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) فافْتُتِحَت في بعض مدنها مدارس تَدَرَّجَ التعليم فيها ببطءٍ لقلة المدرسين أولاً، ولضعف الرغبة يومئذ في الإقبال على طرائق التدريس الحديثة، ولكنها وثبت بعد ذلك، فما دخلت سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) حتى كان في نجد (٨٤) مدرسة زاد طلابها على ثمانية آلاف طالب.

وبعد فهذا ما أمكن الحصول عليه من مادة «سير العلم والتعليم الحديث» في النهضة الحديثة، وهو ـ وإن لم يكن كل ما يراد لنهضة البلاد فإنَّه على ما يظهرُ ـ جلُّ ما بلغته الاستطاعة في ذلك الحين.(١)

(ب) أما كتاب: «الملك عبدالعزيز والتعليم» فهو في الأصل بحثٌ قدمه الأخوة الدكتور أبو راس والأستاذ الديب في «المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز» المنظم تحت رعاية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام ١٤٠٦هـ الموافق عام ١٩٨٥م، وهو كتاب وثائقي مهم عن تاريخ التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، لكن الكتاب لم يتضمن إلا معلومات مقتضبة ـ أو معلومات مختصرة جدًا ـ عن التعليم في مقاطعة الأحساء بصفة خاصة، وعن المنطقة الشرقية بصفة عامة، وهي معلومات ـ على أية حال ـ سابقة على عهد الملكَ عبد العزيز، ولفترات غير متصلة، ولايمكن ـ على هذا الأساس ـ اعتبار كتاب: «الملك عبدالعزيز والتعليم» معطيًا تصورًا عامًا وشاملاً عن الحركة التعليمية في عهد الملك عبدالعزيز.

(ج) وفي بحث: «التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز» الذي قدمه الدكتور عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش للمؤتمر العالمي المشار إليه أعلاه، وجدتُ أنه من النسيج نفسه الذي صنع منه الكتابان المشار إليهما أعلاه، إذ لم يتعرض هو الآخر لتاريخ العملية التعليمية في مقاطعة الأحساء، وإنما ركز اهتمامه على تاريخ العملية التعليمية نفسها في منطقة الحجاز.

(د) ولدى استعراض معالي الشيخ عبدالعزيز بن حسن آل الشيخ وزير المعارف السابق لبدء التعليم في منطقة الحجاز لم يُشِرْ معاليه في كتابه الموسوم بـ «لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية» إلى «مقاطعة الأحساء» بتاتًا، وإن كان قد أشار إلى أسباب تأخُّر بدء التعليم نفسه في «نَجْد»، وكان من هذه الأسباب ـ كما يرى المؤلف ـ الخوفُ من أنْ يَحْمِلَ التعليم الحديث معه ما يتعارض مع العقيدة السلفية التي كانت المنظمة لشؤون الناس، وعلاقاتهم مع غيرهم، ومع أنفسهم. وهذه الأسباب وغيرها التي أوردها المؤلف وجيهة، وقد عبر عنها لدى تعليقه على دور المديرية العامة للمعارف التي أُنْشِئَتْ في «المملكة الحجازية» في عام ١٣٤٤هـ.

(هـ) وتحدث الدكتور السلوم في كتابه عن «الإدارة التعليمية في المملكة العربية السعودية» من

لمحات عن الحركة التعليمية في منطقة الأحساء

منظار تنموي، والكتاب وثائقي مهم، ولما تناول أحوال التربية والتعليم في المنطقة الشرقية خَلَطَ الدكتور السَّلوم في كتابه بين اسم المنطقة الشرقية واسم مقاطعة الأحساء، والاسم الأخير سابقٌ من الناحية الإدارية، والتاريخية، والقانونية على اسم المنطقة الشرقية، وعلى هذا الأساس لم يتعرض لأحوال التعليم في مقاطعة الأحساء كُلِّيةً، واعْتَبَرَ بداية انطلاقة التعليم بشرق المملكة العربية السعودية في مدينة الدمام وذلك على اعتبار أن تلك المدينة هي مقر إمارة المنطقة الشرقية ، وهذا وضعٌ - من الناحية التاريخية، والإدارية، والقانونية - غير صحيح، إذ إن مدينة الدمام - منذ أن كانت قرية صغيرة - كانت تابعة لإمارة منطقة الأحساء التي كان مقرها مدينة الهفوف منذ عام ١٣٣١هـ، وحتى شهر رجب من عام ١٣٧٤هـ، وبعد هذا التاريخ (أي خلال عام ١٣٧٤هـ) انتقلت الإمارة من مدينة الهفوف حاضرة مقاطعة الأحساء إلى مدينة الدمام التي أصبحت منذ ذلك التاريخ حاضرة المنطقة الشرقية التي تضم الآن محافظة الأحساء بما فيها من مدن وقرى وهجر بعد حذف صفة المقاطعة عنها.

إن ما فعله الدكتور السلوم إنما هو تتبع تاريخي غير صحيح لأوضاع المنطقة الشرقية في عهد الملك عبدالعزيز في مجال التعليم.

ولم أجد بعد البحث والتقصي - في عالم الثقافة الثَّرِّ في مقاطعة الأحساء وحتى الآن - مَنْ أخذ زمام المبادرة ليتحدث عن تاريخ - أو قصة - الحركة التعليمية في مقاطعة الأحساء في عهد الملك عبدالعزيز في موضوعية مجردة، وذلك من خلال الدور العظيم الذي أدته مدرسة الأحساء الابتدائية في تلك الحركة، يستوي في ذلك من رَضَعَ العلمَ بهذه المدرسة، أو من حاول - مجتهدا - أن يتحدثَ عنها عن طريق السماع، أو النقل، وكل ما قرأته مما كُتب عنها لم أجد فيه لذة المعاصرة، بل كل ما قرأتُهُ مما كُتبَ عنها كان ذا طابع عابر أو وصفي، ولم يُوَثَّقْ - بكل دقة - أوضاع هذه المدرسة «العملاقة» حينما كانت في ذُروة مجدها، بل يشوبُ ما كتب عنها، وعن مسيرة التعليم في مقاطعة الأحساء وسائر مدنها وقراها وهجرها - بصفة عامة - بعض الأخطاء.

وعلى الرغم مما ذكرته أعلاه لابد من التنويه بالجهد القيم الذي بذله كل من: المدرس المصري في مدرسة الأحساء الثانوية الأستاذ محمد علي كمال الدين بالنسبة لمقالته: قصة التعليم في الأحساء،(٢) والدكتور عبدالله بن ناصر السبيعي في كتابه: «الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية»، والأستاذ عبداللطيف بن عثمان الملا في كتابه «لمحات عن الحياة التعليمية بالأحساء» إذ اهتموا بالكتابة - وفق المعلومات المتاحة لديهم - عن بدايات حركة التعليم في مقاطعة الأحساء، وملاحظتي على ما دوَّنه هؤلاء الأخوة عن تاريخ حركة التعليم في مقاطعة الأحساء في عهد الملك عبدالعزيز أنهم لم يُوفُّوا هذه الحركة التعليمية حقها من حيث الدراسة، والبحث، وتأريخ دورها المهم في تأريخ التعليم في عهد الملك عبد العزيز.

المدخل الأول

جرت محاولات فردية وحكومية لبدء التعليم في مقاطعة الأحساء. وكانت المحاولة الأولى للشيخ حمد بن محمد النعيم الذي رغب - يرحمه الله - في محاربة الأمية المتفشية عن طريق نشر التعليم بين أقاربه، وأصدقائه، والساكنين حوله.

وأنشأ الشيخ حمد النعيم رائد التعليم الأول في مقاطعة الأحساء - بمحض إرادته - في عام ١٣٤٣هـ، في منزله الكائن في فريق آل ملحم في حي النعاثل أحد أحياء مدينة الهفوف، مدرسة أهلية أطلق عليها اسم مدرسة النجاح.

وتزامن افتتاح مدرسة النجاح مع توجهات الحكومة الرامية إلى تعليم الناشئة وتربيتها، وكان نواة هذه التوجهات الاجتماع التعليمي الذي عقده جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - في شهر جمادى الأولى من عام ١٣٤٣هـ في مكة المكرمة، وهو الاجتماع الذي حث جلالته فيه العلماء على نشر العلم، والتعليم، والتوسع فيه.(٣)

وانطلاقا من توجيهات هذا المؤتمر افتتحت الحكومة أول معهد علمي سعودي على المستوى الثانوي في مكة المكرمة في عام ١٣٤٥هـ - أي بعد سنتين لا أكثر من دخول جلالة الملك عبد العزيز إلى الحجاز، وبعد اثني عشر عامًا من استرداده الأحساء - وتعثر المعهد في سنته الأولى، وقفل بصفة مؤقتة. وفي عام ١٣٤٧هـ افتتح هذا المعهد - بعد تنظيم أوضاعه - على أسس متينة.(٤)

وفي عام ١٣٤٨هـ قام «ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها» الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - بزيارة تفقدية جريًا على عادته كل عام لمقاطعة الأحساء، وأثناء إقامته فيها دعته أسرة القصيبي لزيارة مدرسة النجاح الأهلية فلبى جلالته الدعوة، وزار المدرسة حيث رحب به طلابها في حفل بهيج ألقيت فيه كلمات ترحيبية، وقصائد، وأناشيد نالت استحسان جلالته، ومن هذه القصائد قصيدة ألقاها الطالب عبداللطيف بن حمد النعيم أحد أبناء مؤسس مدرسة النجاح الخالدة الذكر، والقصيدة من تحبير الشاعر الأحسائي أحمد بن علي بن مشرف، ومن أبيات هذه القصيدة:-

بَقَاؤُكَ فِيمَا بَيْنَنَا مِنَّةُ الدَّهْرِ
نُقَابِلُهُ بِالحَمْدِ للهِ، والشُّكْرِ
تَرَائِيكَ لَمَّا أَنْ رَأَتْكَ عُيُونُنَا
تَرَائِي هلاَلِ العيدِ في لَيْلَةِ الفِطْرِ

ولقد أعجب جلالة الملك عبدالعزيز بالحفل، وما ألقي به من قصائد وكلمات ترحيبية، ومنح جلالته جوائز لطلاب المدرسة.(٥)

وغادر جلالة الملك مقاطعة الأحساء عائدًا إلى الرياض ومن ثم إلى مكة المكرمة حيث أصدر أوامره إلى الشيخ محمد أمين إبراهيم فودة بافتتاح مدرسة ابتدائية بمدينة الهفوف، حاضرة مقاطعة الأحساء. وكان الشيخ محمد إبراهيم فودة قد تولى مديرية المعارف العامة في ٢٥ صفر عام ١٣٤٩هـ، وذلك بعد نقل مديرها العام الشيخ حافظ وهبة إلى وزارة الخارجية في وظيفة سفير المملكة العربية السعودية لدى بريطانيا.

ويقول الأستاذ عمر عبدالجبار في كتابه «سير وتراجم» عن محمد فودة أن والده - أي والد فودة - قد عني بتربيته، وأنه تلقى العلم من علماء عصره في مكة المكرمة حتى أصبح فقيهًا، واسع الاطلاع، صحيح العقيدة، قوي الإيمان.

أوفد الشيخ محمد فودة إلى مقاطعة الأحساء في عام ١٣٥٠هـ رجلاً ذا كفاءة هو الأستاذ راغب القباني مع مدرسين آخرين للقيام بمهمة بدء التعليم فيها. وفتح هذا الرجل مدرسة ابتدائية بشارع الخباز القريب من سوق مدينة الهفوف القديم من جهته الشرقية، ولم يحالف التوفيق هذه المدرسة، بل وئدت في مهدها،

وولدت ميتة.

وعن فشل هذه المحاولة يروي أستاذي الجليل الذي درسني في مدرسة الأحساءالابتدائية - والقاضي فيما بعد - الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن المبارك (في مقابلة معه) عندما سئل عما إذا كانت قد وُجدت معارضة عند افتتاح مدرسة شارع الخباز في مدينة الهفوف، وكيف تقبل الأهالي فكرة افتتاح المدرسة؟ أجاب بما يلي:

نعم وُجدت معارضة شديدة حيث إن أول من جاء منتدبًا لافتتاح التعليم شخص يدعى عبد الجليل، ومعه شخص آخر.. ولكنهما لم يفلحا في ذلك، وعادا من حيث أتيا إذ لم يجدا تقبلاً من الأهالي.. لأن المدارس عندما افتتحت في «البحرين» كانت من قبل حكومات استعمارية.. بينما المدرسة التي أتى عبدالجليل لافتتاحها هي من قبل حكومة إسلامية عادلة.. ولكن اعتقدوا أنها مشابهة وذلك لجهل عند البعض منهم..

وكان أحد الذين أتوا قد تقدم يوم الجمعة يخطب في الناس وقال لهم: إن جلالة الملك عبدالعزيز بعثنا لننفخ فيكم روح العلم.. فقام عليه الناس ورجموه بالحجارة.. وتلافى الأمر عبدالله بن حواس - يرحمه الله -، وضمه إليه، وأخرجه من الجموع الثائرة، ثم سافر من حيث أتى.(٦)

وتعاطفت جريدة «صوت الحجاز» في عددها رقم ١١ الصادر في ١٥ صفر الخير عام ١٣٥١هـ مع موقف مدير المدرسة الأستاذ راغب القباني، ولم يسعد الجريدة المصير الذي انتهت إليه مدرسته، وكالت مر النقد لمن وقفوا ضدها. وهكذا كانت فترات بدء التعليم في كل من الحجاز والأحساء متقاربة.

ففي الحجاز - أو مكة المكرمة على وجه الدقة -، بدأ التعليم بإعادة افتتاح «المعهد العلمي السعودي» بعد ترتيب أوضاعه في عام ١٣٤٧هـ، وبعد افتتاح المعهد بثلاث سنوات - أي في عام ١٣٥٠هـ - رأت الحكومة - في عهد السيد محمد أمين فودة مدير المعارف العامة - أن تشرع في تأسيس مدرسة ابتدائية لنشر التعليم في مقاطعة الأحساء قبل أن تؤسس بها مديرية عامة للمعارف، وفتحت المدرسة، ولكنها وئدت في مهدها للأسباب التي تطرقتُ إليها سلفا.

وظلت الأحساء محرومة - بل ظل جيل أحسائي بكامله محروماً - من نعمة التعليم لمدة ست سنوات متصلة، أي من عام ١٣٥٠هـ وحتى عام ١٣٥٦هـ، وذلك بسبب وأد مدرسة شارع الخباز الحكومية في مهدها. ولو استمرت مدرسة شارع الخباز بعد افتتاحها في عام ١٣٥٠هـ لتمكنت من تخريج جيل أحسائي مثقف كان في إمكانه - بعد تخرجه في المدرسة - الالتحاق بمرافق الحكومة في مقاطعة الأحساء، وفي شتى مرافق الحكومة الأخرى بمختلف أنحاء المملكة العربية السعودية.

إن ما أقوله ردد صداه الأستاذ أحمد محمد جمال - يرحمه الله - بالنسبة للمعهد العلمي السعودي الذي أعيد افتتاحه في مكة المكرمة في عام ١٣٤٧هـ، أي قبل ثلاث سنوات من افتتاح مدرسة شارع الخباز المقبورة بمدينة الهفوف - حاضرة مقاطعة الأحساء.

ذكر الأستاذ أحمد محمد جمال في كتابه «ماذا في الحجاز؟» عن المعهد العلمي السعودي أنه كان أول مؤسسة تعليمية سعودية في تأريخ المملكة العربية السعودية، وأن أكثر الشباب الحجازي المثقف اليوم من ثمرات المعهد اليانعة، والمطردة النمو.

ونظرا لكون بدايات التعليم في عهد الملك عبدالعزيز في كل من منطقة الحجاز ومقاطعة الأحساء



د. حمد السلوم

تكاد تكون متقاربة من الناحية الزمنية فمن اللازم تقرير ما يلي: من يقصر الحديث عن التعليم في عهد الملك عبدالعزيز على منطقة الحجاز يرتكب خطأ تاريخياً من الصعب التغاضي عنه. هذا ما أراه، ولديَّ مصنفات سبق التنويه عن عناوين بعضها تُتَدَاوَلُ الآن في دور العلم والجامعات والمدارس، وتحتوي على معلومات مفادها أن التعليم في عهد الملك عبد العزيز كان مقصوراً على ما تم من نشاط تعليمي في منطقة الحجاز فحسب وعلى اعتبار أن ذلك من الحقائق التاريخية المسلم بها.

لابد من تصحيح هذا الخطأ التاريخي تخليداً لذكرى رجال تربية وتعليم بذلوا جهوداً في الحركة التعليمية في عهد الملك عبدالعزيز في الجزء المطل كالعروس على ضفاف الخليج العربي من ديارنا السعودية.

إن إهمال تأريخ الحركة التعليمية في مقاطعة الأحساء في عهد الملك عبدالعزيز فيه إنكار لجهود رجال تربية وتعليم من أهالي الأحساء ونجد والحجاز، تَوَفَّى الله بعضهم، وبعضهم الآخر لايزال على قيد الحياة.

إن أنماط التعليم في مقاطعة الأحساء في عهد الملك عبدالعزيز - كما سنرى فيما بعد - قد سارت على منوال ماتم في منطقة الحجاز سواء بالنسبة لسير العملية التعليمية، أو بالنسبة للأجهزة المشرفة على العملية التربوية، والتعليمية، والثقافية.

ولتفصيل ما أجملته، ولكي أتحدث عن الإدارات والهيئات أو المجالس في مقاطعة الأحساء، لابد لي من التذكير، في اختصار شديد، بما تم في منطقة الحجاز وذلك تأسيسا على أن ما تم في مقاطعة الأحساء لم يأت من فراغ، بل تم من النسيج نفسه الذي أخذت الحكومة السعودية على عاتقها تبنيه في منطقة الحجاز.

في اليوم الثامن من شهر رمضان من عام ١٣٤٤هـ أنشأت الحكومة السعودية - ولأول مرة - إدارة خاصة لرعاية شؤون التربية والتعليم في المملكة الحجازية، وأطلقت عليها مديرية المعارف العامة، وكان أول من تولاها الشيخ صالح بكر شطا.

ومن ثم صدرت في عام ١٣٤٥هـ التعليمات الأساسية لنظام الحكم والإدارة، ونصت المادة الثالثة والعشرون منه على تنظيم أمور المعارف العمومية.

وفي ١٣٤٦/١/٢٧هـ صدر أمر ملكي بتأسيس مجلس المعارف في مكة المكرمة، وحدد الأمر الملكي صلاحية المجلس ، وكان رئيس المجلس - آنذاك - السيد صالح بكر شطا.

إنَّ ماتم بشأن إنشاء مديرية للمعارف، وكذلك إنشاء مجلس للمعارف في المملكة الحجازية، وتسمية أعضائه قد انعكس بصورة مباشرة على أوضاع التعليم التربوية، والثقافية في مقاطعة الأحساء إذ تم في هذه المقاطعة إحداث معتمدية للمعارف في عام ١٣٥٥هـ - أي بعد إحدى عشرة سنة من إنشاء مديرية المعارف في الحجاز - ورُشح الشيخ عبدالله عبدالرحيم قاضي رئيس أموال الأحساءوتوابعها من قبل النائب العام لجلالة الملك عبدالعزيز في الحجاز في وظيفة «معتمد تعليم منطقة الأحساء».

وصدر قرار رسمي برقم ٢٣ في عام ١٣٥٥هـ من قبل مجلس الوكلاء في مكة المكرمة على إثر إحداث معتمدية تعليم في منطقة الأحساء، وتضمن القرار في فقرته السادسة الأمر بتأسيس مدارس في: الأحساء،

لمحات عن الحركة التعليمية في منطقة الأحساء

والقطيف، والجبيل، وشقراء، وبريدة، وعنيزة، وحائل، والرياض. على أن تقوم المديرية العامة للمعارف في مكة المكرمة بوضع النظام، ورصد الميزانية اللازمة عن طريق أخذ قرش واحد من الوارد والصادر من ميناء العقير في مقاطعة الأحساء لينفق منه على المدارس المذكورة.

وعلى إثر هذا القرار صدرت تعليمات المديرية العامة للمعارف في مكة المكرمة بربط مدارس نجد والقصيم بمعتمدية تعليم منطقة الأحساء من الناحية الإدارية والمالية.

وفي عام ١٣٥٥هـ جرت محاولة ثانية من قبل الحكومة لبدء التعليم في الأحساء، وهي محاولة كتب لها النجاح، وكان ذلك في عهد الشيخ محمد طاهر سعيد الدباغ الذي تولى إدارة المعارف العامة في عام ١٣٥٥هـ، وعرف عن السيد الدباغ حبه للعلم، وتفانيه في سبيل نشره. يقول الأستاذ عمر عبدالجبار عنه بأنه ما فتئ منذ أن شب عن الطوق وهو يقدم لبلاده أثوابًا قشيبةً من العلم، والمعرفة، والمجد في تواضع، ونزاهة، وعلو نفس، وهمة، ونشاط متواصل.(٧)

قال الأستاذ محمد علي مغربي عن الشيخ محمد طاهر الدباغ بأن له فضل السبق في نشر المدارس في شتى أنحاء المملكة العربية السعودية، وقد لقي في سبيل نشر المدارس دعمًا وتشجيعًا من لدن جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - يرحمه الله -.(٨)

وفي عام ١٣٥٥هـ أرسل السيد محمد طاهر الدباغ مدير المعارف العامة الأستاذ محمد علي النحاس إلى مقاطعة الأحساء للقيام بمهمة بدء التعليم فيها، فوصل إلى مدينة الهفوف، وعلى الفور تعرف إلى كل من: الأستاذ عبدالله عبدالرحيم قاضي رئيس أموال الأحساء وتوابعها، ومعتمد التعليم المرشح بها، والشيخ محمد بن حمد النعيم الموظف في مالية الأحساء، والابن الأكبر لمؤسس مدرسة النجاح الأهلية، وأفادهما عن مهمته العلمية فتعاطفا معه وقدماه لأعيان الأحساء ومشائخها حيث أُخْبِرُوا بالمهمة التي قدم الأستاذ «النحاس» إلى هذه الديار من أجلها، فاستحسنوها، وهكذا تمكن الأستاذ النحاس - دون عوائق - من البدء في تأسيس أول مدرسة ابتدائية في مقاطعة الأحساء.

وفي ثناء عاطر من الشيخ حمد الجاسر على جهود الأستاذ النحاس قال: «غالب الأستاذ النحاس ما يعترضه من صعوبات، وسار بمدرسته سيرًا - وإن كان يعتوره النقص من بعض النواحي - إلا أنه بلغ غايةً حسنةً، إذ أظهر شيئًا من أثر التعليم صار فيما بعد حافزًا للأهالي على الإقبال على المدرسة...»(٩)

وكان عام ١٣٥٩هـ عامًا حاسمًا، إذ صدرت فيه أول ميزانية للديار السعودية - حسب علمي - بعد ثمان سنوات من توحيد مقاطعاتها تحت اسم «المملكة العربية السعودية» في عام ١٣٥١هـ. وكان اسم الميزانية «موازنة مقاطعة الأحساء»، وصدر بهذه الميزانية المرسوم الملكي رقم ١/٦/٢٩ وتاريخ ١٠ شعبان من عام ١٣٥٩هـ.



أحمد محمد جمال

وتضمن الفصل التاسع من فصول الموازنة «موازنة المعارف»، وجاء بهذه الموازنة أن مرتب معتمد أو مدير المعارف الشهري (١٥٠٠) قرش سعودي، ومرتب مدير المدرسة (٩٠٠) قرش سعودي، وكانت مرتبات المعلمين، وهم ثلاث فئات، تتراوح من (٤٠٠) إلى (٩٠٠) قرش سعودي، ومرتب الكاتب الشهري (٦٠٠) قرش سعودي، وكانت مرتبات البوابين تتراوح من (١٥٠ إلى ٢٠٠) قرش سعودي.

وكانت المدارس المربوطة بـ «معتمدية تعليم مقاطعة الأحساء» - كما وردت في الموازنة - هي مدارس: الأحساء، والمبرز، والحفر، والجبيل، والدمام، والمجمعة، وبريدة، وعنيزة، وحائل، وشقراء، والرياض، فيما عدا «مدرسة الأمراء».

وشُكِّلَ في مقاطعة الأحساء مجلس سُمِّي بـ «مجلس المعارف بالأحساء» في أواخر عام ١٣٥٩هـ على نمط مجلس المعارف بـ «الحجاز»، وكان ذلك في عهد الأستاذ محمد علي النحاس الذي كان وقتها مديرا لـ «مدرسة الأحساء الابتدائية»، ومعتمدا للمعارف بها، وكان تشكيل المجلس برئاسة قاضي بلدة المبرز الشيخ محمد بن عبد الله آل عبدالقادر.

وفي عام ١٣٦٥هـ أصدر مدير المعارف العامة بـ «المملكة العربية السعودية» الشيخ محمد بن مانع قرارا بإلغاء مجلس المعارف بالأحساء، وتشكيل مجلس جديد يحل محله تحت اسم «هيئة المعارف بالأحساء» برئاسة السيد محمد بن سليمان الغنيم.

وكانت مهمات مجلس المعارف بالأحساء، ومن ثم هيئة المعارف بالأحساء التي حلت محله، مهمات من طبيعة آمره، وهي على نمط مهمات مجلس المعارف في الحجاز.

واتخذت الأجهزة الإدارية والتعليمية في معتمدية التعليم بمقاطعة الأحساء - منذ بدايات الستينيات من القرن الهجري الماضي - أنماط التعليم في منطقة الحجاز مثالا يحتذى لها، ومن ثم استقلت عنها، وسبب هذه الاستقلالية إحداث معتمدية للتعليم بمنطقة الأحساء نظرا لعدم قدرة مديرية المعارف في الحجاز على الإشراف الدقيق والمباشر على سير حركة التعليم في مقاطعة الأحساء، لبعد المسافة بين شرق المملكة وغربها، ولصعوبة المواصلات والاتصالات.

(للحديث بقية) .

الهوامش :

(١) راجع بغدادي، جزء١، ص٢٥٦، وراجع كذلك خير الدين الزِّرِكْلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، جزء٢، ص٦٤٥، ط أبريل ١٩٨٥م.
(٢) راجع محمد علي كمال الدين، قصة التعليم في الأحساء، في دليل «المدرسة الثانوية بالأحساء تقدم ألوانًا من النشاط المدرسي» لعامها ١٣٧٧هـ، ص٣٨ - ٤٠، دار الفكر الحديث للطبع والنشر، القاهرة، مصر، ١٣٧٨هـ.
(٣) د. أبو راس وبدر الدين الديب، مرجع سابق، ص٢٤٧.
(٤) راجع الهامش السابق، ص١٥٣-١٥٨.
(٥) راجع جريدة «الجزيرة» العدد رقم ٥٩٨٦ وتاريخ ١٤٠٩/٧/١١هـ.
(٦) راجع جريدة «اليوم» ص١٢، العدد (٣٦٧٢) الصادر في ١٤٠٣/٤/٢٢هـ.
(٧) عمر عبدالجبار، سير وتراجم، ط٢، ١٤٠٣هـ، الكتاب العربي السعودي، ص٢٨٢
(٨) راجع محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، ص٢٧٣ و ٢٧٥، الكتاب العربي السعودي(٣٠)، ط١، تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية.
(٩) راجع الجاسر، «التعليم في الأحساء»، ص١٥٢، مجلة اليمامة، العددان الثالث والرابع، السنة الثانية، الربيعان ١٣٧٤هـ.

دراسة مقارنة في النقد الأدبي

الرمزية

في القصة القصيرة العربية

د. توفيق علي منصور

يُعنَى الأدب المقارن بدراسة تأثر الأدب في بلد ما بالآداب الأخرى وتأثيره فيها. وفي أدبنا العربي نجد حركة الأدب قوية فعالة مؤثرة في الآداب الأخرى في نزعته الرومانسية في القرن التاسع الميلادي، وخاصة في بلاد الأندلس، حيث أثّر الفكر الإسلاميّ المستنير في الفكر الأوربي المسيحي في عصور الظلام، فأخرجه من الظلمات إلى النور، وكان مؤذنا بعصر النهضة الأوروبية.

وظل الأدب الغربي يتطور حتى بز أستاذه ومعلمه الأدب العربي، ومالبث أن ظهرت فيه حركات أو نزعات أدبية متنوعة، منها النزعة الكلاسيكية والرومانتيكية والطبيعية والرمزية والتعبيرية إلى غير ذلك من النزعات والحركات الأدبية القديمة والوسيطة والمعاصرة(١).

وعرف العالم أجناسا أدبية جديدة بخلاف ماتعارف عليه الأدب القديم من شعر الملحمة وشعر الابتهال والمسرحية والنشيد. فخرجت المسرحية الغنائية ثم المغناة (الأوبريت) والأوبرا ودُبجت القصص والروايات وخضع كل هذا للنقد الأدبي الذي اشتهر به أفلاطون (٤٢٨ - ٣٤٧ ق.م) وتلميذه أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٩ ق.م) وغيرهما. وأخيرا صغر حجم المسرحية فولدت المسرحية ذات الفصل الواحد، وصغر حجم الرواية فولدت القصة القصيرة. وعرفهما العالم العربي مؤخرا نقلا عن العالم الغربي. وصار كل منهما يتأثر بعوامل كثيرة، منها ظروف المعيشة واللغة والدين وتطور الفكر، وتأثر الأجناس الأدبية بعضها ببعض، وهو مايسمى بالأدب المقارن.

والرمزية حركة أدبية حدد معالمها موليير Moliere (١٦٢٢ - ١٦٧٣م) شاعر فرنسا العظيم، ثم أبرزها من بعده ستيفان مالارمي Stephane Mallarme (١٨٤٢ - ١٨٩٨م) وانتشرت من بعدهما في ربوع أوربا وأمريكا، كما يقول الناقد الإنجليزي المعروف ريني ويليك Rene Wellek في معجم تاريخ الفكر، المجلد الرابع، ص ٣٣٧ - ٣٤٥(٢).

والواقع أن الرمزية قبل أن تظهر كحركة أدبية، تعتبر نزعة قديمة مارسها هوميروس Homer (القرن التاسع والثامن ق.م) وفيرجيل Virgil (٧٠ - ١٧ ق.م) وأوفيد Ovid (٧٣ - ١٧ ق.م) وشاتنوس (٤٠ - ٩٦م) في كتاباتهم الملحمية. وسار على دربهم دانتي اليجيبري (١٢٦٥ - ١٣٢١م) ووليم شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦م) وجوته (١٦٠٤ - ١٦٦٨م) وشيللر (١٧٥٩ - ١٨٠٥م) كما يقول جون ماك كوين John Mc Qween في سلسلة المصطلحات النقدية: الرمز(٣).

والكتب السماوية التوراة والإنجيل والقرآن ممتلئة بالمواعظ والحكم والقصص الرمزي. وتعني الرمزية هنا بإيجاز "أن يعبر الجزء عن الكل". فالألوان والأشكال والنفحات والكلمات والمظاهر عامة تعتبر رموزا لأفكار معينة في عالم الكون والطبيعة والروح والحقيقة الإلهية. "فالطبيعة بأسرها كناية عن العقل البشري" كما يعتقد ساموئيل تيلور كولريدج (١٧٧٢ - ١٨٣٤م) وتوماس كارليل (١٧٩٥ - ١٨٨١م).

ويعتقد ستيفان مالارمي الذي توفي في عام ١٨٩٨م قبل أن تنتشر حركته الرمزية أن القيم الجمالية في الأدب لاترتكز على الرمز فحسب، بل ترتكز أساسا على اللغة الشعرية الخاصة التي تحرك المشاعر، وتوحي بمفعول السحر بسر الكون الغامض وبالفكر وبالهدوء. فالأدب في نظره غامض ومحسوس وليس ملموسات، ويجب أن يحرك في ظل هذا المفهوم المشاعر الكامنة، وأن يكون لمّاحا وليس مباشرا. وما الرمز إلا إحدى الوسائل لتحقيق هذا الهدف. وهذا المفهوم الجمالي هو الذي ظل يحرك الأدب الفرنسي حتى أصبح أحد شعاراته الجمالية(٤).

ومن فرنسا انتشرت الحركة الرمزية في الولايات المتحدة على يد والاس ستيفنز وهارت كرين، وفي بريطانيا على يد و.ب. ييس (١٨٦٥ - ١٩٣٩م) واليوت (١٨٨٨ - ١٩٦٥م) وفي ألمانيا على يد جورج وبيلك وهوفمان شتاهل، وفي روسيا على يد بلوك وايفانوف وبيلي، وفي إسبانيا وأمريكا اللاتينية على يد داريو وماكادو وجيلين.

وانتقلت الرمزية إلى الأدب العربي عن طريق توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف إدريس وغيرهم من كتاب المسرح والرواية. وهناك من كتاب القصة القصيرة من يمزج حبكته الدرامية بالرمزية، فتخرج القصة أشبه بالقصيدة الشعرية تفوح رمزية وتضوع قيما جمالية.

وحسبي أن أتناول ثلاث قصص قصيرة قرأتها في العددين ١٢٩ - ١٣٠ من ملحق جريدة المدينة المنورة، الذي يصدر يوم الأربعاء بعنوان الأربعاء.

وأول هذه القصص القصيرة "أخطاء صغيرة" بقلم

الرمزية
في القصة القصيرة العربية

الأستاذ. غالب حمزة أبوالفرج، وثانيتها "لماذا؟" بقلم الدكتور فاضل مشالي، وثالثها "الرحيل" بقلم السيدة نفيسة مصطفى شرقاوي "أم أحمد".

ففي القصة الأولى يروي القاص بأسلوب السرد المباشر الذي يشبه أسلوب التقرير الصحفي أكثر منه أسلوب الأدب القصصي مشهدا على شاطيء البحر بالقرب من جدة. وبطل هذا المشهد زوج يحاور زوجته دون أن يهتم الكاتب بذكر اسم لهما أو إيراد وصف يميزهما، ومن حولهما أطفالهما يلهون ويلعبون. وهو يقرأ ورقة. يدور الحديث والحبكة القصصية حول هذه الورقة. فقد كان الزوج متزوجا من زوجة سابقة بينما كانت زوجته الحالية تعيش مع والدها مدير البعثة السعودية في القاهرة، وتقول الزوجة الحالية وقد رأت الورقة في يده:

ـ لكنني أحمد الله أنا وجدنا هذه القصاصة وإلا من يدري من سيقرأ حكايتنا معا.

ويستطرد الراوية في سرد روايته فيقول:

ـ سنوات طويلة مضت عليه وهو مع هذه المرأة التي ظهر أنه يمكن أن يظل يحبها حتى النهاية، لكن فأله قد خاب.. فكثيرا مايتلاشى بريق الحب ولايبقى من الماضي سوى قصاصة ورق كتبها الإنسان في أيام حياته وشبابه. نظر إلى زوجته مرة أخرى ولم يضحك هذه المرة وقال: أوتظنين أنك قادرة على أن تكتبي مثلها بعد كل هذه السنوات؟؟(٥).

ويذكر أن الفراغ اجتاح قلبه. وككل رجل اتفق مع صديقة على أن (يتزوج) حتى إذا مااقترن بالجديدة رأى أنها هي الأخرى لاتصلح له فتركها بلا أسف.

ويعيد الزوج النظر إلى زوجته ويقول:

ـ ولماذا لم تقولي لي بأنك عرفت؟ ولماذا أقول مادمت تركتها. كنت أعرف أنها زوجة، يعني زوجة طارئة، لكنني وحتى بعد أن ذهبت تلك المسكينة لحالها لم تعودي ثانية إلى ماكنت عليه. لماذا؟

ثم يختتم الكاتب قصته بالموعظة التالية:

تذكر يازوجي الحبيب أننا زوجان، وأن أخطاءنا نحن الاثنين مادامت صغيرة فهي لاشيء مثل ملح الطعام لاذوق للأكل بدونه.

وعندما نضع هذه القصة في ميزان النقد الأدبي، ونقيسها بمقياس ستيفان مالارمي رائد الرمزية في الأدب الفرنسي نجد أن مؤلف هذه القصة القصيرة الأستاذ غالب حمزة أبوالفرج يناقض تماما أسلوب الأدب الفرنسي الذي يبرز القيم الجمالية بأسلوب اللغة الشعرية التي تحرك المشاعر وتوحي بالفكر والهدوء بالتشبيهات والاستعارات والكنايات والرمز والتلميح والمقابلة وغيرها من العبارات البلاغية التي تثير في النفس الإحساس بالجمال.

فالحبكة القصصية في "أخطاء صغيرة" ـ إن وجدت فيها حبكة ـ لاتثير المتعة أو الهدوء في نفس القارئ. وأسلوب السرد المباشر الذي يخلو من الرمز أو الأسطورة أو ازدواج الحبكة بحيث يدعم أحدها الآخر ويلقي عليه الظلال، لايثير أسلوب الرد المباشر هذا في النفس مثلما يثير الأسلوب الشعري المفعم بالرمزية والصور البلاغية والأحداث المتراكمة، ومثلما يثيره كاتب القصة القصيرة التالية في نفس العدد من المجلة: "لماذا؟".

وفي هذه القصة "لماذا؟" عرض الأديب فكرة الصراع الحالي الدائر بين بلدين مسلمين عن طريق التلميح والطباق والمقارنة والمقابلة. وسلك في هذه السبيل مسلك أرنست همنجواي (١٨٩٩ ـ ١٩٦١م) رائد القصة الأمريكية.

وقد حمل فكرته عبر حبكة قصصية ممتعة، ودار فيها حوار مشوق، فيه مفاجآت، وفيه أسلوب مطابقة الطبيعة لمشاعر البشر، وصار أقرب في استخدام الرمز إلى


موليير


غالب حمزة أبو الفرج

مايدعو إليه مالارمي رائد الحركة الرمزية الفرنسي.

وتقع القصة بعد صلاة الفجر. وقد ركز الكاتب عباراته على الصلاة رمزا للإسلام الذي يدين به الطرفان المتصارعان. وعبّر عن المخاطر، والدماء بانتشار الضوء الأحمر. وأجاد الكاتب في وصف الطبيعة والصراع فيها كما يتصارع الطرفان فيقول: كان الضوء الأبيض قد بدأ بالفعل معركته اليومية ضد الظلام المسيطر على قبة السماء. كان من الواضح استسلام الظلام المطلق بعدما انتشرت عروق النور في جسد الليل المنتهي ومزقته إلى بقع متناثرة ومتباعدة يأكل بعضها بعضا.. هبط بعينيه إلى أسفل ومسح المكان.. كان مدى الرؤية أمامه لايزال مبهما بفعل الضباب(٦).

ويستطرد في سرده إلى أن يقول معبرا عن البراءة الجريح: ويسمع أصوات الطيور التي بدأت مبكرة رحلتها بحثا عن الطعام.. هذه المساحة العريضة الممتلئة بالنخيل وأشجار البرتقال ستكون ميدانا لمعركة وشيكة.. كانت الأوامر التي تلقاها عقب صلاة الفجر واضحة وصريحة...

ويعبر الأديب بالرؤيا وأحلام اليقظة عن طريق زوجته التي رأى وجهها وهي تسأله قبل الرحيل:

ـ لماذا..؟! لماذا تعبرون البحيرة إلى أرض ليست ملكا لكم؟!

وعلى الجانب الآخر، كان جنود الكتيبة قد فرغوا من صلاة الفجر، وقد أجاد الكاتب في وصف قائد الكتيبة العقيد حسين حتى إنك تكاد تسمع صوته وتطرب له. وتبلغ قمة الصراع عندما يمهد الكاتب لها بقوله:

بدأت المعركة.. فجأة.. اشتعلت السماء.. فزعت الطيور.. غادرت أعشاشها وطارت في اتجاهات متعددة.. هربت نسمة الهواء وامتلأ الجو برائحة البارود.. أطلقت كل جهة مدافعها البعيدة المدى.. الطلقات تخترق الفضاء في أنصاف دوائر في كل الاتجاهات.. أصوات كالرعد.. نار ودخان كفوهات لآلاف البراكين.

وعندما أصاب كل منهما الآخر بدآ

يتعانقان وهما يلفظان أنفاسهما الأخيرة، وكانا يتذكران لقاءهما السابق في مكة المكرمة وهما يرددان منذ سبع سنوات كاملة.. لبيك اللهم لبيك.. لبيك لاشريك لك لبيك..

وفي تلك اللحظات لحظات اللاموت واللاحياة التي يعيشها البطلان المتصارعان ويرمزان بها إلى الدولتين المتصارعتين:

حاول كل منهما في لحظات الموت أن يفعل شيئاً للآخر..

شيئا شبيها بالأيام الخوالي.. كمادات الماء البارد..

ودعاء عرفات.. ورجم الشيطان.. وطواف الوداع..

مد كل منهما ذراعه في اتجاه الآخر.. وصلت أيديهما إلى مكاني النزف.. حاول كل منهما الضغط على جرح الآخر لوقف النزيف أو لتخفيف الألم.. وربما لإطالة الحياة لبضع لحظات.. ربما أراد كل منهما أن يسمع إجابة للسؤال المطروح بينهما منذ البداية: لماذا؟!

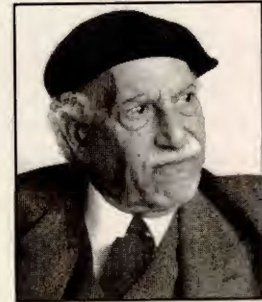
وظلا يصارعان الموت إلى أن رددا في وقت واحد وببطء شديد:

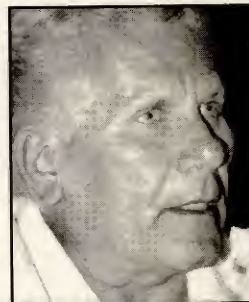
- نشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله..

إن مؤلف هذه القصة القصيرة الأستاذ الدكتور فاضل مشالي قد أحسن في نظري اختيار الفكرة، وأحسن اختيار الخلفية التي تدور حولها الأحداث وهي البحيرة، وأحسن اختيار الأسماء للأبطال لترمز إلى البلدين المسلمين المتصارعين، وأحسن في الرمز بالطيور إلى طبيعة الصراع الدائر، وأحسن في إحراز المفاجأة التي أحس بها البطلان وأحس بها القارئ معهما، وأجاد في اختيار اسم القصة وقام بشرحه، وكان مسك الختام نطق البطلين بالشهادة في نفس واحد وهما يلاقيان ربهما.

وذلك مثال رائد للرمز في القصة القصيرة "لماذا؟".

أما القصة القصيرة الأخيرة في موضوع هذه الدراسة فهي قصة قصيرة جدا بعنوان "الرحيل" كتبتها السيدة الأديبة نفيسة مصطفى شرقاوي الشهيرة "بأم أحمد". وهي تحكي قصة الجفاف الذي حاق بالخرطوم وأم درمان وسكانهما والتراب الذي طفق ينهال عليهما بدلا من المطر .


توفيق الحكيم


يوسف إدريس

والرحيل من الخرطوم إلى عالم أكثر استقرارا يرمز إلى العالم الآخر الذي تتلاحق الصور وتتراكم لتؤكده(٧).

فالتراب يرمز إلى الموت. وعندما ينهال التراب على وجه الخرطوم منذ الصباح فذلك يعني الموت، الذي يحث الناس الذين تتقاذفهم موجات الرحيل على تلمس خطوات الطريق الذي ضاعت معالمه تحت أقدام المحتضرين.

وترمز الحافلة "الباص" إلى البلد بأكمله، وحركة الباص وهو يرجع إلى الوراء بمؤخرته فيلكز امرأة عجوزا تحاول اللحاق به، فتقع على الأرض وينفرط العقد الأحمر من عنقها. وهو صورة أخرى من صور الموت الذي يعيد الناس إلى الوراء.. إلى حيث الأرض التي خلق منها ونشأ وتقدم ليفلحها ويستثمرها، ويُخرِج الله من الماء كل شيء حي.. ولكن أين الماء؟!

ويرمز العقد الأحمر إلى الحياة التي تطوق عنق الأحياء، واللون الأحمر يرمز إلى الدم، وانفراط العقد يعني تدفق الدم من الجسم حتى يفارق الحياة، في محاولة لري الأرض حتى تنبت حياة جديدة.

وترسم الأديبة صورة غريبة أخرى هي صورة نساء المويلح وأطفالهن.. يقتحمون مواقف الباصات (ويارب ياكريم)، والشاب الوسيم الذي تتدلى سلسلة ذهبية على صدره، يقول لهم بلهجة ساخرة.. (لسه الفكه ماوصلتكم؟)

ووسط هذا الجفاف تكرر الأديبة لون الدمورية أو ماء الحنفية مرتين وكأنها تردد المثال الشعبي: "الجائع يحلم بسوق الخبز".

وفي آخر الأمر يموت عثمان (أبو الدبل) الرجل البدين محتجا على هذا الغبار الذي دثر سماء العاصمة هذا الصباح وجعلها سمراء افريقيا.

وأخيرا تغتسل الخرطوم متمثلة في رمزها عم حسين..

و.. وبسطت يدي أناول الماء للعم (حسين) ليغسل وجهه من التراب ويردد "أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله".

وفي هذا الختام مسك القصة القصيرة الذي يرمز إلى الشهادة قبل الموت، كما يرمز إلى التطهر بالماء مما أصاب الخرطوم من غبار وموت وجفاف ورحيل.

وفي نظري أن هذه الأديبة تنتهج المنهج الأمريكي مثل رالف وأميرسون، كما تنتهج الصور المتراكمة التي تربطها وحدة رمزية واحدة.. هي الرحيل من عالم الخرطوم إلى عالم آخر أكثر خلودا ورحمة من عالم الجفاف والتراب.

وبعد أن قمنا بالدراسة التحليلية لكل قصة من القصص القصيرة الثلاث يجدر بنا أن نربطها برباط واحد إلى جانب رباط الرمزية الذي بدا واضحا في هذه الدراسة. فالرمز خلت منه القصة الأولى تماماً اعتمادا على الحبكة والمفاجأة فقط، بينما عالجه الدكتور فاضل مشالي في القصة الثانية ممزوجا بحبكة قصصية رائعة؛ كما عالجته الأستاذة نفيسة في قصتها القصيرة جدا مصحوبا بصور تراكمية معبرة تشبه في تراكمها وتعبيرها الرمزي المتنوع قصائد رالف وأميرسون (١٨٠٣ - ١٨٨٢م).

والواضح إذن من هذه الدراسة أن هناك موهبة وخبرة ودراسة في معالجة الرمز لدى كاتبي القصتين الأخيرتين، بينما لم تتوافر هذه العناصر لمؤلف القصة الأولى، وأرجو بذلك أن أكون موفقا في عرض هذا الرأي الموضوعي الذي يطرح نفسه على بساط البحث والدراسة، والله الموفق.

الهوامش:

(1) Rene Wellek and Austin Warren, Theory of Literature, (Harmond worth: Penguin Books, 1976) P.212.

(2) Rene Wellek, "Symbol and symbolism in Literature", Dictionary of the History of Ideas, Vol, Iv, ed- Philip p. Wiener (New York:Charles Scrilner's sons, 1973), PP. 337-45.

(3) John Mac Queen, Allegary: The Critical Idiom, (London: Methuen & Co-Ltd., 1970), P.12.

(٤) ويليك: نفس المصدر السابق.

(٥) غالب حمزة أبوالفرج، "أخطاء صغيرة" الأربعاء، المدينة المنورة، العدد ١٢٩، الأربعاء ٤محرم ١٤٠٦هـ/١٨ سبتمبر ١٩٨٥م، ص٩.

(٦) د. فاضل مشالي، "لماذا؟"، نفس المصدر ص ١٨.

(٧) نفيسة مصطفى شرقاوي "أم أحمد"، "الرحيل"، الأربعاء، المدينة المنورة، العدد ١٣٠، الأربعاء ١١محرم ١٤٠٦هـ/٢٥ سبتمبر ١٩٨٥م، ص٢٢.

صداع العقول

المخلوق لنا أمانة لا إباحة



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

قال الله سبحانه وتعالى ﴿هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم﴾ (البقرة : ٢٩)

جاء هذا النص الكريم بعد أن ألزم الكافر بطلان جحده لربه بأسلوب الإنكار والتوبيخ، وأقام عليه الحجة بدلالة الأولوية، وأن القادر على الخلق من عدم؛ قادر من باب أولى على الإعادة، ثم أتبع ذلك هذه الآية الكريمة ليذكرهم نعمته عليهم بخلقه ما في الأرض جميعًا لهم فيعلموا حق الله عليهم بوجوب عبادتهم إياه.

وهذا اتباع يتضمن برهانًا من وجه آخر على وجود الله وكماله وصدق شرعه، وذلك هو الإخبار بشيء من علم الغيب من ناحية الخلق مما لا يُعلم إلا بالوحي.

قال ابن جرير: وكان معلومًا من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه لم يكن قط كاتبًا، ولا لأسفارهم تاليًا ولا لأحد منهم مصاحبًا ولا مجالسًا، فيمكنهم أن يدعوا أنه أخذ ذلك من كتبهم أو عن بعضهم.

وأخبرهم جل ذكره أنه خلق لهم ما في الأرض جميعًا لأن الأرض وجميع مافيها لبني آدم منافع.

أما في الدين فدليل على وحدانية ربهم، وأما في الدنيا فمعاش وبلاغ لهم إلى طاعته وأداء فرائضه.

قال أبو عبد الرحمن: محصل كلام ابن جرير من ثلاثة عناصر:

أولها: أن في الآية نتيجة برهان، وهو التذكير بنعمة الله، وبيان ذلك أن الله أقام البرهان على قدرته، وذلك من مسائل توحيد الله في أسمائه وصفاته، ومن علم بالقدرة المطلقة انقاد للقادر.

ثم أخبرهم بما صدر عن قدرته من خلق ما في الأرض لبني آدم لينقادوا للقادر سبحانه عن محبة.

والمطلب واحد هو عبادة الله.

وثانيها: أن من نعم خلق الأرض التي امتن الله بها وبما فيها الدلالة على وحدانية الله.

وهذا صحيح في ذاته، ولكنه ليس مرادًا للآية ها هنا، ولا إيماء من نصها إلى هذا المعنى.

وثالثها: دلالة الآية على علم غيبي مما لايعلم إلا بالوحي، فجعل من ذلك دلالة على وجود الله.

قال أبو عبد الرحمن: إن أراد أن في الآية دلالة على شيء كان مغيبًا عنهم، ثم أخبرهم به وحيًا فكان مجرد الإعلام عن الغيب برهانًا على وجود الله الصادر عنه الخبر فليس هذا بصحيح، ولم يتم البرهان بعد.

وإنما يكون الإعلام بالغيب حجة إذا ورد الخبر بالوحي عن المغيب عنهم، ثم علموا بالمغيب بحسهم وعلمهم الدنيوي فكان المغيب شاهدًا، وكان الوحي مخبرًا البشر عن شيء قبل علمهم به.

وهاهنا فلايزال الخلق والخالق مغيبًا عن الحس البشري، وإنما المشاهد مفعول الله ومخلوقه في الأرض.

وإن أراد أن الآية شهدت لبعض مافي كتب أهل الكتاب من إخبار بخلق الأرض وما فيها لنا مما لا يعلم إلا بوحي فذلك صحيح تقوم به الحجة على أهل الكتاب.

قال أبو عبد الرحمن: ويبقى تساؤل، وهو: أن الأرض إذا كانت مخلوقة لنا وما فيها فكيف يتم هذا مع تحريم أشياء كثيرة مما في الأرض؟.

وهاهنا اختلف العلماء، فذهب قوم منهم إلى أن كل شيء محللاً في الأصل، وأن التحريم فيما بعد استثناءً، فالأصل الحل.

قال القرطبي: استدل من قال إن أصل الأشياء التي ينتفع بها الإباحة بهذه الآية وما في معناها كقوله تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه﴾ (الجاثية:١٣) حتى يقوم الدليل على الحظر.

وعضدوا هذا بأن قالوا: إن المآكل الشهية خلقت مع الإمكان ألا تخلق، فلم تخلق عبثًا فلابد لها من منفعة، وتلك المنفعة لايصح رجوعها إلى الله تعالى لاستغنائه بذاته، فهي راجعة إلينا.

وتوقف آخرون وقالوا: ما من فعل لاندرك منه حسنًا ولا قبحًا إلا ويمكن أن يكون حسنًا في نفسه، ولا مُعيِّن قبل ورود الشرع، فتعين الوقف.

وهذه الأقاويل الثلاثة للمعتزلة، وقد أطلق الشيخ أبو الحسن وأصحابه وأكثر المالكية والصيرفي في هذه المسألة القول بالوقف، ومعناه عندهم أن لاحكم فيها في تلك الحال. وأن للشرع إذا جاء أن يحكم بما شاء، وأن العقل لايحكم بوجوب ولاغيره وإنما حظه تَعَرُّفُ الأمور على ما هي عليه.

قال ابن عطية وحكى ابن فورك عن ابن الصائغ أنه قال: لم يخل العقل قط من السمع ولا نازلة إلا وفيها سمع، أو لها تعلق به أو لها حال تستصحب.. قال: فينبغي أن يعتمد على هذا ويغني عن النظر في حظر وإباحة ووقف.

قال أبو عبد الرحمن: الآية التي ذكرها القرطبي وهي قوله تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه﴾ ليس فيها دليل على إباحة شرعية أو تحريم شرعي، وإنما المعنى أن ذلك مهيأ لهم منه ما ينقاد لمنافعهم دون عمل منهم، ومنه ما ينقاد لهم بالتعلم والرياضة وتسخير الله فوق ذلك.

وتسخير الله الأشياء للناس تقدير كوني وليس إيجابًا أو إباحة شرعية.

وليس في آيات التسخير أن الكون كله من أجل

البشر، وإنما فيه أن نعمة الله في الكون تعمهم، لأنهم جزء مما في الكون.

ونوع التسخير مبين في مثل الآية الكريمة التي وردت مباشرة قبل الآية السابقة، وهي قوله تعالى ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (الجاثية:١٢).

فالتسخير ها هنا جريان الفلك لانتفاع العباد.

وسخر سبحانه لشؤوننا ملائكة كرامًا ينزلون من السماوات.

ومن التسخير ماذكره الله بقوله: ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار. وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار. وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ (إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤).

فكل تسخير من الله وراءه نعمة للبشر.

وقال تعالى عن البدن ﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين﴾ (الحج: ٣٧).

فالإبل على سبيل المثال سخرها لنا كونا ولم يبحها لنا ميتة، ولم يبح لنا ظلمها، ولم يبح لنا استرحالها في محرم.

وذكر الله الفلك والأنعام ثم قال: ﴿لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ (الزخرف:١٣).

وكون المسخر نعمة لنا لايعني الإباحة المطلقة، لأن النعمة نقمة إذا استعملت على غير الوجه الشرعي، فصح أن كل ما خلقه الله لنا، وسخره لنا لايكون نعمة إلا باستعماله، ومنه ما هو نعمة كلبس الرجال للحرير والذهب، إلا أن هذه النعمة محرمة علينا شرعًا في الدنيا.

إذن إيجاد الله للنعمة كونًا شيء، وهي لنا كونًا مادامت خاضعة لحرية سلوكنا.

وكونها مباحة لنا شرعًا شيء آخر، وليس كل ما قدرنا عليه كونًا بحريتنا السلوكية يكون مباحًا لنا شرعًا.

وما ذكره القرطبي عن توقف غير داخل في موضع النزاع لأن الخلاف في الأصل الشرعي للأشياء أهو الإباحة فلا يحرم شيء إلا بدليل شرعي، أم هو الحظر فلا يباح شيء إلا بدليل شرعي؟.

وما ذكره القرطبي يتعلق بتحسين العقل وتقبيحه، وتلك قضية أخرى.

وإنما وجه التوقف في هذه المسألة أن يقول المتوقف: لا أعلم هل الأصل في الأشياء الحل أو الحرمة، فأنا أتوقف ولا أقول: هذا حلال شرعًا أو حرام، بل أقول: «لا أدري» حتى أجد برهانًا شرعيًا.

قال أبو عبد الرحمن: وثمة فرق بين تحليل الله وتحريمه في الواقع، وبين علمنا بذلك، فالله سبحانه يحلل ويحرم مايشاء لا يسأل عما يفعل لأن له العلم المطلق، والحكمة المطلقة، والقدرة المطلقة.

وأما نحن المكلفون فالأصل أنه لايلزمنا شرع يحكم بحرمة أو كراهة إلا بعد علمنا.

فالأصل براءتنا من حظر الشرع حتى يبلغنا العلم به مع أنه قد يكون الحظر الشرعي موجودًا ولكننا لانعلمه، وعلم به غيرنا.

فالأصل براءتنا واختيارنا بعقولنا وحواسنا حتى تبلغنا هداية الشرع فلا نقدم غيرها.

والله سبحانه يخلق أشياء مقدورة للعباد مسخرة لهم، وقد حرمها في شرعه على قوم وأباحها لقوم، وجعل لكل حكم شرعي أجلاً ابتداء وانتهاء.

إذن قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعًا﴾

لاينبغي أن يفهم مجردًا عن النصوص الأخرى في استخلاف ابن آدم على الأرض، وأخذ الميثاق عليه بدلائل الفطرة، وبلاغ إرث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكذلك تحميل الإنسان للأمانة التي أبى عن حملها السموات والأرض وحملها الإنسان.

ولا ننسى بعد هذا أن الله خلق الأرض وما فيها قبل أن يخلق آدم عليه السلام وقبل أن يهبطه مع أمنا حواء إلى الأرض، ولما أهبطهما إلى الأرض لم يكلهما إلى حكم الإباحة المجردة، ولم يخلهما من بيان، بل كان آدم عليه السلام نبيًا يتلقى الوحي من ربه واستمرت رحمة الله بخلقه في تراسل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فلم تخل أمة ولا رقعة من رسول موجود حي قائم بأمر ربه، أو من رسالة قائمة حملها العدول عن رسول الله إليهم حتى ختمت الشرائع بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبقي دينه قائمًا محفوظًا بحفظ الله له إلى أن تقوم الساعة.

فصح بهذا كله أن خلق الله لنا ما في الأرض جميعًا لايعني الإباحة وإنما خلق لهم ما في الأرض لأن ذلك موضوع ما خلقوا له من الاستخلاف وحمل الأمانة والعمل بمقتضى مراد الله، فخلق الله ما في الأرض لنا لايقتصر على المباح بل يشمل ما خلق لنا في الأرض لنمتنع عنه امتناع حرمة أو كراهة، ويشمل ما خلق لنا لنستبيحه إيجابًا أو استحبابًا أو إذنًا مستويَ الطرفين.

فإن قال قائل: تأويلك هذا صحيح إلا أنه لا يرد على قول من قال من الأصوليين الأصل في الأشياء الإباحة بهذه الآية فإنهم يقولون ما اقتضاه استخلاف الله وحمل الأمانة وشرائع الرسل من الحرمة والكراهية والإيجاب والندب فالمتبع ذلك فإذا لم يوجد شرع بكل هذا فالأصل الإباحة بهذا النص.

قال أبو عبد الرحمن: إنما نفيت بتأويلي هذه الدعوى بعينها، ويستحيل حمل هذه الآية الكريمة على معنى الإباحة لسببين:

أولهما: قوله تعالى ﴿جميعا﴾ فهذه الكلمة تعني التأكيد في لغة العرب، وهذا يتنافى مع قول بعض الأصوليين الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما حرمه النص أو ما استثناه النص، فلا معنى لكلمة جميعًا مع تبييت النية على استثناء ينافي مدلول جميعًا.

وثانيهما: أن الله لم يهبط آدم إلى الأرض على أن كل ما في الأرض مباح له، بل أهبطه وقد علمه الأسماء كلها، وعلمه جل جلاله موقع الإساءة والإحسان فنزل إلى الأرض بوحي من ربه فكان معنى قوله خلق لكم ما في الأرض جميعًا. أي خلقه موضوعًا لما شرعه الله لنا من مباح ومستحب وواجب ومكروه وحرام وصحيح وفاسد وحق وباطل وخير وشر وقبح وجمال.

قال أبو عبد الرحمن: ولا أنكر أنه ثمة أمورٌ على الإباحة في الأصل ولكن ليس ذلك بمدلول قوله تعالى: ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعًا﴾ للموانع التي أسلفتها، وإنما ذلك بمدلول النص على الإباحة وهو قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان». فهذا هو العفو وهو مباح لتجرده من عهدة النص الشرعي إلا أن الإنسان لايعطل عقله فيعمل في العفو بما يرجحه عقله.

وأصل الإباحة متعلق ببراءتنا نحن البشر لا بالأشياء التي هي موضوع التشريع.

قال أبو عبد الرحمن: واشتراط ترجيح العقل والحس في العمل قبل العلم بالشرع يكون في دائرة التصور مما علم من الشرع.

وليس ذلك جريانًا مع دعوى المعتزلة في قولهم: إن العقل يحسن ويقبح قبل الشرع.. فهذا لا أقول به لأنه أولاً تصور معدوم، لأن الله لم يكل الخلق إلى عقولهم لحظة واحدة حتى لحظات الفترة محكومة بما

المخلوق لنا أمانةً لا إباحة

سبق من شرائع الله، ولهذا فاليهودي والنصراني والحنيفي والمتحنث على خير وهدى من ربه، وليس كذلك عابد الوثن أو الدَّهري.

وثانيهما: أن العقل يهدي سلوك ابن آدم ولكنه لا يدله على ما يريده ربه منه بالتعيين، فالعقل لا يدله على نظام للعبادة يعبد به ربه، ولهذا بين الله عبادته وشرائعه بدينه ولم يكل ذلك إلى العقول.

وإنما أقول العقل حجة بعد ورود الشرع ومقتضاه، ففرق بين هذا القول وبين قول من يقول: العقل يحكم قبل ورود الشرع.

فالله سبحانه حرم علينا الظلم، وأوجب علينا العدل، ونهانا عن الاعتداء، ولم يبين لنا جل جلاله أعيان كلٍّ ما يسمى ظلمًا وعدلاً واعتداء، بل بين لنا بعض الأعيان وترك بيان بعضها لعقولنا، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الاستقامة: من العدل ما بيانه في الشرع، ومنه ما يعرفه العقل.

إذًا فمن صادف أمرًا تركه ربه عفوًا رحمة بنا غير نسيان: فلا يعني ذلك أن يعتبط السلوك كيفما اتفق دون تفكير، بل نرجح بعقولنا وتجربتنا، ولهذا لم يقل معاذ - رضي الله عنه - في العفو: أعمل فيه كيفما اتفق.. وإنما قال أجتهد رأيي ولا آلو.

ولا ننسى مدلول كلمة (آلو) فهي تعني استفراغ الوسع في طلب الحق والنزاهة في تحريه، ولهذا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الحمد لله الذي وفق رسولَ رسول الله لما يحبه الله».

قال أبو عبد الرحمن: ثمة فرق بين العقل الذي تدعيه المعتزلة مجردًا من الشرع وبين العقل الذي تربى بالشرع، فالعقل الأول كصاحب القانون الوضعي يعمل عقله في نطاق شهوات بني آدم وفي حدود خبراتهم وتجاربهم، ولو استقرأت جميع القوانين الوضعية القائمة اليوم لوجدتها كلها لاتستثن منها شيئًا قائمة على الحق الطبيعي الذي فلسفه سبينوزا وروسو وهوبز وأهم عناصر الحق الطبيعي قانون الشهوة دون اعتراف بحق إلهي، ولهذا ترى تقنين العقود في القانون الوضعي يقوم على رضى المتعاقدين فحسب.

أما العقل المتربي بالشرع فيتحرى رضى الله أولاً قبل تحري رضى المتعاقدين.

إذن عقل المسلم حينما يوكل أمر العفو إلى عقله إنما يعمل في كنف الشرع ولايخرج عن إطاره، وقد أصبح عنده من عموم نصوص الشرع أصول عامة وملكات ثابتة، ولهذا أيضا، كان عقل المسلم ذكاء وزكاء معًا فهو ذكي بفطرة الله له، وهو زكيٌّ بتربية الله له على شرعه.

والعقل بعد ورود الشرع وتربيه على مراده يحكم بأصلين:

أولهما: أن الإنسان على البراءة حتى يبلغه الشرع، وهذا معنى غير معنى الإباحة، فليس على المسلم صلاة سادسة لأن الأصل البراءة، ومن لم يبلغه نسخ استقبال بيت المقدس فصلاته صحيحة إلى أن يبلغه الأمر، ومن غاب عنه من علماء المسلمين نص حديث صحيح بعد بذله الجهد في البحث والتحري فالأصل براءته من عهدته إلى أن يبلغ، فهذا هو معنى البراءة الأصيلة حصلت لنا بملكة العقل وبتوسط الشرع الذي رفع عنا الحرج والتكليف بما لا يطاق.

وثانيهما: استصحاب حال الشرع فمن بلغه نص عام ولم يبلغه مخصصه بعد اجتهاده فهو مستصحب لعموم الشرع.

ومن هذين الأصلين استنبط العلماء قواعد أصولية عامة كقولهم: المسلم عدل في الأصل حتى تثبت له جُرحة، لأن ظاهر حال المسلم العدالة.

وقالوا: الأصل في المدعى عليه البراءة، ولهذا جاءت البينة في جانب المدعي.

وقال القانونيون المتهم بريء حتى تثبت إدانته.

وهناك قواعد أخرى ظن بعض الأصوليين أنها من أصلَيْ البراءة والاستصحاب، والواقع أنها ليست من ذينك في شيء، بل هي قواعد بالخطاب الشرعي لا بالاستصحاب، فقولهم مثلاً: «الأصل في المناكح الحرمة إلا ما أباحه الشرع» أصل صحيح ولكنه ليس استصحابًا، وإنما هو بنص القرآن الكريم الذي يبين ما أبيح لنا نكاحه ثم أطلق صفة الاعتداء على ماسواه.

ومثل ذلك أن الأصل في أكل الحيوانات الإباحة إلا ما حرمه الشرع، فهذا مأخوذ من تحريم الرسول - صلى الله عليه وسلم - لكل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير.

وفي هذه الأمثلة كفاية إن شاء الله.

إذن كل حكم دليله من الشرع إما بالنص على اسمه وإما بالنص على معناه كالقواعد العامة في نصوص الشرع.

وما خلقه الله في الأرض منه ما يحل للإنسان أكله، ومنه ما يحرم، ومنه ما يحل لبسه واستعماله، ومنه ما يحرم، ومنه ما تحل صناعته، ومنه ما تحرم.

وقد بين لنا بالنصوص الأخرى أن هذا أمانة حملها الإنسان، فصح بهذا أن الأصل في الأرض وما فيها مقتضى الأمانة لا مقتضى الإباحة، وقد بين لنا الشرع المطهر وفصل لنا تفصيلاً ما جعله أمانة عندنا من حرام واجب تركه، ومن أمر واجب فعله، ومن وسائط بين ذينك.

واستنبط بعض العلماء أن الأرض خلقت لنا.

قال أبو عبد الرحمن: أما من نص الآية فلا دليل، لأن الله سبحانه قال: ﴿خلق لكم ما في الأرض﴾ ولم يقل: خلق لكم الأرض.

ولايحل تبديل الظاهر.

وأما من غير هذه الآية فالنصوص قاضية بأن الأرض لله وملكه وخلقه كما أن ما في الأرض كذلك، إلا أنه لم يكل الأرض لاستخلاف ابن آدم، بل وكل بها ملائكة كرامًا، ودبر حركتها، يزيد في الخلق ما يشاء، وينقص من أطرافها كما يشاء، وكل شيء عنده بمقدار، ورتب للأرض نواميس ليس بحيلة الإنسان تبديلها، فصح بذلك أن رابطة لكم تعني اختصاص سلوك لا عموم ملك، وأن علاقة الإنسان بالأرض أنه منها خلق وإليها يعود وفيها محياه ومماته.

ومن أصابه الهلع وظن أن بيد الدول العظمى بالقنبلة الذرية هلاك من في الأرض أو تدمير الأرض وتغيير مدارها فعليه أن يصحح إيمانه وأن يثق بيقين كالشمس لا لبس فيه، أن الأرض في حفظ الله وكنفه، وأنه جل جلاله هو الذي سيقبضها بيده، وأنه وحده هو الذي سينهي الحياة على ظهرها عندما يأذن بقيام الساعة بفعل يدبره جل جلاله وليس بواسطة البشر.

ولم يرد النص البتة بأن لفعل البشر أثرًا.

وصح بهذا أيضًا أن الأرض ليست لنا فحسب، بل هي لكل آهل عليها مما ذرأ وبرأ وإنما الذي خُلق لنا ما في الأرض، لأنه موضوع الأمانة التي حمَّلها الله إيانا.

حوار مع

د. عبده زايد :

الالتزام في الأدب ليس نقيضاً للحرية

أجراه: محمد عبدالشافي القوصي



قد يتبادر إلى الأذهان أن «الالتزام في الأدب» مفهوم جديد منشؤه هذا العصر، والحقيقة أن الالتزام كمفهوم ومعنى قديم، ولكنه حديث كمصطلح، واستخدم بكثافة من جانب معتنقي الشيوعية والوجودية وفلاسفتهما، بصفة خاصة، ولذلك يجب ألا يفهم أن الالتزام مبدأ من ابتكار الشيوعيين أو الوجوديين أو غيرهم من المنافحين عن المذاهب الفكرية المعاصرة بدليل أن الإبداع الأدبي والفني في العصور الماضية عرف الالتزام، ومارسه المبدعون بشكل عملي في إنتاجهم الأدبي والفني.

هذا الحوار مع الدكتور عبده زايد رئيس مكتب رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة، وأستاذ البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر يجلي بعض الجوانب الخاصة في قضية الالتزام في الأدب، ويناقش صفات الأديب الملتزم وفق المنظور الإسلامي لرسالة الأدب في المجتمع.

*** ما الدور الذي تضطلع به رابطة الأدب الإسلامي العالمية في مقابل الهيئات والجمعيات الأدبية الأخرى ؟**

** أعتقد أن رابطة الأدب الإسلامي العالمية لها أهداف وغايات كثيرة، بيد أن أهم شيء تقصد الرابطة إلى تحقيقه، هو تعريف الأدباء الإسلاميين - على اختلاف لغاتهم وأجناسهم - بعضهم ببعض وجمع كلمتهم وإقامة التعاون بينهم ليكونوا قوة إسلامية سلاحها الكلمة الأصيلة الملتزمة بالإسلام.. كما تعمل الرابطة على تأصيل نظرية الأدب الإسلامي، وإظهار الملامح السائدة في الأدب الإسلامي قديمه وحديثه، وتحقيق مبدأ عالمية الأدب الإسلامي، كما تقوم الرابطة بإعادة كتابة تاريخ الأدب العربي من وجهة نظر إسلامية، والدفاع عن حرية الفكر والتعبير بما لايتعارض مع الشريعة الإسلامية. وتعمل الرابطة - الآن - على رسم منهج إسلامي مفصل للفنون الأدبية الحديثة كالقصة والمسرحية والسيرة الأدبية والتمثيلية المسموعة والتمثيلية المرئية أيضاً.

*** لماذا ظهر مصطلح الأدب الإسلامي في هذا الوقت بالذات.. وهل غاب عن علماء الأمة الأجلاء، أم أنهم أغفلوا هذا الأدب وغضوا الطرف عنه ؟!!**

** فيما يختص بالسؤال : لماذا ؟

ظهور الأدب الإسلامي الآن هذا لايعني أن العلماء غفلوا عنه، أو جهلوا خصائصه، وذلك لأنه لم تكن هناك ضرورة تدعو إلى ظهور هذا المصطلح في القرون الماضية، كما أنه لم تكن

الالتزام في الأدب ليس نقيضاً للحرية

هناك حاجة إلى ظهور مصطلحات كثيرة ظهرت الآن مثل: الاقتصاد الإسلامي، والإعلام الإسلامي، والعمارة الإسلامية، والتربية الإسلامية.. وغيرها من المصطلحات التي يأتي الإسلام وصفاً مخصصاً لها، وهذه المصطلحات كلها إنما ظهرت ومازالت تظهر في إطار الصحوة الإسلامية ومحاولة العودة إلى الذات بعد مرحلة الذوبان والهزيمة النفسية التي لحقت بالأمة الإسلامية في مرحلة القهر العسكري والحضاري، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى أن يكون هناك أدب إسلامي يعبر عن الشخصية الإسلامية ويجسد تصوراتها عن الكون والحياة والإنسان في مواجهة آداب غصت بها ساحتنا الأدبية تجسد تصورات فلسفية ومذهبية وعقائدية وأيديولوجية غريبة عنا غربة كاملة..

ولقد شعر بهذه الحاجة الماسة والضرورة الملحة ودعا إليها صفوة من مفكري الأمة على امتداد الوطن الإسلامي الكبير من أمثال الشيخ "أبي الحسن الندوي" بالهند، والشهيد "سيد قطب"، والأستاذ "محمد قطب"، والدكتور "نجيب الكيلاني" بمصر، والدكتور "عماد الدين خليل" بالعراق، والدكتور "عبدالرحمن رأفت باشا" بسوريا وغيرهم.

والحمد لله تعالى فقد وجدنا عشرات بل مئات من الدارسين والباحثين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي يستجيبون لهذه الدعوة.

*** إذن ماموقف الأدب الإسلامي من المذاهب الأدبية الأخرى المعاصرة ؟**

** في الأصل يقبل الشكل الأدبي إذا لم يكن له ارتباط حتمي بأصول فلسفية وفكرية مرفوضة إسلامياً، فإذا لم يكن كذلك فلابأس به، فالإسلام لم ينبذ من أشكال التعبير التي كانت معروفة في الجاهلية غير سجع الكهان، أما الشعر والخطابة والمقامة والحكمة فقد أصبحت من أشكال التعبير الإسلامي بعد أن اصطبغت بصبغة الإسلام وتشربت روحه.

ولو نظرنا إلى "المبدأ السابع" من المبادىء العامة للأدب الإسلامي لوجدناه يعبر عن هذه الحقيقة : "الأدب الإسلامي يرفض المذاهب الأدبية المنحرفة" و "المبدأ الثامن" يقول : "إن الأدب الإسلامي يفتح صدره للفنون الأدبية الحديثة ويحرص على أن يقدمها للناس وقد برئت من كل مايخالف دين الله عز وجل، وغنيت بما في الإسلام من قيم ثمينة وتوجيهات سديدة".

*** مارأيكم في القائلين بأن الالتزام في الأدب هو مصادرة لحق الإبداع.. ؟**

** نعلم جميعاً أن الالتزام الذي نعنيه هو الالتزام الإسلامي، وأن الحرية التي نعنيها هي الحرية في المفهوم الإسلامي.. والالتزام غير الإلزام، فالإسلام لم يلزم شاعراً بأن يكون كذلك، ولم يحمله عليه ولم يكرهه، ولكن دعا إلى ذلك وحث عليه.. وإذا كان مصطلح الالتزام يرد إلى هذا العصر الذي نعيش فيه وخصوصاً إلى الشيوعية والوجودية كما هو معروف، فإن هذا لايعني أن الابداع الأدبي والفني في العصور الماضية لم يعرف الالتزام عملياً، بل نستطيع أن نقول: إن آية الشعراء: ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون مالايفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ماظلموا ﴾ (الشعراء٢٢٤-٢٢٧)، هي التي أرست الأساس النظري للالتزام في نظرية محددة المعالم والأبعاد، فالمستثنون في الآية هم الملتزمون إسلامياً، وقد حددت الآية صفاتهم بجلاء ووضوح في الإيمان والعمل الصالح، وذكر الله كثيراً ثم الانتصار من بعد الظلم، وليس مطلق الانتصار. هذه هي صفات الشاعر الملتزم، فإذا فقدت صفة من هذه الصفات لم يكن الشاعر ملتزما أو على الاقل تقل درجة التزامه بمقدار مانقص من صفاته..

إن الإسلام لايقول للشاعر : اكتب في موضوع كذا، وقل كذا وكذا ولاتكتب في موضوع كذا، لأن للمبدع مطلق الحرية في أن يتناول مايشاء من الجزئيات في النفس والحياة والكون والطبيعة أو أي شريحة من شرائح المجتمع أو أي حقبة من حقب التاريخ.

إذن فالالتزام ليس نقيضاً للحرية، والرقابة



أبو الحسن الندوي

الموجودة الآن في كل المجتمعات تقريباً ليست قيداً على الحرية وليست حجراً على الإبداع، والحرية - حتى في المجتمعات الغربية التي تقدس الحرية الفردية - لها حدود تقف عندها، فالحرية المطلقة هي الفوضى بعينها، والحرية والالتزام أمران مؤتلفان وليسا نقيضين متنافرين..

وبهذا يمكن القول : إنه ليس هناك تناقض بين الإيمان والفكر الإسلامي، بل إن التناقض إنما يكون بين الإيمان وتعطيل الفكر.

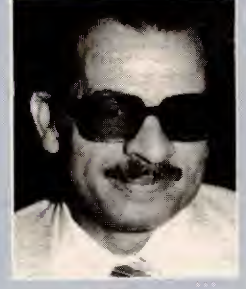
*** مارأيكم في ظاهرة الغموض في الشعر الحديث، حيث يرى بعض النقاد أن الغموض من مزايا الشعر الجديد الذي لايشاركه فيها الشعر القديم ؟!**

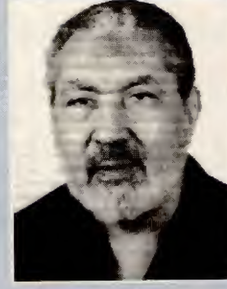
** حقاً.. الغموض ظاهرة واضحة في الشعر

الحديث، فمنذ أن دخلت الرمزية إلى لبنان على يد "أديب مظهر" وانتشرت فيها على يد "سعيد عقل" قبل نصف قرن من الزمان، والغموض ينتشر في الشعر العربي مع كل صيحة تجديد وكل دعوة حداثة، حتى انعدم التواصل بين المبدع والمتلقي.. وأعجب ما سمعته في هذا الشأن أن بعض النقاد حاول أن يفرق بين غموض الشعر القديم وغموض الشعر الجديد، فرأى أن غموض القديم عيب فيه، وغموض الحديث ميزة فيه وفضيلة!!

فهل يعني أن الشعر العربي عبر خمسة عشر قرناً من الزمان أو يزيد لم يكن شعراً حقيقياً، لأنه لم تهيأ له ولم يهيأ لها.. ومن هنا كان الذوق العربي - عند الخاصة والعامة على السواء - ينفر من الغموض والتعقيد، وإذا نبت الغموض في بعض البيئات لأن طبيعتها تسمح بذلك فألفه الذوق هناك، فلايعني هذا أن الغموض مستساغ في كل بيئة، وأن الذوق يألفه حيث كان.. فالدفاع عن الغموض في اللغة العربية والشعر العربي دفاع عن نبت غريب نشأ في بيئة غريبة.

ولست أدري كيف يكون الغموض الذي يمتدحونه الآن مدحاً والبيان والإيضاح ذماً والقرآن الكريم المعجز واضح بيّن كما وصفه المولى تعالى،


د. نجيب الكيلاني


محمد قطب


سيد قطب

إما غامض غموضاً تعبيرياً وهو الذي سمّوه الإبهام، وإما واضح وضوحاً منطقياً، والأول معيب مردود، والثاني ليس شعراً حقيقياً..

والبيان والوضوح هو خاصية من خصائص اللغة العربية، وهي في هذا تعكس خصائص الحياة العربية الواضحة والبيئة العربية الواضحة والتفكير العربي الواضح والعواطف العربية الواضحة الصريحة، ثم جاءت عقيدة الإسلام واضحة، وجاءت العبادات واضحة، وذلك حتى تكتمل دائرة الوضوح والبيان في اللغة والعقيدة والعبادة والفكر والشعور والعواطف والبيئة والحياة.

إذن فهل يمكن أن يجد الغموض له طريقاً إلى مجتمع كل مافيه واضح وصريح؟ الحق أن الغموض لاينبت في أرض العرب والإسلام لأنها

فهل يزعم أحد أن وضوحه منقصة وأن بيانه مذمة؟!

*** من الأدباء المبدعين - قديماً وحديثاً - من تمرد على الأخلاق والعقيدة بدعوى الخيال والجمال والصور البيانية، فما تقييمكم لذلك؟**

** لايهمني الإبداع وحده خاصة إذا كان على حساب الدين والأخلاق المتعارف عليها، وكيف يكون ذلك أدباً ؟!

فليتك تسألني، مامفهوم الأدب أولاً ؟ فالأدب هو مايؤدب الناس ويدعوهم إلى الفضائل والمحامد وينهاهم عن الرذائل والقبائح في مختلف جوانب الحياة.

ولاشك أن ارتباط الأدب بالأخلاق في اللغة العربية ارتباط أصيل، ومصطلح الأدب في اللغة العربية يحمل دلالتين : دلالة خلقية ودلالة فنية، ومازال يحمل الدلالتين حتى الآن.. وإذا نظرنا إلى الصراع بين المبدعين الذين ينفرون من الضوابط والقيود ودعاة الإصلاح فإنه صراع مستمر وسيظل مستمراً، ووجود الرقابة على الإبداع الأدبي والفني في كل بلاد العالم تقريباً دليل على أن المجتمع يريد من المبدعين أدباً ينسجم مع ما تواضع عليه هذا المجتمع من قيم وما تعارف عليه من أخلاق.

وليس في أخلاقية الأدب الإسلامي مايقيد حركة الأديب، ولا مايعوق انطلاقه، ولامايكبل خياله، ذلك أن آفاق الأدب الإسلامي هي آفاق النفس البشرية بما جمعته في أعماقها من نقائض الطباع والأخلاق والأهواء والنزعات والشهوات.. أما أن يكون الأدب حرباً على الأخلاق والعقيدة، فليس هذا بأدب، ولذا يعمل -أعضاء رابطة الأدب الإسلامي- على تنقية الأدب مما علق به من الشوائب وأدران الفكر ووساوس الشيطان التي ملأت أشعار وروايات أدباء هذا العصر على وجه الخصوص، - وإن شئت - فاقرأ ديوان "شجرة القمر" لنازك الملائكة، وديوان "أغاني إفريقيا" للفيتوري، وكذلك ديوان "أنشودة المطر" للشاعر "بدر شاكر السياب"، وديوان "المسرح والمرايا" للشاعر "أدونيس" وهناك رواية مملوءة بالعفن الفكري وهي قصة "السماء السابعة" لنجيب محفوظ، وهناك الكثير والكثير من النماذج والصور التي تموج بالكفريات والإلحاد والتمرد على الله ورسله وكتبه على امتداد الوطن العربي، ولاحول ولاقوة إلا بالله. ولذلك فإننا ندعو سائر الأدباء الملتزمين بالإسلام أن ينضموا تحت لواء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، والتي تهيب بكل غيور على الإسلام أن يعمل على تأييدها ودعمها حتى يصبح الأدب الإسلامي رائداً للأمة، كما هو مسؤولية أمام الله عز وجل.

عندما نكسب الأطفال

نكسب المستقبل!

نزار نجّار

كانت «آنا فرويد» الابنة الكبرى لـ «سيجموند فرويد» ترى أنّ من أكبر أخطاء والدها أنه كان يضع عقله في عقل الأطفال.. ثمّ يذهب في تفسير تحركاتهم وسكناتهم، ويرصد خطراتِهم وأنفاسَهم... ولذلك لم يستطع - وهو العالم النفسي الكبير - أن يتصوّر أنَّ الأطفال يمكن لهم أن يعبثوا وأن يلعبوا.. وتلك هي من أكثر مشكلاتنا التربوية دقّة وأعقدها.. فنحن حين لانتجرّد من الإحساس بأنفسنا وشخصيتنا، يصعب علينا أن نتقمّص دور الآخرين، أو نفهمهم بصورة صحيحة!. النُصح وسيلة مخفقة لدى الأطفال، والدخول إلى مملكتهم صعب غير ميسور.. فكيف العمل؟!.

إنّ الطفل يريد الحريَّة؛ كأي مخلوق في الكون، ونحن حين نفهم عالمه، نكون بذلك قد مَهَّدْنا للإفادة من حريته بشكل صحيح.

إنّ فهم الأطفال لايأتي من طريق الإرشادات والنصائح المملَّة المكرورة.. المستمرَّة طوال الليل والنهار:

- ابتعد من هذا..
- لاتفعل ذلك..
- اقترب..
- اعمل..
- لاتعمل..

كان حُجة الإسلام الإمام الغزالي يلحّ على مسألة اللعب، ويقول:

«إن الدخول إلى مملكة الأطفال لن يكون إلا بالسماح لهم باللعب، وإن منعناهم عنه فسنرهقهم في التعلّم، وسنميت قلوبهم الصغيرة، ونبطىء ذكاءهم، وننغّص عليهم العيش حتى يطلبوا منه الخلاص».

والغزالي سبق بقوله هذا نظم التربية الحديثة كلّها، والنظريات المعاصرة أيضًا.

أجمل صورة للطفل وهو يلعب.. والطفولة الطويلة له تعني أنّه أكثر الكائنات نصيبًا من اللعب.

هل يجري النهر إن انقطع المطر؟ هل تعزف القيثارة إذا انقطع الوتر؟ هل تتردد الأنفاس إن نضب القلب؟..

والتعلّم الحقيقي، أيضًا، لايمكن أن يثمر إلا إذا جارى نشاط الطفل الطبيعي.

لماذا نرى أطفالنا الصّغار ضيقي الصدور، ملولين، متأفّفين، قليلي الصبر؟! لماذا نراهم متعبين، مرهقين؟! لأنّهم يحسّون بظلم الأهل لهم، ولأنّنا لم نعرف كيف ندخل مملكتهم، ولأنّنا لم نستطع فهم مايشعرون به!..

إنّ الأطفال أثمن ماتمتلك من حطام الحياة، فهم الحلقة الثمينة الغالية التي تُتَمِّمُ سلسلة الآباء والأجداد، ومن دونهم لاحياة متوالية.. والطفل طفل قبل أن يكون رجلاً؛ وإذا كنّا نريد قَلْب هذا الوضع فسوف ننتج ثمارًا فجّة. لانكهة فيها، ولاطعم ولانُضج.. لاتلبث أن يدب إليها الفساد والعطب؛ فتعالوا نفهم الأطفال، ونعرف مايحسُّون به، ونرى الصورة الصحيحة لهم، قبل أن ندخل



مملكتهم الصغيرة ـ الكبيرة، ونحطّم أمانيَّهم وأحلامهم!..

نكسبهم فنكسب المستقبل

أقول نكسب الأطفال إذن نكسب المستقبل..

الأطفال يفتحون أعينهم على الحياة، فماذا يريدون؟!

سؤال نطرحه على أنفسنا؛ إنّهم في البداية يتعلّمون حمل الأقلام، ثم كتابة بعض الحروف والكلمات، يتعلّمون التهجّي والقراءة، ويحاولون فهم الكلمات إلى الحدّ الذي يمكّنهم عمرهم العقلي منه. ثم بعدئذ ماذا يريدون؟!

نحن نعرف أنّ الأطفال يريدون الكتاب، ونعني بهذا الكتاب هنا، القصّة، ولكنهم بالطبع لايريدون القصّة غير المشوّقة، لايريدون القصّة المبتذلة طباعة وإخراجًا، إنهم يريدون القصّة التي تثير اهتمامهم الطفولي، وتفتح أمامهم أبواب المغامرة والانطلاق في الحياة.

إنّ كثيرين من الآباء يظنّون أنّ دخول القصّة إلى البيت لتكون بين أيدي الأطفال هو من باب الترف.. هكذا يظنّون،!.. ولكنْ؟ متى كانت الثقافة ترفًا، حتى لو توجّهت إلى الأطفال؟.. متى كانت الثقافة ترفًا في حياة النّاس؟ متى كانت الثقافة أمرًا هامشيًا في تكوين شخصية الفرد، أيّ فرد، سواء أكان طفلاً صغيرًا يدرج في ملاعب الطفولة، أم رجلاً ناضجًا يصرّف الأمور ويدير شؤون الحياة؟

إنّ مؤسّساتنا الثقافية، اليوم، تشهد اهتمامًا غير عادي بالأطفال، ولكن هل هناك برنامج مدروس، أو خطة مبرمجة واضحة تقوم بما تحتاجه مكتبة الطفل العربي؟.. لاأظنُّ أنّ ذلك موجود.. والذي نراه، في يومنا هذا أيضًا، من كتب الأطفال وقصصهم لايشكّل قاعدة حقيقية في أدب الأطفال، وفي التوجّه إليهم، وإن كنّا بدأنا نفكّر بهذه القاعدة، بدلالة اهتمام دور النشر العربية بنشر كتب الأطفال الهادفة، وكذلك اهتمام وزارات الثقافة بذلك.

ومع هذا وذاك مازلنا نفتقد المنهج السليم في تقديم هذه الكتب ضمن توجّه واعٍ يخضع لخطّة مدروسة، يشرف عليها مختصّون في مجال الكتابة الإبداعية للأطفال العرب، وأقول بأسف هنا: إنّه، حتى اللغة العربية، لايتمّ عبْرَها تقديم هذه القصص التي بين أيدينا، بل إنّ الذين يشهرون أقلامهم لكتابة القصص ترجمة أو تأليفًا، لايكتبون باللغة التي تناسب الأطفال، ولايدركون ـ في الأعمّ الأغلب ـ مايلائم أطفالنا منها وما لا يلائمهم.

وهنا يمكن أن نتحدّث ولاحرج، عن الأخطاء الشائعة الكثيرة في القصص الموجّهة إلى الأطفال.. وقلْ مثل ذلك في إهمالنا للتراث العربي، وعدم الإفادة منه، واللهاث وراء مايصدّره الغرب إلينا، فمازالت حكايات الأمراء والأميرات، وقصص الشعوذة والسحر تملأ أخيلة أطفالنا.

لابدّ من أن تظهر في أدب الأطفال رموز

عندما نكسب الأطفال

نكسب المستقبل!

الأمة العربية، شخصياتها، أبطالها، مواقفها، أحداثها.. وأن يسعى الكتّاب ما استطاعوا إلى شدّ الأواصر بين جيل وجيل، إلى جانب مايقدّمونه من تربية القيم الجمالية، والذوق السليم، وتعزيز الرصيد اللغوي والثقافي والقومي والإنساني.

عود على بدء أقول: نكسب الأطفال، إذن نكسب المستقبل وإلا فنحن من الخاسرين.

أناشيد الأطفال

كان تلميذ صغير، في الصف الأول الابتدائي، يقف إلى جانبي، حين وضعت كفي على كتفه وسألته:

ـ هل تحفظ بعض الأناشيد؟

برقت عيناه السوداوان، بذكاء، وقال:

ـ أحفظ.

قلت فرحًا:

ـ هات، أسمعني.

وانطلق الصغير يغرّد أمامي كما يغرّد الحسّون:

عصفور طلال

شلاّل جمال

....

....

توقّفت قليلاً عند «شلال جمال»، وطلبت إليه أن يعيدها ثانية وثالثة، فكان يفعل وقد اتسعت عيناه من الدهشة.

ترى هل يمكن لابن السنوات الستّ أن يدرك الصلة الوثيقة بين عصفور طلال وشلاّل جمال... أيّ شلاّل هذا؟ وأيّ جمال؟ هل يستطيع أن يفهم صورة ذاك العصفور الذي يخصّ طلالاً، مع صورة ذلك الشلال من الجمال؟!.

أناشيد الأطفال ليست إيقاعًا فحسب، وهي أيضًا ليست ترتيبًا متناظرًا للكلمات،

الدخول إلى مملكة الأطفال لن يكون إلا بالسماح لهم باللعب

أناشيد الأطفال ليست لغة سليمة فقط، ولكنّها هي ذلك كلّه على الإطلاق؛ هي الإيقاع الجميل، والترتيب المتناظر للكلمات، وهي اللغة السليمة المعبّرة، وهي الصورة الواضحة، لا الغامضة القلقة، أناشيد الأطفال هي التي تستخدم الخيال والحلم في الطريق الإيجابي الصحيح، ومن المؤسف حقًا ألا نلاحظ هذه الناحية في أناشيدنا المدرسية الموجّهة للأطفال؛ فالذين يكتبون هذه الأناشيد لايقومون إلا بتبسيط حقيقي لأفكار الكبار.. انظروا في أية قصيدة موجّهة للأطفال تجدوا أفكارًا تصلح للكبار، ولم يفعل الشاعر أكثر من تسهيل هذه الأفكار، وذلك من أجل إيصالها إلى دنيا الأطفال.

وبعد، فهذا الفنّ، فنّ الطفل الصغير، إن جاز لي التعبير، ليس جديدًا في أدبنا العربي، ليس جديدًا على الإطلاق، ولو أنّه لم يثبت لنا في مصادره كتابة، ولكننا توارثناه عن الأولين مشافهة. ويبدو أنّ هذه النصوص القديمة لم تكن إلا في شكل أغانٍ للأطفال بغرض ترقيصهم، وعلى كل حال، إنّ أناشيد الأطفال لن تكون ناجحة مالم تتحرّك الفكرة منها في إطار قصصي جميل، وألحّ على هذه النقطة، ثم أن تكون ـ أي الفكرة ـ في منتهى الشفافية والدقّة، وإلا فكيف يمكن أن ننمّي في الأطفال الأبرياء معاني الخير والحبّ والإحساس بالجمال، ويصحب ذلك الإيقاع المنساب الذي يلائم الأطفال، ولعلّ النشيد التالي يعطي انطباعًا جميلاً، وتأثيرًا بليغًا، ويحقّق مانصبو إليه، نذكره هنا:

جينا يانهرَ الأفراحْ.. جينا
مروانٌ أقوى سبّاحْ.. فينا
جينا نسبحْ..
جينا نمرحْ..
يانهرَ الأطفالْ..
اسمحْ يانهرَ الأطفالْ.. نشربْ
اسمحْ بالماءِ السلسالْ.. نلعبْ
يانَهر الأطفالْ..

الواقع والخيال

إنّ أعظم مكتب سياحي في العالم هو الخيال..

تذكّرت هذه الجملة، وأنا أقرأ حادثة صغيرة جرت مع الكاتب القصصي الروسي مكسيم جوركي.

عندما كان هذا الكاتب طفلاً صغيرًا،

خرجت أمُّه ذات مساء إلى مكان ما، وتركته وحيدًا مع أخيه الرضيع، فتناول الصغير كتابًا، يذكر أنّه بعنوان «ملاحظات طبيب» بقلم دوماس الكبير؛ لأنّه لم يجد شيئًا يفعله أفضل من ذلك، وقد وجد بين صفحات ذلك الكتاب ورقة من فئة العشرة روبلات، وأغلق على الصغير فهم الكتاب، لكنّه عندما أطبقه راودته الفكرة فجأة،.. إنه يستطيع أن يشتري قصّة «روبنسون كروزو»، وقد بلغه خبره قبل وقت يسير، حين كان يقصّ على الأولاد في أثناء الفرصة؛ إحدى أقاصيص الجنّيات، فقاطعه أحد الأولاد:

- إنّ قصص الجنّ لاتنفع شيئًا، أمّا روبنسون كروزو فتلك قصّة حقيقية!.

وكان عدد آخر من الأولاد قد قرؤوا قصّة كروزو فراحوا يمتدحون ذلك الكتاب، ولقد تألّم الصغير جوركي كثيرًا من سخريتهم بقصص جدّته، وعزم على أن يقول، بعد قراءته الكتاب، إنه رديء لاينفع شيئا!..

لقد كان جوركي يفضل أقاصيص هانز كريستيان أندرسون الخرافية على روبنسون كروزو الحقيقية، فالطفل يسعى وراء الخيال، والخيال يفتنه ويسحره، بل يستحوذ على قلبه الصغير.

وكتّاب الغرب جميعاً يقولون: إن أعظم مؤلّف للخيال الشعبي في العالم هو كتاب «ألف ليلة وليلة».

أوَليست حكايات ألف ليلة وليلة نسيجًا فريدًا متميّزًا، بأحلامها الساحرة العذبة، وأجوائها السحرية المثيرة، إنّها تعبير شاعريّ مذهل عن تذوّق الشعوب للخيال، إنها سجّادة شرقية، ذات جمال لايصدّق، أتتنا من الماضي السحيق لتنشر لنا تلك القصص على امتداد الكرة الأرضية.

ونحن، حين نريد الكتابة للأطفال، هل يكفي أن نتوقّف عند الملاحظة؛ هل يكفي أن ندرس أو أن نقرّر أمرًا ما، أو أن نعرّف بالواقع؟!.. إنّ ذلك كلّه سهل ميسور، ولكنّ الكتّاب الذين يتخيّلون وحدهم هم المبدعون، لأنّ العمل الفنّي ليس زورق عبور إلى الواقع، بل إلى عوالم المتغيّرات المستحيلة.

إنّ الحكايات الشعبية تنمّي مُخَيِّلَة الأطفال، وحكاية صغيرة واحدة تقدّم شيئًا غريبًا، تذكي المشاعر والحواس أهم من أي درس في الحساب!..

لابدأن تظهر في أدب الأطفال رموز الأمة العربية

إنّ أطفالنا، اليوم، لم يفتحوا أعينهم على حكايات ألف ليلة وليلة، والسندباد، وعلاء الدين، ولم يتحلّقوا حول الموقد لينصتوا إلى حكايات الجدّة. ترى هل يغني التلفاز عمّا ذكرناه؟.. هل تغني هذه القصص المكدّسة؟..

حكايات الأطفال

في الغرب، وعلى وجه الدقّة، في الولايات المتحدة الأمريكية بالذّات، بدأت الحكايات والقصص الموجّهة للأطفال تأخذ منحى جديدًا، فمعظم أقاصيصهم تتحدّث عن الرجل: طرزان والوطواط والسوبرمان.

طرزان الرجل القويّ، ذو العضلات المفتولة، الذي ينقذ المظلومين؛ ويغيث الضعفاء والمساكين، يتنقّل بين الغابات الكثيفة والأدغال الموحشة، ولاأحد يدري كيف يهبط، دائمًا، في اللحظة المناسبة، لينجد غريقًا، أو يخفّف عن ضعيف، ويظهر في كلّ مكان، فوق شجرة عالية، على ظهر فيل، برفقة فهد، مع قرد، أو نسناس صغير، في قارب، أو متدلّيًا تحت جسر،.. يقطع نهرًا، يجتاز غابة، يتسلّق جبلاً، يمرّ في مخاطر وأهوال، يحبس لها الطفل أنفاسه، يتغلّب على لصوص؛ يصرع بقبضته الحديدية رجالاً، متوحشين..

وطرزان، مع ذلك كلّه، عار، ليس معه سلاح، إلا غصن شجرة، أو سكّين صغيرة، لايصاب بأيّ أذى، ولايخدش فيه عضو، يضع كفّه فوق فمه بوقًا، ويطلق صياحًا خاصًا، صوته يدوّي في أرجاء الغابات، تستجيب له الطير، وتخضع له الحيوانات، فتمشي بين يديه، طائعة، مختارة.. تلبّي أوامره، وتأتمر بإشاراته وتوجيهاته.. إنّه قادر خارق!..

والوطواط، ذلك العملاق العجيب، الذي لايقف في طريقه شيء، ولايعترض سبيله حائل، منتصر دائمًا، قويّ دائمًا، يملك أساليب مدهشة، لاتخطر ببال أحد، يجتاز عوالم رهيبة، يحار فيها الخيال المجنّح!!

ثم السوبرمان، وهو ذروة ماوصلت إليه أقاصيصهم،.. السوبرمان رجل يملك قوة خارقة، تتحطّم دونها كلّ القوى.. وهو ذو شخصية فريدة، تأخذ بالعقول، لأنّه وحده قادر على اختراق الجدران، والطيران من

عندما نكسب الأطفال
نكسب المستقبل!

مكان إلى مكان،.. حين يحدّق بعينيه ينطلق شعاع كاشف ينفذ إلى كلّ مجهول، ربّما يحرق به مايقف في طريقه، يجعله هباءً منثورًا، إنّه يكشف الحجب والأسرار، ويعرف الأبعاد السحيقة في أعماق البحار، إنّه خارق كالأسطورة، غريب كالحلم، متميّز كالمعجزة.

وقد زادوا، اليوم، على هذه القصص كثيرًا من الخيال والعوالم الرهيبة والخوارق، حتى فاقت قصص الخيال العلميّ المعقد في كل شيء.

وقد شغلت السينما بذلك، والشاشة الصغيرة أيضًا، حتى إنّهم أخرجوا السوبرمان في أفلام ضخمة بلغت تكاليفها ملايين كثيرة من الدولارات، فالسوبرمان يأتي من كوكب الثلج إلى الأرض، بالطبع، سيختار الأرض الأمريكية، ينذر نفسه لفعل الخير.. ينقذ سفينة من الغرق، يقيم بناء آيلاً للسقوط، يزحزح عمارة من سبعين طابقًا، يمنع طائرة من أن تتحطم في الجوّ.. يقف في طريق فيضان، يحوّل مجرى نهر.. يسهم في بناء سدّ أو جسر... وهكذا..

أحياناً، نرى الطفل الصغير يخاف من هذه العوالم، لأنّه لايزال في سنّ غضّة لاتسمح له بأن يستوعب مثل هذه الخوارق الخفية والمخيفة، ولكن الطفل السويّ والكبير يمكن أن يعرف الفارق بين الخيال والواقع، بل إنّه ليستمتع استمتاعًا كبيرًا بقصص الخيال، ويعيش فيها، ومعها بكل أحاسيسه وانفعالاته.. والقصص الناجحة حقًا هي التي تساعده على خلق عوالمه الخاصة، وليس هناك شك في أنّ قصص السوبرمان والوطواط تزخر ببعض الرعب والتهويل والجموح.

وعندنا، نحن في أدبنا القصصي العربي، عملاقنا المعروف الذي يخرج من القمقم أو يسكن في زجاجة، إنّه يقول لفتى اليافع علاءالدين: شبيك، لبيك!.

نعم، علاءالدين وفانوسه السحريّ مازال

القصص الناجحة هي التي تتحرك في الواقع والخيال معًا

يعيش فينا، ومازلنا نتمنّى ـ كما يمليه الخيال ـ أن يكون لنا مثل خاتمه السحريّ العجيب، وفانوسه الأسطوري العتيق.

ويجدر بنا أن نلاحظ هذا الفارق الدقيق بين السوبرمان، وعفريت علاءالدين، وهو أنّ الشخصيات الأسطورية، عندنا، تأتمر بالعقل الإنساني، فالعملاق يقول لعلاءالدين، الفتى الذكيّ، بكل خضوع واحترام: شبيك، لبيك، عبدك بين يديك.. لأنّه مأمور، يستجيب لعقل الإنسان، ولايفعل شيئًا دون أمره وإرادته، إنّه خاضع تمامًا، بشكل أمين للإرادة البشرية الواقعية.. بخلاف السوبرمان الذي يتحرّك بملء حريته، وربّما اصطدم مع نظير له، وتطاحنا في معركة جرّت الويلات والدمار!..

إنّ الطفل، ربّما يحسّ أمام هذه القصص بالإحباط الشديد، لأنّه يتوق باستمرار إلى أن يقلّد شخصيات القصص، نحن لاننكر دور الخيال العلمي العريض الفسيح الذي يفتح أمام الطفل آفاقًا جديدة، ولكن ربما يشعر هذا الصغير الغضّ بنوع من الإحباط والعجز، وحين يعرف الطفل أنّه عاجز عن تقليد أي شيء.. سيكون لذلك مفعوله العكسي بالنسبة إليه..

لايمكن أن نقول: إنّ عملاقنا العربي، عفريت علاءالدين، أفضل من سوبرمان أمريكا، ووطواطها، وطرزانها، ولكننا نقول: إنّ القصص الناجحة حقًا، هي التي تتحرّك في الواقع والخيال معاً، تداعب أحلام الطفولة، وترسم لها الظلال والألوان، تجمع إلى براعة القصّ، التلطّف في العبارة، والدقّة في الموقف، والجمال في الصورة، والوضوح في الهدف.. وإلا فما معنى أن نقصّ له الخوارق التي يعجز خياله عن بلوغ أذيالها، وعلم النفس يقول:

إنّ قلب الصغير لايريد أن يتعلّق بأشياء لاأصل لها في الواقع.. لأنّه يطلب الواقع من طريق الخيال.. ويبقى الواقع هو الأرض الصلبة لكل تطلّعات الطفولة وأحلامها.

والقصص التي تجمع الخيال والواقع هي أهم عنده من القصص التي تقتصر على الخيال المجنّح الجامح!..

لامية العجم للطغرائي

د. علي عبدالله إبراهيم

لامية العجم واحدة من عيون الشعر العربي التي أجمع الرواة ونقاد الشعر العربي على فصاحة ألفاظها وبلاغة معانيها، وعلى انسجام أبياتها وتمكن قوافيها. وقد حظيت هذه القصيدة باهتمام العلماء والدارسين في مختلف العصور والأيام، حيث أُلِّفت كتبٌ ورسائلُ في شرحها والتعليق عليها، منها المطبوع، ومنها المخطوط الذي لم تمتد له يدُ الناشرين حتى الآن. فمن المطبوع شرح الصفدي (ت٧٦٤هـ) المسمى: "غيث الأدب الذي انسجم في شرح لامية العجم"، وشرح محمد بن عمر الحضرمي (ت ٩٣٠هـ) المسمى: "نشر العَلَم في شرح لامية العَجَم". ومن المخطوط شرح أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، وشرح لكل من ابن جماعة النحوي (ت ٨١٩هـ)، ومحمد بن أبي بكر الدماميني (ت ٨٣٧هـ). وهناك شروح أخرى ومختصرات لبعض الشروح المذكورة لايتسع المجال لذكرها. وطبعيٌّ أن عناية هذا العدد من العلماء والشراح بقصيدة واحدة لابدَّ من أن تُوفِّر لها قدرا عظيما من الذيوع والانتشار. وبعد أن عمَّت شهرتها الآفاق وأصبح اسم ناظمها على كل لسان، التفت إليها نفر من المستشرقين ومنحوها من وقتهم وفكرهم ماتستحق حتى انتهى بهم الأمرُ إلى ترجمتها ونقل معانيها إلى لغات مختلفة.

سبب التسمية

نسب عدد غير قليل من الكتاب هذه القصيدة إلى العجم، منهم على سبيل المثال ياقوت الحموي صاحب "معجم البلدان" وابن خلكان صاحب "وفيات الأعيان" والصفدي، وعند هؤلاء جميعاً أن سرَّ هذه التسمية يرجع إلى أن ناظمها الطغرائي (ت ٥١٣هـ) ينتمي إلى أصل فارسي، وأن فيها من القوة والجودة مايؤهلها لتكون في منزلة قصيدة الشَّنْفَرَيّ التي اشتهرت باسم "لامية العرب". يقول الصفدي في هذا المعنى: "وحسبك أن الناس قالوا في هذه القصيدة إنها لامية العجم في نظير تلك، بمعنى إنْ كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالأدب والأمثال والحكم فإن للعجم لامية مثلها تناظرها".

ومن الكتاب الذين تكلموا عن لامية العجم في العصر الحديث علي الطاهر الذي كتب مقالاً قام باختصاره وإعادة نشره عبدالمنعم الملوحي في كُتَيِّب عنوانه: (اللاميتان). وقد هاجم علي الطاهر كل الذين نسبوا هذه القصيدة إلى غير العرب، لأنه يعتقد أن شاعرها من أصل عربي، وليس صحيحا ماذكره الرواة والمؤرخون من أنه ينتمي إلى أصل فارسي، هذا فضلا عن أن اللامية لاتحتوي، في رأيه، على أي شيء يمكن رده ونسبته إلى العجم(١). ذكر ذلك وأحجم عن الإتيان بالأدلة والبراهين التي تؤيد فكرته. وفي اعتقادنا أن الجدل والخلاف حول أصل الطغرائي لاطائل وراءه ولن يغير أو يبدل في الحقيقة الثابتة وهي أن القصيدة المعنية قصيدة عربية، بل هي في واقع الأمر واحدة من أحسن وأجود الشعر العربي كله.

ترجمات اللامية

تُرجمت لامية الطغرائي إلى اللغات اللاتينية والفرنسية والإنجليزية وقد ظهرت أول ترجمة لها في ليدن Leiden بهولندا في عام تسعة وعشرين وستمائة وألف(٢). وربما كان جابلو المذكور آنفا هو أول من نقلها إلى اللغة الإنجليزية، ثم ظهرت لها ترجمة أخرى في أكسفورد عام ستة وتسعين وسبعمائة وألف على يد المستشرق ج.د. كارليل J.D. Carlyle، وقد أعاد و.أ. كلاوستون W.A.Clouston نشر ترجمة كارليل في عام واحد وثمانين وثمانمائة وألف بقلاسقو Glasgow في اسكتلندا.

تجدر الإشارة هنا إلى أن جابلو لم يترجم الألفاظ التي استخدمها الطغرائي ولم يتتبع قصيدته بيتا إثر بيت، وإنما نظر في القصيدة

كلها واستوعب معانيها وأفكارها ثم قام بصب تلك الأفكار في قالب جديد؛ صاغها في قصيدة تتناسب مع الذوق الإنجليزي واختار لها اسم "المسافر"(٣) The Traveller، وهي تتألف من تسعة وخمسين مقطعا، وقد ترجمتُ مقطعها الأول على هذا النحو:

في مختلف صور الحياة، وتباين أنماطها وحوادثها،

فإن الأفكار والآراء الصائبة والقائمة على أسس قوية راسخة،

كانت بمثابة الحُرَّاس لي...
تصونني عن العبث وتافه الكلام.
وكان ارتدائي ثياب الفضيلة....
وترفعي عن المظاهر الخادعة،
طموحي الأول والأكبر....
وأفضل ملذاتي في الحياة.

قوة المطلع

ولعله من المهم أن أُذكِّر القارىء الكريم بأن الطغرائي قد ذهب في مطلع قصيدته إلى القول بأن رأيه الأصيل السديد يصونه ويبعده من الاضطراب في القول والعمل، وإن مايتمتع به من علم وأدب هو في حقيقة الأمر حلية تزينه عند العطل، أي عند فقدان أعراض الدنيا وزخرفها، وأن مجده في الماضي ومجده في الحاضر سواء لاتفاضل فيه ولا اختلاف كما أن الشمس هي الشمس في أول النهار وفي آخره لاتتغير حالتها ولاتتبدل، وذلك قوله:

أصالةُ الرأي صانتني عن الخطل
وحلية الفضل زانتني لدى العطل
مجدي أخيرا ومجدي أولا شَرَعٌ
والشمسُ رأد الضحى كالشمس في الطَفَل

وقد انتهج ج.د. كارليل أسلوباً يُشبه إلى حد كبير الطريقة التي اختارها ل. جابلو لترجمة اللامية، حيث عمد هو أيضًا إلى صوغ أفكار الطغرائي في قصيدة إنجليزية(٤) ترجمت الجزء الأول منها كما يلي:

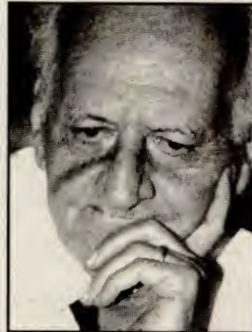


لم ألقَ "في حياتي" يدا كريمة تعينني
ولكن، ستظل قدماي ثابتتين
ولاشيء من مظاهر الأبهة الخادعة يتألق حولي....
بيد أني ملكتُ بريق المجد كله
وعلى الرغم من بُعْدي من الأهل واحتجابي عنهم،
إلا أني لم أفقد شيئا....
فمازلت أتباهى بسمعة غير ملطخة
والشمس المشرقة في أول النهار،
هي نفسها التي ترسل من جانب الغرب أشعتها الرقيقة اللطيفة.

كارليل ومنهجه المضطرب

وقد ذكر كارليل في مقدمة ترجمته للاَّمية كلاما(٥) يُحَتم علينا أنْ نقف عنده لبعض الوقت. فقد ذهب إلى أن الشهرة الواسعة التي حظيت بها هذه القصيدة هي دليل قوي ومتين على فساد ذوق الشرقيين وافتقارهم للحسِّ السليم الذي يمكنهم من التمييز بين جيد الشعر ورديئه. ولعلَّه يعني بالشرقيين العرب على وجه الخصوص. وأضاف كارليل قائلا إن لم يكن الأمر كذلك لكان من المستحيل أن يفضل الشرقيون آراء الطغرائي وأفكاره وغروره المتكلف على قصائد شعراء اليمن التي تتسم بالبساطة والوضوح، والتي تكشف عن معاني الحماسة ومآثر الأبطال. وماكان لهم أيضا لولا فساد ذوقهم أن يقدموا قصيدة الطغرائي التي تلك هي صفتها على الشعر الذي نظمه شعراء بغداد والذي فيه من الأناقة والجمال مافيه.

وكلامُ كارليل هذا فيه من الخلل والاضطراب ماهو واضحٌ بين. فالذين تكلموا عن اللامية وأشادوا بشاعرها، ومن ثم مهدوا لها طريق الشهرة والذيوع هم جماعة من علماء العربية المعروفين بعلمهم الغزير وشغفهم بالأدب الذي لاتحدُّه حدود، وماخلّفوه لنا من مصنفات حسان في مختلف علوم العربية يقف شاهداً على ذلك. وإذا تركنا هذا الأمر جانباً وسلّمنا، لبعض الوقت، بفساد ذوق شراح اللاميّة فكيف كان ينظر كارليل إلى تكالب كُتَّاب غربيين على هذه القصيدة والعمل على نقل معانيها وأفكار صاحبها إلى لغات شعوبهم؟ ولعلّه من المناسب أن أذكر هنا أنَّ ليونارد جابلو، - وأحسبُ أنه أول من نقلها إلى الإنجليزية - قد أشار في مقدمة ترجمته المذكورة إلى أنَّه سوف يسعى أو يحاول تصوير أفكار الطغرائي الرائعة الممتازة في قصيدة تتناسب مع ذوق قراء الإنجليزية، ثم قدم تلخيصا لأهم النقاط التي انطوى عليها نص اللامية وذهب إلى أنه سوف يحاول تقليدها ومحاكاتها ما استطاع إلى ذلك سبيلا.


د. علي جواد الطاهر

الطغرائي بين كارليل وكلاوستون

ومن الأدلة الدامغة على مُجانبة رأى كارليل للحقيقة وبُعده عن الصواب أنَّ و.أَ. كلاوستون الذي أعاد نشر مقدمة وترجمة كارليل لِلاَّمية

كما ذكرنا آنفا قد حذف الأسطر(٦) التي تحدث فيها كارليل عن فساد ذوق الشرقيين، مما يحمل على الاعتقاد بأنه لم يكن راضيا عن تلك الفكرة. ومن الواجب علينا أن ننظر بشيء من الحذر إلى إشادة كارليل بشعراء اليمن وبغداد واستحسانه لشعرهم، فلعله أراد بذلك أن ينال من العرب وتراثهم الشعري في عبارة تحتوي على مدح بعض شعرائهم حتى يُرى وكأنه قد ناقش المسألة بشكل موضوعي، أو حتى لايقال عنه إنه من المتعصبين أو المتحاملين على العرب.

دروس وعبر وحكم

فلامية الطغرائي ليست مجرد أبيات تكشف عن غرور ناظمها وإعجابه بنفسه أو تعبر عن أفكاره المتكلفة كما يزعم كارليل، بل هي قصيدةٌ ظاهرها شكوى ندب فيها الشاعر حظه العاثر، وصور فيها أيضا معاناته والظروف القاسية التي مرّ بها في آخر سنوات عمره. وقد استطاع الشاعر أن يُدرج في ثنايا زفراته تلك أبياتا فيها قدرٌ عظيم من الدروس والعبر، نعم هي شكوى بثّها الشاعر بعد أن حيكت ضده المؤامرات التي أفلح مدبروها في إعدام رجل طموح كان يُمني نفسه أن يجد من الاحترام والتقدير مايستحقه. بيد أن شكوى الطغرائي هذه ليست من نوع الشكاوى التي يرمي صاحبُها إلى حث الناس للعمل على تسليته أو مواساته في خطب جلل أو مصيبة كبيرة، بل هي شكوى تتجاوز حدود الزمان والمكان حتى تبدو وكأنها لم ترتبط بشخص معين، ولم تقتصر على مناسبة معروفة، ذلك لأن صاحبها الشاعر قد استطاع بفكره الثاقب ورؤيته العميقة أن يصوغها في قالب خاص، وأن يخرجها في صورة جعلتها جديرة بأن تكون بلسماً شافيا يتسابق إليه الناس ويتدافعون كلما كان ذلك مناسبا.

من المواقف والرؤى الفكرية والاجتماعية التي أبدع الطغرائي في تصويرها:

أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا
والحظ عنّيَ بالجهال في شُغُل
لعله إن بدا فضلي ونقصهم
لعينه نام عنهم أو تنبه لي
أعلل النفس بالآمال أرقبها
ما أضيق العيش لولا فسحةُ الأمل
تقدمتني أناس كان شَوْطُهم
وراء خَطْوِيَ لو أمشي على مهل
هذا جزاء امرىء أقرانه درجوا
من قبله فتمنّى فسحةَ الأجل
وأن علانيَ مَنْ دوني فلا عجب
لي أسوة بانحطاط الشمس عن زُحل
فاصبر لها غير محتال ولا ضجر
في حادث الدهر مايغني عن الحيل
ناء عن الأهل، صفر الكف منفردٌ
كالسيف عُرِّيَ متناه عن الخلل
فلاصديقَ إليه مشتكى حزني
ولاأنيسَ إليه منتهى جذلي
طال اغترابيَ حتى حنَّ راحلتي
ورحلُها وقرى العسالة الذُّبُلِ
وضج من لغب نِضْوي وعج لما
يلقى ركابي، ولج الركب في عذلي
أريد بسطة كف أستعين بها
على قضاء حقوق للعلا قبلي
والدهر يعكس آمالي ويقنعني
من الغنيمة بعد الكد بالقفل
حب السلامة يثني عزم صاحبه
عن المعالي ويغري المرء بالكسل
فإن جنحت له فاتخذ نفقا
في الأرض أو سلما في الجو فاعتزل
ودع غمار العلا للمقدمين على
ركوبها، واقتنع منهن بالبلل
يرضى الذليل بخفض العيش مسكنةً
والعز عند رسيم الأينُقِ الذُلل
إن العلا حدثتني وهي صادقة
فيما تُحدِّث، إن العز في النقل
لو أن في شرف المأوى بلوغ منى
لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل
أعدى عدوِّك أدنى من وثقت به
فحاذر الناسَ واصحبهم على دَخَل
وإنما رجلُ الدنيا وواحدها
مَن لايعوِّل في الدنيَا على رجل
وحسن ظنك بالأيام معجزة
فظُنّ شراً وكن منها على وجل
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت
مسافةُ الخُلف بين القول والعَمَلِ
وشانَ صدقكَ عند الناس كذبهُمُ
وهل يطابقُ مُعوجٌ بمعتدلِ
ماكنتُ أُوثر أن يمتد بي زمني
حتى أرى دولة الأوغاد والسفل

ومن الأمور اللافتة للانتباه أن آخر بيت في هذه القصيدة يتصل بأول بيت فيها ويتعلق منه بسبب. وإذا أردت التثبت من ذلك تصور أن شخصا ما علم، بطريقة أو بأخرى، أن صديقه فلان قد هم بالانضمام إلى أناس لم يكن هو راضيًا عنهم فسعى إلى إقناعه بالعدول عن ذلك الأمر بأن أرسل له يقول:

قد رشحوك لأمر لو فطنت له
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

ولم يمضِ وقت طويل حتى وصله الرد من صاحبه المعني يقول فيه:

أصالة الرأى صانتني عن الخطل
وحِلية الفضل زانتني لدى العطل

المراجع:

١ـ الملوحي: اللاميتان، دمشق، ١٩٦٦م، ص ش.
2- Encyiopaedia of Islam, Vol. 8,p.827.
3- The Traveller, p.9.
4- J.D. Carlyle, Specimens of Arabia Poetry, Oxford 1796, p.151.
٥ـ المكان نفسه.
6- See: W.A. Cliuston, Arabic Poetry, Glasgow, 1881, p.153.

دراسات في أدب الجزيرة العربية (٨)



ابن هتيمل الضمدي يرثي زوجه

(القرن السابع الهجري)

د. عبد الله بن محمد
أبو داهش

يظل الحديث عن واقع الأدب في تهامة عبر القرون الوسيطة الماضية ميدانًا خصبًا للباحثين، إذ مادته وافرة، وأدباؤه مبدعون، لم تنلهم أسباب الضعف، والتكلف شأن غيرهم من شعراء زمانهم. وذلك في ظني يعود إلى بعد تلك المواطن عن حواضر الأدب المعروفة في مصر، والشام، والحجاز التي تأثرت بدواعي الحضارة، وما اتصل بها من: معايشة الحضارات المجاورة، وفساد الذوق الأدبي، ودواخل العجمة، ونحو ذلك مما سلمت منه بلدان «تهامة وأحوازها» والشواهد على ذلك كثيرة في شعر هذه الأنحاء، وما القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي(١) ببعيد عن هذا الظن، إذ يتفوق شعره على شعر معاصريه الشعراء في بلدان الجزيرة العربية الذين شهدوا له بذلك في أكثر من مقام.

ويصدق هذا القول على نماذج شعرية من شعر هذا الشاعر الذي حفل به ديوانه المخطوط، وما أكثر الحسن في عطاء ذلك الديوان، وبخاصة أن الشاعر ابن هتيمل قد انتظم عمره القرن السابع بتمامه فلم يغادر شيئًا من أحداثه، مما جعل لنتاجه الماثل في هذا الديوان نكهة خاصة تحسب لهذا الشاعر لا عليه، ولكن قصيدة كالتي بين أيدينا الآن تكاد تشرق بصدق أحاسيسها عن سواها لما انتظمها من: صدق التجربة، والشعور الإنساني، وهو ماأفضى بنا في هذه الحلقة إلى تخصيص هذه المساحة لها، فهي في ظني تستحق هذا الإيثار، وتزيد عليه. هذه بيئة ضمد التهامية بمحدوديتها، وصغر مجتمعها تشهد عصر يوم من أيامها - وكان يوم السبت - فَقْدَ إحدى نساء ذلك المجتمع، وهي زوج الشاعر ابن هتيمل، واسمها: فاطمة بنت عبد الله بن سقب، فحزن زوجها الشاعر لفقدها، وافتعل - في ظني - القول ليجعل هذا المصاب يقع في عصر ذلك اليوم، بل في أول أيام الأسبوع ليحشد الشعور، ويذكي الإحساس: يوم السبت بصدارته للأيام، وعصر يومه بانصرامه، وذهاب ضوئه، واحمرار شفقه، وغياب شمسه، وبخاصة في مجتمع تهامة الساحلي، حيث البحر بهوله، واستيعابه لضوء الشمس، إنها عناصر كونية مثيرة للإحساس، يكتنفها هذا الموقف الإنساني بمرارته، وحزنه، حتى لقد قيل إن هذا المجتمع بأسره خرج مشيعًا لهذه المرأة، وقد حمّ قضاؤها ليقول زوجها ابن هتيمل عندئذ:

بنفسي عصر يوم السبت نعش
تهاداه المناكب والرقاب
تسلّ إلى الحفيرة منه شمس

تبلج من جوانبها شهاب
من الخفرات يخفي الليل منها
إذا ماجنّ مالايستراب
ففي الوقدات كانون إذ ما
لهوت بها، وفي الشتوات آب
تُكفن بالثياب فليت جلدي
لها كفن، وليت دمي خضاب
أمفتتح الخطاب إليّ خوفًا
عليَّ، وما عليّ لها خطاب
أقلبي مضغة أم طود رعنٍ
وأضلاعي حنايا أم هضاب
فإن ترني فلا وجد كوجدي
فما كمصاب فاطمة مصاب
أأم المعزبي أم ابتعاد
عن الوطن القريب أم اقتراب
أهاب عليك عادية الليالي
ولا أخشى عليك ولا أهاب
يجدد قبرك المعمور حزني
مطاولة، ومنزلك خراب
وعزّ عليّ أن أمسي وبيني
وبينك من سوى الدنيا حجاب
أُحَيِّ بالسلام فلا أُحيا
وأُعلن بالسؤال فلا أُجَابُ
وما بيني وبينك قاب قوس
وأقرب ما يكون القرب قاب

...

أوسدك التراب وكنت أحفى
بخدك أن يباشره التراب
وأسمح للبلا بجمال وجه
يؤثر في محاسنه النقاب
فما فعل الثرى ويد الليالي
بجسم كان تؤلمه الثياب
وما فعل الصِّبا الغض الموافي
بزهرته، وما فعل الشباب
وما فعلت محاجرك السواجي
وما فعلت ثناياك العذاب
تجاذبني النساءُ حبالَ ود
وهيهات المودة والجذاب!
فما عوض عن البيض الدّآدي
ولاخلف من الماء السراب

...

ستمضي إخوة خبثوا وقلوا
وتمضي إخوة كثروا وطابوا
وتنصدع الصلاب الصم حتى
تُزايل بعضها الصم الصلاب
ولا يبقى على أمد الليالي
من البشر القشور ولا اللباب
سقاك الرفه بعد الرفه حتى
يمح ثراك دمعي والسحاب (٢)

قلت: إنه وإن كان شعر رثاء الزوجة في أدبنا العربي قليل، فإن منه ما يدلل على علو قيمة ما اشتهر منه، قد يفجع الإنسان بفقد عزيز، فيقصر أدبه عن التعبير عما يختلج في فؤاده من الحزن.

ولكن تلك القاعدة قد لاتصدق، إذ نلمس أدبا رفيعًا اتخذ سيرورة لايحد مداها، شأن هذه القصيدة التي يعرفها أدباء تهامة قاطبة مما جعل لها عندهم حظوة ومكانة، لقد استطاع ابن هتيمل وهو الشاعر النابه أن يعبر عن إنسانيته بشيء من الثقة، لم يشأ وهو يعتصره الألم أن يتساهل في تحقيق تلك الثقة بل مزجها بأحاسيسه في وضوح، وتلك خصلة نادرة قد لانجدها عند سواه، تراه يقف مواقف الإيضاح بما يكشف عن ثقته بالفعل وتنسحب تجربته الذاتية، وتجربة السنين على فسحة الأمل عنده فلا يتساهل في نظرته، وإنما يؤكدها بعمق إيمانه وهو يعلم المصير، فلا يبقى إلا الحي القيوم: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾(غافر:١٦).

ولئن استحسنا حسن النسق الفني في هذه القصيدة، وجودة أسلوبها، لنقولنّ بوضوح أثر التقليد في معجمها اللفظي، وإن قائلها قد أفاد من سابقيه شيئا من ملامح أسلوبهم، وبعض ألفاظهم، بل إنه قد أحسّ - في ظني - بشيء مما يجري في مراكز الفكر والأدب يومذاك من مظاهر البناء الفني، وما توشّى به أساليب الشعراء عندئذ من البديع، ونحوه، ولكن الأمر ليس بتلك الصورة التي اتضحت عند أولئك، إذ نلحظها هنا بعيدة عن تلك الألاعيب اللفظية الظاهرة، بل هي هنا مسحة عابرة غير متمكنة.

الحواشي:

(١) قال عنه الزركلي: «شاعر المخلاف السليماني في عصره، وكان كثير التنقل بين اليمن والحجاز، مدح المظفر الرسولي ورجال دولته، وأحمد بن الحسين القاسمي الإمام الزيدي المقتول سنة ٦٥٦، وبعض أشراف مكة، وأمراء المخلاف السليماني، وعاش مايقرب من مائة عام، مات فقيرًا...» ٥/١٧٨، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

(٢) ديوانه، مخطوط، ورقة ٩٩، ١٠٠، توجد نسخة مخطوطة مصورة لدى الباحث، بدون رقم.

الشاعر الإنجليزي وليم بيكارد

طريقه إلى الإسلام بدأ من الشرق

جاء مولده في أواخر القرن الميلادي الماضي، وتفتحت عيناه على الحياة في أسرة إنجليزية نصرانية متدينة، فشب على مثالها في تدينه وتمسكه بمكارم الأخلاق، إذ أن إخلاصه في العبادة، وتفكيره الدائم في الله، أكسبه أخلاقاً فاضلة، وأسهم في حمايته من الانزلاق في السقطات التي كثيرا مايقع فيها مَنْ يماثلونه عمراً.

إنه الشاعر والقاص والمؤلف البريطاني وليم بورشل بشير بيكارد، الذي تعددت مؤلفاته وإبداعاته، لكن ظل إنجازه الأكبر تمكنه من إنقاذ روحه، وتعلقه بحبل الله.

انجذاب للشرق

أحب وليم منذ صغره القراءة، فكان الكتاب رفيقه الدائم، وحين دخل جامعة كمبردج كانت المكتبة مقصده الثاني بعد قاعة المحاضرات، قرأ عن الشرق وأحبه، واطلع على "ألف ليلة وليلة" وشدّه مافيها من خيال، وحلم بنفسه مسافراً إلى الشرق على بساط الريح، وتحققت أمنيته جزئياً بعد تخرجه في الجامعة، إذ سافر إلى إفريقيا الوسطى، وعمل إدارياً في محمية أوغندا.

ومع كثرة قراءاته بدأ الشك ينساب إلى داخله في حقيقة النصرانية، خاصة بعدما رأى بني جلدته يستعبدون الأفارقة، ويستغلونهم، وينهبون ثروات بلادهم، فيما أهل البلاد الأصليين يعانون الفاقة والجوع والجهل.

نزعة إنسانية

أدت نزعته الإنسانية تلك إلى تفكيره في حقيقة الديانة التي يعتنقها، ومايلحق بالآخرين من ظلم أتباعها، وبدأ يسمع - للمرة الأولى - عن الإسلام، إلا أن قيام الحرب العالمية الأولى قطع عليه التفكير الجدي، فالعالم يشتعل، ونيران الحرب تأكل الأخضر واليابس، فعاد إلى بلاده في معمعة الحرب. وأصيب باعتلال صحي أبقاه مدة ضعيفاً، ثم مالبث أن استرد عافيته، وأراد أن يشارك في الحرب بالخدمة في الجيش، لكن طلبه رُفض لحالته الصحية.

لم ييأس وليم، وسعى إلى الالتحاق بفرقة الفرسان المتطوعين، وتمكن من النجاح في اختباراتها، وسافر إلى الجبهة الغربية من فرنسا حيث اشترك في معركة «سوم» عام ١٩١٧م، وأصيب في ذراعه ووقع أسيراً.

مع ترجمة معاني القرآن

سافر وليم بيكارد إلى بلجيكا ثم إلى ألمانيا، حيث وضع في أحد مستشفياتها، وكان وجوده لمدة في السرير الأبيض حافزاً له لمزيد من التفكير في الأمر الذي طالما أقلق ذهنه، إذ كان يحس بأنه بعيد عن النصرانية، قريب من الإسلام، لذا أرسل إلى أهله طالبا منهم أن يبعثوا إليه بنسخة من ترجمة "سيل" لمعاني القرآن الكريم، واستجابوا لطلبه، إلا أن النسخة لم تصله، وسافر إلى سويسرا لاستكمال علاجه، وهناك أمكن له شراء نسخة من ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الفرنسية منقولة عن ترجمة "ظفري"، حيث عكف على قراءتها، وتدبر معاني القرآن الكريم السامية.

تناقض عقيدة التثليث

اهتز جسد وليم واقشعر وهو يقرأ ترجمة معنى قوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامِن إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ (المائدة:٧٣).

توقف عند قوله تعالى: ﴿مامن إله إلا إله واحد﴾، وجد في هذه الآية الكريمة مايلتقي مع العقل والفطرة السليمة. فالقول بأن لله ثلاثة أقانيم - كما تزعم النصارى - يتناقض والعقل، حيث إن تقدير ذوات ثلاثة للخالق - تعالى الله عما يقولون - يفترض معه أن تكون لكل ذات استقلالية وكيان ومشخصات، فكيف يمكن للثلاثة التلاشي والفناء في كيان وشخص واحد؟ ثم هل جميع هذه الذوات متساوية في الأقدمية والصفات؟، وحتى لو زعم النصارى أن تلك الأقانيم تشكل ذاتاً واحدة، وأن الاختلاف في الأسماء (أب + ابن + روح قدس) هو اختلاف عرضي لاجوهري، على أساس أن الذات هي الله، والابن هو عين الروح القدس، فإن المنطق يقول إن مثل هذا التقسيم قد يناسب الأجسام الكيماوية المركبة، لكنه - بالتأكيد - لايناسب الخالق - جل وعلا -.

في جامعة لندن

دارت هذه الأفكار وغيرها في ذهن وليم خلال إقامته في سويسرا، وأحس بعدها بأنه مسلم قلباً وروحاً، لكنه مع ذلك لم يشهر إسلامه، وعاد إلى لندن في ديسمبر ١٩١٨م بعد توقيع الهدنة وانتهاء الحرب، ومالبث أن التحق في عام ١٩٢١م بجامعة لندن لدراسة الأدب، لنيل درجة الدكتوراه، واختار اللغة العربية لتكون إحدى المواد التي يدرسها، رغبة منه في الاطلاع على كتاب الله بلغته.

وشاءت عناية الله أن يكون أستاذ اللغة العربية عربياً من العراق، حيث كان وليم يواظب على الاستماع إلى محاضراته في الكلية الملكية، وذات يوم قال الأستاذ ويدعى «بلشاه» لطلابه في معرض حديثه عن كتاب الله: "سواء آمنتم بالقرآن، أو لم تؤمنوا به، فانكم - بلاشك - ستجدونه كتاباً عظيماً".

ودون وعي، وجد وليم نفسه يرد فوراً: ولكني أومن به فعلا.

كانت تلك مفاجأة سارة للأستاذ، الذي لم يلبث أن طلب تلميذه في حديث قصير، دعاه بعده لمرافقته إلى مسجد لندن، الذي كان يقع - آنذاك - في منطقة نوتنج هيل جيت، وذهبا معاً، ليصير وليم واحداً من أكثر الناس تردداً على المسجد.

خطوة نحو إشهار إسلامه

كان لتردد وليم بيكارد على مسجد لندن أثره في تنامي معرفته بالإسلام، وازداد حبه لهذا الدين لما وجد فيه من سماحة في التعامل مع أهل الأديان الأخرى، ثم تلك النزعة الإنسانية الشاملة التي تضمها تعاليمه، وعدم تفرقته بين لون أو جنس أو عرق أو وضع اجتماعي.

ولم يصعب عليه أن يدرك أن الإسلام قد سبق كافة المناهج الاجتماعية الحديثة، حين جعل الاعتدال والتوسط دعامتين أساسيتين لتشريعاته، وحين أسلم الأنظمة وأقرها لمصلحة الجماعة دون أن يغفل شيئاً من حقوق الفرد، بحيث استطاع أن يحقق في توازن رائع قبل قرون طويلة، مالم تتمكن المجتمعات الحديثة اليوم من تحقيقه.

مولد جديد

كان هذا كافياً لأن يحس وليم أنه ولد مسلماً، ولو كان رسمياً مقيداً في سجلات النصارى، لهذا اختار ليلة رأس السنة لعام ١٩٢٢م ليشهر فيها إسلامه، معتبراً مولده الفعلي مع مولد العام الجديد الذي شهدت إشراقته دخوله دين الله.

لقد كان لإسلام وليم بيكارد أثره في تعرف الأجيال البريطانية الشابة على الإسلام كعقيدة وشريعة ودعوة لخير البشرية جمعاء، نظراً لمكانة الرجل الأدبية، حيث إن له العديد من المؤلفات لعل أبرزها "ليلى والمجنون" و"مغامرات القاسم" و"عالم جديد".

المسلمون الرواد

إن وليم بيكارد، وزملاءه من الإنجليز الأوائل الذين اعتنقوا الإسلام في مطلع القرن الحالي مثل لورد هدلي (أو الشيخ عبدالرحمن الفاروق كما كان يُحب أن يسمى)، والسير أرشيبالد هاملتون، والسيد جون بارلنجتون فيشر (عثمان المهدي)، وغيرهم من الإنجليز الأصليين الذين اعتنقوا الإسلام عن قناعة، بعد أن أدركوا عظمة مايضمه من قيم نبيلة، ومايشتمل عليه من صلاح للبشرية في دنياها وأخراها، قد أسهموا بشكل فاعل في بث الفكر الإسلامي الحق بين أوساط البريطانيين، ومهدوا الطريق أمام غيرهم من الدعاة.

ولو قدر لهؤلاء الرواد أن يعيشوا إلى اليوم لابتسموا فرحاً، أمام تنامي رغبة الشباب البريطاني في التعرف على الإسلام، واعتناقه.

الإسلام في بريطانيا

لقد كانت المساجد في بريطانيا في حياة بيكارد لايتجاوز عددها ثلاثة عشر مسجداً، واليوم قد تنامت حتى قاربت الأربعمائة مسجد في مدن مختلفة، حيث تتجمع الجالية المسلمة، التي زاد عددها أيضاً وتنامى من عشرات الآلاف في أوائل القرن إلى قرابة مليوني مسلم من مختلف الجنسيات، نصفها يحمل الجنسية البريطانية، بل أمكن لمجموعة منهم تشكيل الحزب الإسلامي البريطاني، الذي يعد أول حزب سياسي من نوعه في أوربا يتخصص في شؤون المسلمين.

إن من واجب دعاة اليوم أن يستكملوا المسيرة التي بدأها المسلمون الأوائل في الجزر البريطانية، عبر السعي الحثيث لنشر الإسلام في ربوعها، خاصة أن التقارير تشير إلى تنامي اتجاه الشباب والشابات في بريطانيا نحو اعتناق الإسلام، بعدما فشلت الكنيسة في اجتذابهم إلى عقيدة التثليث التي لاتتقبلها عقولهم، وتتوقع مؤسسات قياس الرأي العام أن السنوات المتبقية من القرن الميلادي الحالي سوف تشهد تحول أعداد كبيرة من الإنجليز إلى الديانة الإسلامية، باعتبارها العقيدة الوحيدة التي تقدم إجابة منطقية يقبلها العقل والفطرة لحقيقة الخالق، وتلبي حاجات الروح الإنسانية في مجتمع العدالة والمساواة.

فضيلة الشيخ :

د. صالح بن سعد اللحيدان

السيد البدوي

ما حقيقة السيد البدوي؟

محمود م .أ.، مصطفى أ . ن . أ، محمد ـ س . ط .. ج.م.ع

الذي هو معلوم عن البدوي، واسمه أحمد؛ أنه ليس من مصر إنما هو من بلاد المغرب. وأحمد البدوي صوفي النزعة، وقيل لا وجود له، إنما هناك سببان رئيسان لحصول الضريح:

الأول أن غلاة الصوفية أصحاب المكاشفات المشركة جعلوه رمزًا لهم لإفساد عقيدة العوام، ولهذا لايزوره إلا العوام، وبعض أهل العلم من ذوي البدع الذين لم يطلبوا التوحيد أولاً، ليعرفوا حقيقة الإيمان كاملة ولوازم التوحيد كما هو مدون في كتب العقيدة.

والثاني: أن النصارى لهم دور كبير في مثل هذه الحالات الشركية لأنه لا يعقل أن يتنصرَّ مسلم بحال ما، فلجأ النصارى إلى بلبلة التوحيد عن طريق بناء القباب وزخرفة المساجد القبورية بأسماء مستعارة كمحمد وأحمد وعبدالله. ولهذا نجد أغلب المساجد التي تضم قبورًا، جميلة ومزخرفة ونظيفة. وكان عميد الاستشراق زويمر وهو نصراني يقول: "يكفينا أن يشك المسلم بدينه". ومجرد الطواف والتمسح بالقبر شك بما جاء عن الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، لكنه شك جاهل أعمى ـ وقد حصل هذا ـ وهذا سبب لانتشار الفقر والمرض، واضطراب النفس، لأن التوحيد الصحيح يحفظ اللّهُ صاحبه ويحوطه بالرعاية من كل خوف ومرض وفقر في حالات كثيرة، فإذا تخلى المسلم عن التوحيد ولجأ إلى دعاء الأموات وجعلهم وسيلة، أو جعلهم شُفعاء فإنه يكون قد أشرك، ومن هنا يرفع اللّهُ تعالى عن أهل الشرك والظلم رحمته وحفظه ويكلهم إلى أنفسهم فيكلّون ويموتون يوم يموتون وهم بين: كبر سن وخوف ومرض وحسرة، وسوء خاتمة، ومن تدبر حال الناس وجد هذا.

العقيدة الطحاوية

لمن الطحاوية؟ ومن شارحها؟

م/أ ـ سورية

الطحاوية اسم ارتبط بمصر منذ القديم، وطحا قرية تقع في الصعيد، تلك التي أظهرت للناس علماء ودعاة من الفحولة بمكان كبير، ومن هؤلاء: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الذي صنف الطحاوية في عدة وريقات فظهرت سفرًا خالداً جمعت بين حقيقة الحياة وعرض التوحيد وفقه العقل، وثقافة النص، ولايكاد أحد من العلماء في القديم والحديث خاصة أبناء مصر إلا وهو يعرفه لا لشهرة الكتاب، لكن لعظم ما جاء فيه من تحقيق لمراد توحيد الرسل عليهم السلام، والإيمان، والإحسان، والإسلام، يقول أحمد بن محمد شاكر في تعريفه: «هذا شرح نفيس للعقيدة السلفية التي كتبها الطحاوي، الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة، أبوجعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الحنفي». ثم أورد توثيق ابن يونس، يقول: «قال ابن يونس كان ثقة ثبتًا فقيهًا عاقلاً لم يخلف مثله». ولد بمصر سنة ٢٣٧هـ ومات بها في مستهل ذي القعدة سنة ٣٢١هـ.

والطحاوية كتاب قليل الصفحات صغير الحجم لكنه كتاب قيم، شرحه وبيّن حقيقة ما جاء فيه من الحكمة والسداد كثير من العلماء عبر القرون، يقول أحمد شاكر في ص ٧: «وإنا نثبت هنا أسماء شارحي هذه العقيدة «الطحاوية» الذين عدهم صاحب «كشف الظنون» وهم سبعة من علماء الأحناف في مختلف الأزمان:

المولى أبوعبدالله محمود بن محمد بن أبي إسحاق، ومحمود بن أحمد الحنفي المتوفى سنة ٧٧٠هـ، وشجاع الدين هبة الله التركستاني المتوفى سنة ٧٣٦هـ، ونجم الدين بكبرس التركي المتوفى سنة ٩٥٢هـ، والقاضي سراج الدين عمر بن إسحاق الهندي الحنفي المتوفى سنة ٧٧٣هـ، والمولى كافي الحسن البسنوي الاقمصاري المتوفى سنة ١٠٢٥هـ، وصدر الدين علي بن أبي العز الأزدي الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ٧٤٦هـ».

ثم يجتهد شاكر في بيان من يكون صاحب هذا الشرح الجامع المفيد، الجامع بين الرواية والدراية يقول: «والذي يترجح الظن أنه الشارح: صدر الدين علي لاتفاقه مع الشيخ ابن كثير في الوقت، والبلد، والله أعلم».

الحناء والمعجون والمال المسروق

هل الحناء يمنع الوضوء؟

هل يجوز استعمال الفرشة والمعجون في نهار رمضان؟

كيف يُرد المالُ المسروق إذا جُهل صاحبه؟

ب.ب.ب ـ كيفان ـ الكويت

الحناء ليس حائلاً يمنع وصول الماء إلى البشرة، فقد كان بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يحنون لحاهم ويتوضؤون للصلاة.

واستعمال الفرشة والمعجون يحسن أن يكون بعد السحور مباشرة، ولا بأس من استعمالهما في نهار رمضان إذا لم يُبلع المعجون فيدخل الحلق، والله تعالى أعلم.

أما رد المال المسروق فلا أدري كيف يُجهل صاحبه كما تذكر، لكن إن كان هذا هو الحاصل، فإنه يتصدق به على المحتاجين، أو يجعله في جمادات يستفاد منها، والله أعلم.

أضواء على الوقف عبر العصور

د. حسن عبد الغني أبو غدة



المسجد الأموي

للوقف تعريفات عديدة متقاربة، منها أنه : حبس العين ـ كمسجد وبستان ومدرسة ـ عن التمليك للناس، وتسبيل منافعها(١). ومعنى هذا : أن الأشياء الموقوفة يُمنع أن يَتَملَّكَها أحد من الناس، لأنها انتقلت إلى ملك الله تعالى، لكن لا يُمنعون كلهم أو بعضهم من أن يستفيدوا بمنافعها وثمراتها ـ كالصلاة في المسجد والأكل من البستان والتعلّم في المدرسة ـ تبعاً لرغبة الواقف وشروطه.

ومن الألفاظ المستعملة التي يُراد بها الوقف والأوقاف : السبيل، وجمعه سُبُل، والأحباس، والحُبُس ـ جمع حَبْس ـ والصدقة الجارية، والتأبيد ـ لكون الوقف مؤبد المدة ـ.

الوقف في اللغة

من المعاني اللغوية للوقف : الحبْس، والوَقْف : مصدر للفعل وقَفَ، يقال : وقف، يقف، وقْفًا : حبَس، يَحْبِسُ حبْسًا. ومن هذا قولهم : وقف الرجل بستاناً : حبسه وجعله موقوفاً في سبل الخير. أما قولهم : أوقف (بالهمز) الرجل بستاناً، فهي لغة رديئة غير فصيحة.

وكما أن الوقْفَ مصدر، فهو أيضاً: الشيء الموقوف، وهذا من باب إطلاق المصدر وإرادة المفعول كقولهم : هذا الكتاب وقف : بمعنى موقوف، ويجمع الوقف على وقوف وأوقاف، ومن هذا قولهم : وزارة الأوقاف(٢).

مشروعية الوقف في الإسلام

ذهب جمهور العلماء إلى أن الوقف مشروع(٣)، وقد

ندب إليه الإسلام ورغَّب فيه، وجعله من أفضل القربات المستمرة التي يُتَقَرَّبُ بها إلى الله تعالى. قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاثة أشياء : صدقة جارية، أو علم يُنْتَفَعُ به، أو ولد صالح يدعو له»(٤). وقد ذكر العلماء أن الصدقة الجارية هي : الوقف(٥).

وجاء في حديث آخر : «من احتبس - أي وقف - فرساً في سبيل الله إيمانا واحتساباً، فإن شبعه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة حسنات»(٦).

ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، لم يكن بها ماء يُستعذب غير بئر رومة، وكانت لرجل من بني غفار، وكان يغالي في بيع الماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من يشتري بئر رومة بخير له منها في الجنة؟» فاشتراها عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بخمسة وثلاثين ألف درهم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «اجعلها سقاية - أي سبيلاً - للمسلمين وأجرُها لك»، ففعل(٧).

واستشار عمر بن الخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم في قطعة أرض ملكها بخيبر يقال لها : «ثمْغ» لم يملك قطّ أنفسَ منها، فقال له : «احبس أصلها، وسبّل ثمرتها»، فوقفها عمر رضي الله عنه على أن لا تُباع ولا توهب ولا تورث، وأن ينتفع بها الفقراء وذوو القربى والرقاب - أي العبيد - والضعيف وابن السبيل، لا جُناح على وليِّها - أي ناظر الوقف - أن يأكل منها أو يطعم صديقاً له بالمعروف(٨).

والحوادث الدالة على مشروعية الوقف كثيرة، فقد وقف الرسول صلى الله عليه وسلم، ووقف أصحابه رضي الله عنهم : وقف النبي صلى الله عليه وسلم سبعة حوائط - أي بساتين - كان قد فوّضه بها أحد المحاربين الذين قتلوا، فجعلها النبي صلى الله عليه وسلم في الفقراء والمساكين والغزاة المجاهدين وذوي الحاجات(٩).

ووقف المسلمون مسجد «قُباء» أول مسجد بُني في الإسلام في بداية الهجرة، (١٠)، ثم وقفوا المسجد النبوي، وكان أرض بستان لبني النجار، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفع لهم ثمنه فقالوا : والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى، فَسُرَّ لذلك، ثم شرع في بناء المسجد (١١).

ووقف أبو بكر وعلي ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وعائشة بنت أبي بكر وصفيّة بنت حُيي رضي الله عنهم جميعا(١٢).

ووقف خالد بن الوليد أدراعه وأفراسه وأعتاده في سبيل الله تعالى(١٣). ووقف أبو طلحة الأنصاري أرضاً نفيسة يقال لها «بَيْرُحَاء» وفيها ماء عذب طيب، فجعل كل ذلك في فقراء قرابته، استجابة لتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم إياه(١٤). وحفر سعد بن عبادة بئراً وسبّلها وجعل أجرها لأمه(١٥).

ووقف الزبير بن العوام داراً له على المردودة - أي المطلقة - من بناته، وعلى الفاقدة التي مات زوجها(١٦). ووقفت صفيّة بنت حُييٍّ زوج النبي صلى الله عليه وسلم على أخٍ لها يهودي(١٧).

قال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه : «ما أعلم أحداً - من الصحابة رضي الله عنهم - ذا مقدرة، إلا حبس مالاً من ماله، صدقة موقوفة، لا تُشترى، ولا تُورث، ولا توهب»(١٨).

وهكذا يتّضح مما سبق : أن الوقف مشروع مندوب إليه، وأن أوقاف الصحابة رضي الله عنهم مشهورة ومنقولة.

من أهداف الوقف في الإسلام

إن الهدف الأسمى للوقف في الإسلام هو التبرّر إلى الله تعالى، والتقرُّب إليه بالطاعات الدائمة وأعمال البرِّ والخير المتجدِّدة(١٩)، ويظهر هذا الهدف في الحديث الآنف ذكره : «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً واحتساباً...»

غير أنه يضاف إلى هذا الهدف أمور أخرى مهمة، أشارت إليها مجموعة الأحاديث والوقائع السابق ذكرها، وهي تنسجم مع كون الإسلام دين حياة، جاء لتحقيق مصالح الناس وتوفير السعادة لهم، وهدايتهم للتي هي أقوم. ومن هذه الأمور ما يلي(٢٠):

١ - تنظيم الحياة بمنهج التكافل الاجتماعي الحميد المتوازن، الذي يقوّي الضعيف، ويعين العاجز، ويحفظ حياة المعْدم، ويرفع حياة الفقير والمحتاج، في الوقت الذي تُحْتَرم فيه إرادة فاعل الخير، وتُحقَّق رغباته البنّاءة المشروعة، من غير إضرار به أو ظلم يقع عليه.

٢ - تحقيق منافع معيشية واجتماعية وثقافية مستمرّة ومتجدّدة في أزمنة متلاحقة، وذلك من خلال وقف الخانات (الفنادق)، والسقايات، والمستشفيات، ودور العجزة، والمساجد، والمصاحف، والكتب، والمدارس، ونحوها مما سيأتي بيانه.

٣ - إطالة أمد الانتفاع بالمال - ما دام ذلك ممكناً - إلى أجيال متعاقبة، حيث تستفيد الأجيال اللاحقة



وقف المدارس كان له الأثر في نشر الإسلام

بالوقف، كما استفادت به الأجيال السابقة.

٤ ـ تأمين الواقف مستقبل أقربائه وذريته وآخرين من الأجيال القادمة، وذلك بإيجاد مورْد لهم، يدفع عنهم الحاجة والفقر، فربما لا يتهيأ للخلف توفير أموال تعينهم على عوادي الزمان.

٥ ـ استمرار حصول القربة ورضوان الله تعالى للواقف في حياته أو بعد مماته. وهكذا، فإن مجموع البواعث والمقاصد تدل على سمو نظرة الإسلام إلى الوقف، ونبل تشريعاته فيه.

أنواع الوقف

ينقسم الوقف إلى نوعين اثنين :

أولهما : الوقف الأهلي والذُرّي، حيث يَخُصُّ الواقف بمنافع وَقْفِه أناساً من أقربائه وأولاده وذرياتهم من بعدهم (٢١).

وثانيهما : الوقف الخيري العام، حيث يبادَر فيه إلى تقديم المنافع والخدمات الاجتماعية المجانية لأصناف وفئات متنوعة في المجتمع الإنساني، كالفقراء والمرضى والعميان والأيتام وطلاب العلم والمعرفة ونحوهم ممن سيأتي بيانهم(٢٢).

وهذا التقسيم لأنواع الوقف تقسيم فقهي تصنيفي، استُقي من مجموع الأحاديث النبوية في الوقف عامة، وكان يمارسه المسلمون بنوعيه، تحقيقاً لمعنى التقرب إلى الله تعالى وإشاعة للخير والبر والإحسان بين الناس.

ومن المقرر أن للواقف أن يخصّ أقرباءه بفعل الخير(٢٣)، كما في إرشاد النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة - رضي الله عنه - أن يجعل وقفه في قرابته : «أرى أن تجعلها في الأقربين» (٢٤). كما أن للواقف أن يشمل بفعل الخير من يشاء من الناس، مسلمين وغير مسلمين، لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في القصة المتقدمة : «احبس أصلها، وسبِّل ثمرتها ...».

وتجدر الإشارة هنا إلى فضل صلة الأقارب، وبخاصة الفقراء، وهذا سرّ تقديم الله تعالى لهم في الترتيب على من سواهم في قوله : ﴿وآتى المالَ على حُبّه ذَوِي القُرْبَى واليَتَامَى والمسَاكينَ وابنَ السَّبِيلَ والسَّائلينَ وفي الرِّقَاب﴾ «البقرة: ١٧٧»(٢٥). ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف : «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذوي الرحم ثنتان : صدقة وصلة» (٢٦).

بعض أحكام الوقف

عمل الإسلام على إرساء قواعد إيجابية بنّاءة للوقف، وفَتْح ميادين الخير به، وإفادة أطراف متعدّدة في الحياة الإنسانية، لتحقيق مزيد من السعادة والرقيّ للبشرية التي أكرمها الله تعالى. وقد أحاط الإسلام ذلك بتنظيم دقيق وأحكام مفصّلة مضبوطة، لتحمي هذا الجانب الخيري الإنساني من عوامل الأنانية والانحراف والزيغ عن أهدافه النبيلة.

ومّما شرعه الإسلام في هذا : أنه اشترط شروطاً معينة، في الواقف الذي يفعل الخير، مثل : العقل، والبلوغ، وكونه مالكاً للمال المراد وقفه، وأن يكون مختاراً غير مكره، وأن لا يكون سفيها يسيء تدبير أمواله، ونحو هذا مما يعرف بشروط أهلية المتبرّع(٢٧).

كما ينبغي أن يكون الوقف ناجزاً حالاً غير مؤجل، معلوماً غير مجهول، وألاّ يكون مرهوناً بحق للغير(٢٨).

والوقف لازم بعد وقوعه لا خيار للواقف في الرجوع عنه؛ حيث إنه انتقل إلى ملك الله تعالى، ولم يعد ملكاً للواقف، ولا ملكاً للموقوف عليه في قول جمهور العلماء(٢٩). ولهذا لا يصح بيع الوقف ولا هبته ولا توريثه، لحديث عمر المتقدم:«لا تُباع ولا توهب ولا تورث».

هذا، وقد دعا الإسلام إلى احترام إرادة الواقف وتنفيذ رغباته، ومراعاة شروطه المشروعة، ما وُجدَ إلى تحقيق ذلك سبيل ممكن(٣٠).

ومنع الوقف على المحرَّمات والمعاصي، وما لا يُتَقَرَّب به إلى الله تعالى(٣١)، ومثله وقف ما يضر بالناس، ويفسد العلاقات الإنسانية الفاضلة فيما بينهم.

كما حرّم الإسلام الوقف بنيّة الإضرار بالورثة أو حرمانهم من الميراث(٣٢)، ومنَعَ حصر الوقف في الأغنياء فقط، وتخصيصهم به دون غيرهم من الفقراء(٣٣)، لما في هذا من مخالفة مبدأ التقرب إلى الله تعالى بإشاعة الخير وأسبابه على ضعفاء الناس ومحتاجيهم، وفي نحو هذا يقول الله تعالى : ﴿كي لا يكونَ دُولَةً بين الأغنياء منكم﴾(٣٤).

وأمر الإسلام بأن يكون متولي الوقف مُتَّصفًا ولو بالحد الأدنى من الكمال الإنساني، فاشترط له صفات العدالة ـ حسن السيرة والأمانة والنزاهة ـ والكفاءة(٣٥).وشرع محاسبته للتحقق من أساليب إدارته للمال الموقوف(٣٦).ورغّب في إعطائه أجراً عادلاً على عمله(٣٧)،استدامة لأسباب البر والخير، وإعانة له على ما هو في سبيله.

ورغبة من الإسلام في توفير وتوسيع مجالات التكافل الاجتماعي المجاني بين أفراد الأمة، أجاز وقف الأموال المنقولة(٣٨). كالمصاحف والكتب والأثاث وأدوات الطبخ ونحوها، ليستفيد منها المحتاج إليها، وكذلك الأبقار والأغنام،ليشرب من لبنها الفقراء والمسافرون وأبناء السبيل وغيرهم، كما أجاز وقف الأموال الثابتة غير المنقولة(٣٩)، كالمساجد والمدارس والمستشفيات والقناطر والجسور ...

وشرع الإسلام الوقف على أشخاص مبهمين غير معيّنين، لكنهم محصورون بأوصافهم(٤٠) كالفقراء والعميان والمرضى وطلاب العلم، كما شرع الوقف على أشخاص معروفين ومعيّنين بأسمائهم(٤١).

ومن سماحة الإسلام وإنسانيته أنه أجاز الوقف على غير المسلمين من أهل الذمة (٤٢)،من أصحاب الديانات الأخرى المحتاجين إلى ذلك، إشاعة للخير، وإسعاداً للجنس البشري الذي كرّمه الله تعالى، وتوفيراً لمتطلباته الفطرية في حياة كريمة، وتقدَّم أن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقفت على أخٍ لها يهودي.

كما سمح الإسلام بوقف المُشاع غير المقسوم، ولو أنه لا يقسم مستقبلاً،بشرط أن لا يضارّ الشريك كوقف دار لتسكن، أو بقرة ليشرب لبنها، أو فرس ليجاهد عليها(٤٣).

وشرع للمحسنين أن يكون وقفهم مؤبّداً غير مؤقت(٤٤)، ليبلغ خيرهم مداه الأقصى الممكن في البعد الزمني على مرّ الأجيال اللاحقة، وتدوم لهم آثاره الطيبة وحسن ثوابه المتجدّد.

وأجاز الإسلام تأجير الوقف ـ بحسب رغبة الواقف ـ للاستفادة من ريعه في مجالات البر والخير، التي يحدّدها الواقف، أو تمليها الحاجة المشروعة(٤٥) كما أجاز بيع الوقف المتعطل للحاجة، إذا لم يعد الانتفاع به ممكنا، ثم شراء ما يقوم مقامه ـ بحسب الإمكان ـ بالثمن

الذي بيع به(٤٦).

كما أجاز وقف المريض مرض الموت - وهو المرض الذي يتوفى فيه الشخص - غير أن هذا الوقف يعد كالوصية، ويصحّ منه المقدار الذي لا يتجاوز ثلث تركة الميت، إلا إذا رضي الورثة بأكثر من ذلك(٤٧).

الوقف عند الأمم القديمة

كانت بعض الأمم القديمة تمارس أنواعاً من التصرفات المالية، تلتقي في بعض مراميها ومدلولاتها بما تقدم في الوقف الإسلامي، وتخالفه في مجالات أخرى مهمّة: عقدية دينية، وإنسانية حضارية، كما سيتضح لاحقاً.

فقد كان ملوك البابليين يَهَبُون لبعض موظفيهم حق الانتفاع ببعض أراضيهم، دون أن يملكوها، أو يتصرّفوا فيها ببيع أو هبة أو نحوها. وكان القانون يسمح بانتقال حق الانتفاع بهذه الأراضي إلى ورثة أولئك الموظفين - بعد موتهم - بحسب شروط موضوعة في الاستحقاق الترتيبي(٤٨).

أما عند الفراعنة فقد دلت الآثار المكتشفة حديثا في مصر، على أن بعض الناس كانوا يرصدون بعض العقارات الشاسعة على المعابد والمقابر والتماثيل؛ ليصرف ريعها في إصلاحها وترميمها واستدامتها، وتيسير إقامة الشعائر فيها، كما كان ينفق من ذلك الريع على الكهنة وخدّام دور العبادة، وكان دافعهم إلى تلك التصرفات التقرب إلى الآلهة بحسب زعمهم(٤٩).

وفي بعض الأحيان يخصّ هؤلاء المتبرعون أولادهم وذرياتهم بريع ومنافع العقارات التي رصدوها وحبسوها، من غير أن يكون لهم الحق في تملك هذه الأعيان أو تمليكها للآخرين(٥٠). وربما اشترطوا في تلك الأحباس شروطاً معينة، كإشراف الابن الأكبر من كل طبقة على إدارة الأحباس، مع التأكيد على منع التصرف بالأعيان ذاتها(٥١).

أما في زمن الرومان فقد قام الناس بتطوير نظام الأحباس، فجعلوها في مؤسسات تابعة للكنيسة - بعد ظهور الديانة النصرانية - تقوم على رعاية الفقراء والضعفاء والعجزة(٥٢).

لكنهم كانوا لا يعتدّون بإضفاء صفة القداسة على الأرض التي يحتبسها المتبرع ويرصدها، ما لم يقم الكاهن بإجراءاته الشكلية المعينة وطقوسه الدينية الخاصة في هذا المجال (٥٣).

وكان من جملة معتقداتهم في الإرصادات والأحباس: أن هناك أشياء مقدسة هي خالصة لله تعالى - بحسب زعمهم - كالمعابد والنذور والهدايا، حيث لا يجوز بيعها ولا رهنها ولا تملكها من قبل أحد(٥٤).

كما كانوا يرون أيضاً: أن المكان المقدس الذي ينهدم بناؤه تظل أرضه مقدسة أبدًا(٥٥). وإضافة إلى هذا النوع من الأحباس، فقد كان بعض الرومان يرصدون الأموال على أقربائهم وذرياتهم من بعدهم لينتفعوا بها. ثم إنه ترتب على التوسع في هذا المجال الأهلي الذي شلل في بعض نواحي النشاطات الاقتصادية والاجتماعية، فأصدر «يوستنيان» في القرن السادس للميلاد أمره بإلغاء الأحباس الأهلية إذا تجاوزت أربع طبقات، ووجوب تمليكها لهذه الطبقة الأخيرة (٥٦).

أما عند الجرمان، فكان يسمح للمتبرع برصد جميع أمواله أو بعضها لأسرة معينة، ولو لمدة محدودة أو إلى حين انقراض هذه الأسرة. وربما جعل الاستحقاق فيه لجميع أفراد الأسرة أو بعضهم، وربما أُعطي الذكور دون الإناث، أو قُدِّموا عليهنّ أولاً(٥٧).ولم يكن من المسموح به للمحبوس عليه التصرف بذوات الأحباس بيعاً أو هبة أو توريثا، وإنما الانتفاع بالريع والثمرات فقط(٥٨).



الجامع الأزهر

الوقف عند الأمم الحديثة

انتشرت في فرنسا في عصر النهضة الأوربية فكرة الإرصادات العامة الخيرية، وصارت تتصف بمظاهر حضارية نوعاً ما، حيث وجِّهت إلى ملاجئ العجزة، وإلى المدارس ودور العبادة والمستشفيات ونحوها. وربما كان سبب ذلك اتصال الفرنسيين بالحضارة الإسلامية في الأندلس، وفي سواحل بلاد الشام ومصر أثناء قدومهم للحروب الصليبية، كما ستتضح الصورة أكثر فيما بعد.

والمنقول أنه في عهد «لويس الثالث عشر» في القرن السابع عشر، وصلت الإرصادات والأحباس إلى ما يقرب من ثلث مساحة فرنسا(٥٩).

ولما قامت الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، أُلغيت تلك الإرصادات، وضُمَّت إلى أموال الدولة، لكنه سرعان ما وُضع نظام خاص يعطل أمر الإلغاء، ويعترف بالإرصادات ومشروعيتها، لكنه يوفق - قدر الإمكان -

بين فكرة الأعمال الخيرية ذات الطابع الاجتماعي وبين المصلحة العامة (٦٠).

ويوجد اليوم في القانون الفرنسي نوع من التصرفات المالية التي أطلق عليها اسم «الهبة المتنقّلة»، حيث تشبه إلى حدّ كبير مايعرف بالوقف الذري، إذ أجاز القانون للأب أن يهب أو يوصي بعقار إلى ولده لينتفع به، ثم إذا مات ينتفع به أولاده أو إخوانه من بعده، على وصف معيّن(٦١).

كما يوجد اليوم في القانون الفرنسي نص صريح في الإرصادات الخيرية العامة، إما بإنشاء المتبرع نفسه مؤسسة خيرية كمستشفى أو مدرسة أو ملجأ للعجزة، وإما بمشاركته في مؤسسة خيرية عامة معترف بها قانوناً، كإنشائه جناحاً أو سريراً في مستشفى، أو كرسيًا للدراسة في جامعة ...(٦٢).

وإذا بحثنا في النظام الأنجلو أمريكي، نجد نوعاً من التصرفات المالية يسمى: «الترست»، الذي عرّفوه بأنه : وضع شخص مالاً معيناً في حيازة شخص آخر يسمى الأمين أو الوصي، ليقوم باستغلاله لمصلحة شخص ثالث يسمى : المستفيد أو المستحق(٦٣).

ويهدف هذا النظام إلى توفير الحماية المعيشية لزوجة المتبرع أو ذريته، من خلال ما يسمى بـ «الترست الواقي». كما أن من أهداف نظام «الترست» المعلنة أيضاً : تحقيق الرعاية والخدمة الاجتماعية من خلال القيام بنشاطات ذات نفع عام، وهو ما يسمى بـ «الترست الخيري».

وفي نظام «الترست» عامة مجموعة من الأحكام التفصيلية، مثل : جواز أن يكون «الوصي» شخصية طبيعية كالأفراد مثلا، أو شخصية اعتبارية كمؤسسة خيرية. كما يجوز بيان أوصاف المستفيد أو طبقته، ولو لم يذكر باسمه أو بذاته كأن يقال : للأحفاد أو الأيتام ...(٦٤). وإذا انقطعت جهة «الترست الخيري» فالقاعدة أن تصرف الإرصادات في أقرب غرض خيري مجانس للغرض الخيري، فإن تعذر هذا، فللقاضي صرف المال في جهة خيرية أخرى يراها(٦٥).

وهناك أحكام وتنظيمات وشروط أخرى مفصلة، يقصد بها تيسير وتطوير ضبط الاستفادة من نظام «الترست» بنوعيه «الواقي» و«الخيري»، الأمر الذي سبق الإسلام إليه بنزاهة وجدية، وعمل به المسلمون في مراحل تاريخهم بصدق وموضوعية، كما هو مدون في كتب الفقه والقضاء والتاريخ(٦٦).

الأوقاف الإسلامية وآفاقها الإنسانية الحضارية

ليس أدلّ على رقي الأمة وجدارتها بالحياة من سموّ النزعة الإنسانية في أفرادها، سموا يفيض بالخير والبرّ والرحمة والمعروف على جميع الكائنات الحية، وبهذا المقياس تخلد حضارات الأمم ويفاضل بينها، وقد بلغ المسلمون في هذا مكانة لم يصل إليها شعب من قبلهم على الإطلاق، ولم تلحق بهم أمة من بعدهم حتى الآن، وسبق بيان أنه في العصور القديمة لم تكن الأمم تعرف ميادين للأحباس والإرصادات إلا في نطاق ضيق، لا تتجاوز في كثير من صورها المعابد وكهنتها وسدنتها، وأولاد المتبرع وذريته.

أما في العصور الحديثة، فإن الغرب، وإن بلغ الذروة في استيفاء الحاجات المعيشية عن طريق المؤسسات الاجتماعية الخيرية، لكنه لم يبلغ ذروة السمو الإنساني الخالص للخالق الرازق عز وجلّ، كما بلغته الأمة الإسلامية في عصور قوتها ومجدها، أو عصور ضعفها وانحطاطها(٦٧).

ذلك لأن الباعث الأكبر في اندفاع غير المسلمين نحو المبرات الإنسانية العامة والخاصة، هو طلب الشهرة والجاه والذكر الحسن، وانتشار الصيت وخلود الاسم بين الناس، أو كما يقال : «في سجل الخالدين»، بينما كان الدافع الأسمى والأول في أوقاف المسلمين تحقيق طاعة الله والتقرب إليه سبحانه بما هو مشروع ومرضيٌّ من قبله عزّ وجل، وهذا معنى قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : «لم يحبس أهل الجاهلية ـ فيما علمته ـ داراً ولا أرضاً تبرّرًا بحبسها، وإنما حبس أهل الإسلام»(٦٨). بمعنى أن أوقاف المسلمين تقع منهم إيماناً واحتساباً وتبرّراً إلى الله تعالى، علم الناس بذلك أو لم يعلموا. (انظر ما تقدم في أهداف الوقف في الإسلام).

وحسبنا دليلٌ على هذا : أن صلاح الدين الأيوبي أنفق أمواله على جهات البرّ الاجتماعية، وملأ بلاد الشام ومصر بالأوقاف الخيرية من مساجد ومدارس ومستشفيات ورباطات ـ مراكز لإقامة المجاهدين وتزويدهم بالمؤن والعتاد والخيل ـ وغيرها دون أن يسجّل على واحدة منها اسمه، وهذا غاية ما يكون من التجرّد عن حظوظ النفس في أعمال البرّ والخير(٦٩).

وأمر آخر : هو أن الغربيين، في مؤسساتهم الخيرية الاجتماعية، كثيراً ما يحصرون الانتفاع في مواطنيهم من أبناء دولتهم، أو من أبناء مدينتهم أو ديانتهم، في حين أن الأوقاف الخيرية عند المسلمين كانت تفتح أبوابها لكل إنسان، بصرف النظر عن جنسيته ولغته وبلده ودينه ..(٧٠).

وهناك فرق ثالث مهم أيضاً، وهو : أن المسلمين وجّهوا أوقافهم إلى وجوه من البرّ والتكافل الاجتماعي، بل الإنساني، مما لم يعرفه الغربيون ولم يمارسوه حتى اليوم، وهذه الوجوه تبعث على التعجّب والدهشة، وتدل على أصالة النزعة الإنسانية عند المسلمين، وعلى عمقها وشمولها وصفائها وتجرّدها، تحقيقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»(٧١).

لهذا أقبل المسلمون رجالاً ونساء على الوقف بحماسة وإخلاص، بدءاً من جيل الصحابة ـ كما سبق بيانه ـ ثم الأجيال التي تلتهم، حتى امتلأت البلاد الإسلامية بالأوقاف الخيرية التي بلغت حداً من الكثرة استدعت أن تخصّص لها اليوم في كل قطر إسلامي وزارة تسمى «وزارة الأوقاف».

وأول الأوقاف التي اهتم بها المسلمون المساجد، فكانوا يعمرونها بسخاء وكرم، وحسبنا أن نذكر الجامع الأزهر بالقاهرة، والمسجد الأموي بدمشق، ومسجد قرطبة بالأندلس، حتى قيل : إن عدد مساجد قرطبة في القرن الثالث الهجري ـ العاشر الميلادي ـ بلغ ستمائة مسجد، كانت توقف معها الطنافس والإنارات والمصاحف ونحو ذلك ...(٧٢).

ومن أهم الأوقاف الإسلامية الخيرية المدارس، وكانت من الكثرة بحيث بلغ عددها في جزيرة «صقلية» ـ في إيطاليا اليوم ـ أكثر من ثلاثمائة مدرسة، ضمّت عشرات الآلاف من الطلاب، في تعليم مجاني للجميع، يجلس فيها ابن الفقير إلى جانب ابن الغني في مختلف المراحل التعليمية. وكان هناك قسم داخلي مجاني للغرباء، يتهيأ لهم فيه الطعام والنوم والمطالعة والعبادة ووسائل النظافة والمرافق الصحية الأخرى. وكان المحسنون من المسلمين يقفون هذه المدارس العلمية التي لا

تزال آثارها باقية في عامة المدن الإسلامية، كالقدس والقاهرة ودمشق ومكة والمدينة وتونس والقيروان ونيسابور وبغداد وإسطنبول وغيرهامن مدن آسيا الوسطى وإيران والهند...(٧٣).

وكانت هذه المدارس الوقفية تضم خيرة الأساتذة والعلماء، الذين يتسابق المحسنون من المسلمين في الوقف عليهم لكفايتهم أمور معيشتهم، ولضمان استمرار أدائهم لرسالتهم في إشاعة العلم والمعرفة(٧٤).

وفي هذه المدارس كان الطلاب يتعلمون علوم القرآن والسنة والفقه والآداب، كما كانوا يتعلمون علوم الطب والصيدلة والفلك والرياضيات وغيرها. وكم كان لهذه المدارس الوقفية أثر واضح في نشر العلم ورفع مستوى المعرفة الإنسانية، حتى في صفوف الغربيين الذين توافدوا على مدن الأندلس وصقلية والمغرب العربي ومصر والشام من أجل طلب المعرفة وتحصيل الثقافة مجاناً(٧٥).

ومن الأوقاف الخيرية أيضاً : الخانات والفنادق التي كانت تُبنى للمسافرين المحتاجين، ومعها أثاثاتها وأدوات الطبخ فيها. ومنها : التكايا والزوايا التي يقيم فيها المتفرغون لعبادة الله تعالى. ومنها : بيوت خاصة للفقراء الذين لا يجدون مالاً يشترون به داراً أو يستأجرونها للسكنى. ومنها: سقايات الماء المسبَّلة للناس في الطرقات العامة. ومنها : بيوت الحجاج ليقيموا فيها مجاناً حين قدومهم للحج. ومنها : حفر الآبار وإنشاء القناطر والجسور والطرقات الخيرية لعبور المسافرين واستراحاتهم وسقايتهم الماء، وكانت هذه كثيرة العدد بين عواصم المدن الإسلامية، وبخاصة بين بغداد ومكة، وبين دمشق والمدينة، وبين مدن المغرب والقاهرة. وكان يوقف على هذه الآبار والقناطر، البساتين والمزارع ليأكل المسافرون من ثمرها، والأبقار والأغنام ليشربوا من ألبانها(٧٧).

ومن الأوقاف الخيرية في تاريخ المسلمين: المكتبات، فقد شادها الخلفاء والأمراء والعلماء والأغنياء الخيرون، وكانت تشتمل على عشرات الآلاف من الكتب في أصناف العلوم الإنسانية والتجريبية. وكان لهذه المكتبات موظفون ومترجمون ونسّاخ وخدم يُصرف عليهم من ريع الأوقاف التي تنشأ من أجل ذلك (٧٨).

وقفوا أموالاً لإمداد المقعدين والعميان بمن يقودهم ويخدمهم(٧٩)، كما وقفوا أموالاً لإمداد الأمهات بالحليب والسكر، فقد جعل صلاح الدين الأيوبي في أحد أبواب قلعة دمشق ميزاباً يسيل منه الحليب، تأتي إليه الأمهات يومين في كل أسبوع، فيأخذن لأطفالهن ما يحتاجون إليه من حليب، ويحلّونه بالسكر الموقوف أيضاً مع الحليب(٨٠).

ومن أطرف ما وقفه المسلمون على سبيل الخير والقربة إلى الله تعالى : وقف الزبادي : وهي آنية من خزف أو فخار، كانت توقف للأولاد والرقيق الذين تكسر زباديهم في السوق وهم في طريقهم إلى البيوت، فيأتون إلى مكان الوقف بالزبادي المكسورة فيُعْطَون زبادي جديدة، لئلا يعاقبهم أهلوهم على ما وقع منهم، ثم يرجعون إلى البيوت. بما معهم وهم آمنون من العقاب (٨١).

كما كانت هناك أوقاف خيرية على أسر السجناء وأولادهم، حيث يقدم لهم الغذاء والكساء وأمور المعيشة(٨٢).

وكان للحيوانات أيضاً نصيب من اهتمامات المسلمين الوقفية، فقد وقفوا الأموال لتطبيب المريضة منها ورعاية المسنّة العاجزة(٨٣).

وهكذا تتأكد أصالة النزعة الإنسانية الحضارية في تشريع الوقف عند المسلمين، تحقيقا لقول الله تعالى : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾(٨٤).



جامع قرطبة

ومن الأوقاف الخيرية التي ابتكرها المسلمون السابقون أيضاً : المستشفيات؛ فقد كان يوقفها الحكام والأغنياء الخيِّرون، وينفقون فيها على الأطباء والمرضى والموظفين والخدمات. وقد عُرف من هذه المستشفيات المستشفى العضدي ببغداد في القرن الرابع الهجري - الحادي عشر الميلادي - والمستشفى النوري بدمشق، والمستشفى المنصوري بالقاهرة، ومستشفى مراكش، وغير ذلك من المستشفيات العامة والمتخصصة في الجراحة والباطنية والعيون والعظام والأمراض العقلية(٧٦).

ومما أنشأه المسلمون وقفاً خيريًا : دور الرعاية الاجتماعية المجانية للأيتام واللقطاء، وللعجزة والعميان والمقعدين، حيث كانوا يبذلون لهم مجاناً ما يحتاجون إليه من سكن وغذاء ولباس وخدمة وتعليم أيضاً، بل

الترتيبات الإدارية للوقف الإسلامي

كان الوقف - في بادئ الأمر - يدار من قبل الواقف نفسه، أو ممّن ينصّبه للإشراف على الوقف وإدارته مجاناً واحتساباً، أو بأجر وراتب، دون تدخل من الدولة، إلا في الحالات التي يكون الواقفون فيها هم الحكام والولاة(٨٥).

ولما اتسع الوقف في العهد الأموي، وتطورت الحياة في المجتمعات الإسلامية، استدعى الحال إنشاء إدارات وقيام أجهزة خاصة للإشراف عليه، وتولى جميع ذلك في حواضر العالم الإسلامي قضاة متخصصون، كانوا يشرفون بأنفسهم على الأوقاف ويحاسبون النظار والمباشرين، ويحقّقون معهم، وقد يتخذون بحقهم إجراءات تأديبية وعقابية حال تقصيرهم أو إساءاتهم للوقف واستغلال مناصبهم فيه(٨٦).

ومن القضاة المشهورين في هذا : توبة بن نمر الحضرمي، وهو الذي أنشأ ديواناً للأوقاف - وزارة

أوقاف - بمصر، زمن هشام بن عبد الملك في القرن الثاني الهجري - التاسع الميلادي - وأمر بالسجلات لحفظ الحقوق وحماية المستحقين وتحديدهم(٨٧).

وفي عهد العباسيين كان لإدارة الوقف رئيس يسمى «صدر الوقف»، وكانت إدارته تتصف غالباً بالدقة والتنظيم والوضوح والسهر بحزم ونزاهة على أموال الوقف، واستثمارها في حالات من التأهيل المهني وبعض الحرف والصناعات الخفيفة(٨٨).

وفي عهد المماليك، ثم العثمانيين، ازداد نطاق الوقف اتساعاً؛ لإقبال السلاطين والولاة على وقف المساجد والمدارس والمكتبات والمستشفيات ونحوها من الأوقاف الخيرية العامة. وتتابعت القوانين الصارمة المنظمة لهذه الأوقاف، والمحددة لأساليب إدارتها والإفادة منها سواء كانت خيرية أو ذُرِّيّة(٨٩). ولا تزال كثير من هذه الأنظمة أو القوانين معمولاً بها إلى يومنا هذا في كثير من وزارات الأوقاف في الأقطار الإسلامية.

وفي العصر الحديث : لقي الوقف الذري والأهلي معارضة من بعض الجهات الرسمية، التي حاولت إلغاءه والاستيلاء عليه، بحجة أنه يساعد على انتشار البطالة بين المستفيدين. وتصدى العلماء ووجوه المجتمع لهذه الحملات وبيّنوا عدم صحتها، إذ لو كان الراغبون في إلغاء الوقف صادقين في مقاصدهم؛ لوضعوا الحلول الناجحة لأسباب البطالة الأخرى، التي تبدو مظاهرها في كثرة العاطلين عن العمل - الذين لا أوقاف لهم - وتغصّ بهم المقاهي والشوارع والحدائق ودور اللهو.

ومع هذا، فقد بقي الوقف الذري معمولا به في بعض الأقطار الإسلامية كالمملكة العربية السعودية ودولة الكويت وغيرها. وأُلغي في بعض الأقطار الأخرى، حيث استولت الجهات الرسمية على الأوقاف الذرية، وعدَّلت مصارفها، دون مراعاة لشروط الواقفين من أهل الخير، ولا تحقيق لرغباتهم التي هي حق من حقوق الإنسان المشروعة، والتي قصدوا بها التقرب إلى الله تعالى.

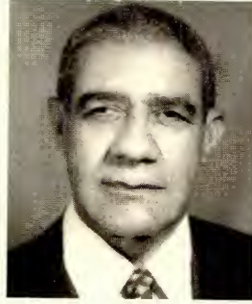
وعلى العموم، تقوم وزارات الأوقاف في الأقطار الإسلامية الآن برعاية الإرصادات الوقفية عامة وتنميتها واستثمارها وصرف فوائدها في إنشاء المساجد والمراكز الإسلامية، وإقامة دور القرآن والإشراف على الدعوة إلى الله، وتحقيق الخدمة الاجتماعية لفئات من المحتاجين.

وقد أنشئ العديد من المبرات المهنية لتعليم الفقراء والأرامل والعجزة صناعة خفيفة كصناعة السجاد والمفروشات والملابس، أو تعليم أساليب أخرى تضمن لشريحة من المجتمع حياة سعيدة كريمة تستمد غذاءها من جذور الوقف الخيري في حياة المسلمين.

الهوامش :

(١) التعريفات للجرجاني: ص ٣٥٣، وحاشية القليوبي: ٩٧/٣.
(٢) لسان العرب، والمعجم الوسيط، مادة : «وقف» و «حبس».
(٣) المغني: لابن قدامة ٥٩٨/٥.
(٤) أخرجه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه، كما في نيل الأوطار: ٢٠/٦.
(٥) نيل الأوطار للشوكاني: ٢٢/٦.
(٦) أخرجه أحمد والبخاري، كما في نيل الأوطار: ٢٥/٦.
(٧) أخرجه النسائي والترمذي والبغوي، وهو حسن، كما في نيل الأوطار: ٢١/٦ و ٢٤.
(٨) أخرجه البخاري، كما في نيل الأوطار: ٢١/٦.
(٩) أخرجه الواقدي مجملاً في المغازي، كما في نيل الأوطار: ٢٢/٦، وأخرج نحوه البيهقي في السنن ١٦/٦، وانظره بطرقه المتعددة عند الخصاف في أحكام الوقف: ص ١ - ٤.
(١٠) أحكام الوقف للأستاذ مصطفى الزرقا: ص ٧.
(١١) أخرجه البخاري، وانظر: نيل الأوطار ٢٥/٦.
(١٢) نيل الأوطار: ٢١/٦ - ٢٤، والمغني لابن قدامة: ٥٩٩/٥، وفقه السنة لسيد سابق: ٥١٩/٣ - ٥٢١.
(١٣) أخرجه الشيخان، كما في نيل الأوطار: ٢٣/٦.
(١٤) أخرجه الشيخان، وانظر: نيل الأوطار: ٢٦/٦.
(١٥) فقه السنة: ٥١٩/٣.
(١٦) فتح الباري لابن حجر: ٢٥٩/٥ - ٢٦٠.
(١٧) المغني: ٦٤٦/٥.
(١٨) المغني: ٥٩٨/٥ ، ٥٩٩، وانظر: من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي: ص ١٢٤.
(١٩) المغني: ٦٠٤/٥.
(٢٠) أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد عبيد الكبيسي: ١٣٨/١، ومن روائع حضارتنا للدكتور السباعي: ص ١٢١.
(٢١) المغني: لابن قدامة ٦٠٨/٥.
(٢٢) المغني: ٦٠٧/٥ و ٦٤٤، وجواهر العقود للأسيوطي: ٣٢٢/١.
(٢٣) المغني: ٦١١/٥.
(٢٤) أخرجه الشيخان، كما في نيل الأوطار: ٢٦/٦.
(٢٥) البقرة: ١٧٧.
(٢٦) أخرجه النسائي والترمذي وحسّنه، كما في الترغيب والترهيب: ٤٢٣/١.
(٢٧) جواهر العقود للأسيوطي: ٣١٤/١.
(٢٨) انظر: المغني: ٦٢٨/٥.
(٢٩) نيل الأوطار: ٢٣/٦.
(٣٠) المغني: ٦٤٧/٥.
(٣١) المغني: ٦٤٥/٥.
(٣٢) فقه السنة: ٥٣٢/٣.
(٣٣) فقه السنة: ٥٢٧/٣.
(٣٤) الحشر: ٧.
(٣٥) المغني: ٦٤٧/٥.
(٣٦) المغني: ٦٤٧/٥ ، ٦٤٨.
(٣٧) المغني: ٦٠٥/٥ و ٦٤٧ ، ٦٤٨.
(٣٨) نيل الأوطار: ٢٥/٦ - ٢٦، والمغني: ٦٤٠/٥ - ٦٤٣.
(٣٩) المغني: ٦٠٥/٥، ونيل الأوطار: ٢٢/٦.
(٤٠) المغني: ٦٢١/٥.
(٤١) المغني: ٦٤٤/٥.
(٤٢) المغني: ٦٤٦/٥.
(٤٣) نيل الأوطار: ٢٥/٦، والمغني: ٦٤٣/٥.
(٤٤) المغني: ٦٢٨/٥.
(٤٥) المغني: ٦٣١/٥ - ٦٣٣ و ٦٤٨، وأحكام المعاملات الشرعية للشيخ علي الخفيف: ص ٥٥.
(٤٦) المغني: ٦٣٢/٥ - ٦٣٤.
(٤٧) المغني: ٦٢٧/٥.
(٤٨) تاريخ القانون للدكتور هاشم الحافظ: ص ١٦٤.
(٤٩) تاريخ القانون المصري القديم للدكتور شفيق شحاتة: ص ٩٠ - ٩٢.
(٥٠) المرجع السابق.
(٥١) الوقف في الشريعة والقانون لزهدي يكن: ص ١٨٣.
(٥٢) بين الشريعة والقانون للدكتور صوفي أبو طالب: ص ١٥٠.
(٥٣) أحكام الوقف للكبيسي: ٢٥/١.
(٥٤) المرجع السابق.
(٥٥) المرجع السابق.
(٥٦) الوقف لكامل السامرائي: ص ٤ ، ٥.
(٥٧) أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية للدكتور الكبيسي: ٢٧/١.
(٥٨) المرجع السابق.
(٥٩) دائرة المعارف الفرنسية، كلمة : «إرصادات».
(٦٠) المرجع السابق.
(٦١) أحكام الوقف للكبيسي: ٢٧/١.
(٦٢) المرجع السابق: ٢٨/١.
(٦٣) المرجع السابق: ٢٩/١ ، ٣٠.
(٦٤) المرجع السابق: ٣٠/١.
(٦٥) المرجع السابق: ٣٠/١ ، ٣١.
(٦٦) يبدو هذا واضحاً لكل من نظر - ولو على سبيل الإجمال - في أحكام الوقف في عامة المصادر الإسلامية، ككتاب المغني لابن قدامة، وكتاب معين الحكام لابن عبد الرفيع، وجواهر العقود للأسيوطي، وغيرها.
(٦٧) من روائع حضارتنا: ص ١٢١.
(٦٨) الأم للشافعي: ٥٢/٤.
(٦٩) من روائع حضارتنا: ص ١٢١.
(٧٠) من روائع حضارتنا: ص ١٢٢.
(٧١) أخرجه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي وأبو يعلى والبزار، وطرقه كلها ضعيفة تقوى ببعضها كما في كشف الخفاء للعجلوني: ص ٣٨١.
(٧٢) من روائع حضارتنا: ص ١٢٥ و ١٢٩ و ١٧١.
(٧٣) من روائع حضارتنا: ص ١٢٩ ، ١٣٠ و ١٣٤، وجواهر العقود للأسيوطي: ٣٤٢/١ - ٣٤٨.
(٧٤) انظر المرجعين السابقين.
(٧٥) من روائع حضارتنا: ص ١٣٦.
(٧٦) المرجع السابق: ص ١٤٠ و ١٤٢.
(٧٧) المرجع السابق: ص ١٢٥ ، ١٢٦.
(٧٨) المرجع السابق : ص ١٥٥ - ١٥٩.
(٧٩) المرجع السابق: ص ١٢٧، وجواهر العقود ٣٦١/١ - ٣٦٧.
(٨٠) من روائع حضارتنا: ص ١٢٧.
(٨١) المرجع السابق: ص ١٢٧.
(٨٢) المرجع السابق: ص ١٢٧ و ١٤٠.
(٨٣) المرجع السابق: ص ١٢٧ ، ١٢٨.
(٨٤) الزلزلة: ٧.
(٨٥) أحكام الوقف للكبيسي: ٣٨/١.
(٨٦) المرجع السابق: ٣٨/١ ، ٣٩.
(٨٧) المرجع السابق: ٣٨/١.
(٨٨) المرجع السابق: ٣٩/١ ، ٤٠.
(٨٩) المرجع السابق: ١/ ٣٩.

رسالة إلى أدبائنا الشباب



بقلم:
د. محمد عبالمنعم خفاجي

هل تتصورون شاعرا إنجليزيا معاصراً لم يقرأ شكسبير؟

هل تتصورون أديبا فرنسيا لم يقرأ أدب عصر لويس الرابع عشر؟

بل هل تتصورون ناقدا أوربيا معاصرا لم يقرأ كتاب الشعر لأرسطو مثلا؟

التراث هو أساس موهبة الأديب والناقد والشاعر.. التراث هو الذي يهب الإنسان الملكة والأسلوب واللغة.

والتراث هو الذي يقدر على أن يجعل الأديب قريبا من كنوز اللغة والأدب والشعر.

لذلك لاأفهم أن يقول إنسان عربي عن نفسه إنه أديب وهو لم يقرأ المعلقات من الشعر الجاهلي مثلا، أو لم يقرأ أدب الجاحظ والتوحيدي، بل وهو لم يحفظ شيئا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ونهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب وأشعار الجاهليين والإسلاميين بكافة عصورهم، بل والمعاصرين أيضاً.

إن ضعف مواهب الشباب الأدبية الملحوظ إنما يرجع في أساسه إلى تركهم للتراث وانصرافهم عنه وعدم قراءتهم له وحفظهم شيئا منه. هذا مع أن أديبا مثل كامل كيلاني يحدثنا عن نفسه بأنه كان يحفظ عشرة آلاف بيت من الشعر العربي وهو تلميذ في المدرسة الابتدائية.

إني أنصح للشباب بأن يقرؤوا أدب التراث قراءة جيدة، حتى يكسبوا اللغة وقوالبها ويعتادوا أساليبها وطرق تعبيرها وأدوات بناء الأسلوب.

وإذا كانت هناك ثقافة أدبية عامة ترجع إلى القراءة في كل الثقافات والفنون والآداب والعلوم، وفي أي كتاب، وفي كل فن ومادة وأدب، فإني أقول لشبابنا إن هذه الثقافة العامة لاتغني عن الثقافة الخاصة بحال من الأحوال.

الثقافة العامة المفتوحة تجعل الإنسان متفتحا، وتفتح الأبواب بينه وبين العصر، وهي تضع الإنسان الأديب على أول الطريق، وتضع أمامه مفاتيح الأدب كلها.

وقد كان العقاد وهو تلميذ في الابتدائية يقرأ الأدب الانجليزي ويترجم منه. وحين ترجم السير وليم جونز المعلقات إلى الإنجليزية فتن بها الشعراء الإنجليز فتنة شديدة، ودعاهم جونز إلى التجديد في القصيدة على ضوء قصائد المعلقات، فأكثر الشعراء الإنجليز منذ بدء القرن التاسع عشر من بكاء الأطلال على نمط مافعل الشعراء العرب في الجاهلية، وكان ذلك تجديدا كبيرا في القصيدة الشعرية الإنجليزية.

أما الثقافة الأدبية الخاصة فإنها تجعل منه أديبا أو شاعرا أو ناقدا أو قصاصا أو مسرحيا بعد مدة وجيزة.

وفي كل الأحوال لابد للإنسان المعاصر من أن يقرأ كثيرا، ويعاود القراءة طويلا ويتخير الكتاب المقروء الصالح لأن يبذل فيه جزءاً من وقته.

نصيحتي إلى الشباب أن يصحبوا التراث طويلا، فالتراث هو الوسيلة لـلتفوق في الأدب والشعر واللغة، والقراءة في التراث هي قوة ملحوظة في اللغة والأدب، وبدون ذلك لن تجد الأديب الذي ترضى عنه وتحبه وتؤثره على لداته.

اقرؤوا كثيرا أيها الشباب حتى تصبحوا أدباء حقيقيين.

والتراث هو المميّز أو المصور لوجود الأمة التاريخي والفكري، وقد أثبتت مقومات التراث الأصيلة في تجربتها الإنسانية الأولى أنها حافزة دائماً إلى الإبداع الحضاري، حتى لقد ظل العقل الإنساني قرونا كثيرة يبدع في شتى مجالاته الممكنة من خلال تلك المقومات دون أن يكون هناك أيّ صدى لدعوى التناقض الحضاري بين تلك الأصول مع ذلك الإبداع الخلاق الذي تنامى عبر الزمن، بل إن الثابت أن حقيقة التراجع التي أصابت العقل العربي إنما وقعت عندما بدأ الانفصال يدب بين تلك القيم الأصيلة ومعطياتها وبين الواقع.

التراث هو الهوية الثقافية للأمة، وهو مظهر أصالة الأمة وحضارتها، فالأصالة تتألف من عنصرين:

أولهما: التراثية أو المحافظة الواعية الملتفتة بتعاطف إلى التراث: أصوله ونماذجه.

والثاني: الذاتية المبدعة.

وعن التراثية يقول لانسون: إن أمعن الكُتّاب أصالةً إنما هو إلى حد بعيد راسب من الأجيال السابقة، وبؤرة للتيارات المعاصرة.. ويقول جوته: في كل فن توجد صلة نسب، فإنك إذا رأيت فنانا كبيرا فلابد أنه قد وعى أحسن ماعند أسلافه، وأن هذا هو الذي جعله عظيما.. ولذلك يقول «اليوت» إذا أردت أن تجدد في الشعر فيجب أن تكون جذورك عميقة في الماضي.

التراثية تصل الأدب بالأصالة، والأصالة تحتضن المعاصرة إذا كانت بمعنى التجاوب المستمر مع الموقف الحضاري المعاصر، بحيث

تتفاعل هذه المعاصرة مع الماضي بقيمه الباقية، ومواريثه الخالدة والشعورية على الدوام، حتى ليقول أحد النقاد الفرنسيين: الفن كله في أن يهب الأدب الفكرة القديمة شكلا جديدا، وهذه الفنية هي كل ماتملك البشرية جمعاء من ابتكار.

والتراث الإسلامي حافل بالموسوعات الضخمة في شتى العلوم: في الشريعة والفقه والأصول والتفسير والحديث والتوحيد. والتراث التاريخي يحفل بكتب نالت شهرة عالمية، من مثل: تاريخ الطبري والمسعودي وابن الأثير والبغدادي وابن خلدون والمقريزي والسيوطي وسواهم. وفي التراث البلاغي والنقدي نقف مذهولين أمام موازنة الآمدي ووساطة الجرجاني، وأسرار الفصاحة لابن سنان، والعمدة لابن رشيق، ونقد الشعر لقدامة، والصناعتين لأبي هلال، وأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز للجرجاني، والمثل السائر لابن الأثير. وفي الموسوعات الأدبية لاتجد أروع من كتب الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه وأبي الفرج الأصفهاني والحصري وسواهم.

وفي القصص والأسمار نجد أمثال: البخلاء للجاحظ وألف ليلة وليلة، ونشوار المحاضرة، والفرج بعد الشدة للتنوخي، وقصة أبي زيد وعنترة والظاهر بيبرس، وإعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس للأتليدي، وفي الشعر مئات الدواوين الشعرية الرفيعة الخالدة. وهكذا في مختلف جوانب العلوم والثقافات.

إن تراثنا العربي هو جزء كبير من ثقافة الإنسانية، ولقد كنا - في مرحلة التعليم نحفظ مقامات الحريري والهمذاني ونطيل القراءة في الكامل للمبرد، ونهج البلاغة للإمام علي، وفي البيان والحيوان للجاحظ، والأمالي للقالي والعقد الفريد لابن عبد ربه، وعيون الأخبار لابن قتيبة.

هذا فضلا عن أن الكثير من الكتب الدراسية كانت مملوءة بعيون التراث، نستظهر منها جياد القصائد، وحسان الخطب والمقامات، إلى ما كنا نحفظه من دواوين الشعراء. فأين شبابنا من بعض هذا؟!.

المدنِيّ و"المَكَّاوِيّ" (٢)

د. صالح بن سليمان الوهيبي



كانت الحلقة السابقة ملخَّصا لما في النسبة إلى «المدينة» وما شاكلها من أحكام. ونعرض هنا لكلمة «مكَّاوي» التي يرددها الناس في العصر الحاضر نسبة إلى مكة زادها الله تشريفا. ونبدأ بالقول بأن هذه النسبة خطأ، والصواب هو «مكِّيّ». وقد اعتاد الكتاب والمتحدثون من المتعلمين وغير المتعلمين على ترديد أمثال هذه اللفظة كجَدَّاويّ (منسوبا إلى جدَّة)، وسُدَيْراويّ (منسوبا إلى سُدَير)، وغير هذا كثير؛ حتى إننا رأينا من يقول إسلاموي (بدل إسلاميّ) ووحداوي ووَحْدَوي (بدل وَحْديّ، من وَحْدة) ونهضوي أو نهضاوي (بدل نَهْضي، من نَهْضة). ويظن هؤلاء خطأ أن ما يفعلونه هو الصواب، وما علموا أن بينهم وبين الصواب أمدا بعيدا !

وأول المجانبين للصواب عندي في هذا الأمر مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي أجاز لفظة (وحدويّ - نسبة إلى وَحْدة) دون برهان من اللغة. ولعل مما دفعه لذلك انتشار تلك الكلمة عند (الوحدويين، وهم في حقيقة أمرهم المفرِّقون!)

وخلاصة القول أننا إذا نسبنا إلى اسم فلا نأتي قبل ياء النسب بواو قبلها ألف [- اويّ] إلا في حالات معينة نذكرها دون تفصيل:

١) أن يكون الاسم مقصورًا ألفه رابعة كأَرْطَى: أرطوي، ومَوْلَى: مولوي، وطَنْطا: طنطوي. ويجوز أيضا وجهان آخران: حذف الواو، فنقول: أرْطِيّ ومَوْلِيّ وطَنْطي، أو زيادة ألف قبلها، فنقول في النسب إلى أَرْطَى: أرْطَاوِيّ، وإلى مَوْلَى: مَوْلاويّ، وإلى طَنْطا: طَنْطاويّ. ويشترط في هذا النوع من الأسماء أن يكون ثاني حروفه ساكنا، فإن تحرك وجب حذف الألف نحو بَرَدَى: بَرَدِيّ، وكَنَدا: كَنَدِيّ.

٢) أن يكون الاسم جمعَ مؤنث سالما ثلاثيا مجردا ساكن الثاني كهِنْدات وسَهْلات ففي النسب إليه ثلاثة وجوه: حذف الألف والتاء (هِنْدي وسَهْلي)، أو حذف التاء مع قلب الألف واوا (هِنْدَوِيّ وسَهْلَوِيّ) أو حذف التاء وقلب الألف واوا مع زيادة ألف قبلها (هِنْدَاوِيّ وسَهْلاوِيّ)، والأخير هو محل الاستشهاد هاهنا.

٣) أن يكون الاسم ممدودا كسماء: سماويّ، وشَقْراء: شقراويّ، والشُّعْراء: شعراويّ، وحِرْباء: حِرْباوي، إذ تقلب الهمزة المتطرفة واوا ويؤتى بعدها بياء النسب.

وليست الكلمات: مكَّاوي وجَدَّاوي وغيرها مما سقناه في أول الحديث بداخلة ضمن أي من الأنواع الثلاثة. فهي مجانبة للصواب. وهنالك في لغتنا المعاصرة عشرات الألفاظ المنسوبة التي زيدت فيها الألف والواو قبل ياء النسب خطأ. وما سقناه من أمثلة إنما هو غيض من فيض. ولئن عذَرْنا عامة الناس والكتاب فإننا لا نعذر أساتذة اللغة العربية والنقاد الذين يستخدمون كلمات من أمثال: العودوية (نسبة إلى العَوْدة) - وهو بديل للفظ «السَّلَفية» الذي تغصّ به بعض الحلوق! - والإسلاموية.. ولعلنا نضيف إلى معجمهم الخاص بهم: الانحطاطوية والتخاذلوية والانهزاموية !!

وخلاصة الأمر أن النسبة إلى مَكَّة : مَكِّيّ، وإلى جدَّة : جدِّيّ.. ولنقس على ذلك ما لم يستثن في النقاط الثلاث السالفة. وإنه لمن المؤلم حقا أن نجد أساتذة اللغة العربية ونقاد الأدب منساقين وراء هذا التيار العامي في النسب دون تبصر.

والله أعلم.. وصلى الله على البشير النذير وعلى أتباعه إلى يوم الدين.

محطات...!!



محيي الدين فارس

تؤدي الأقدار دورا كبيرا في رسم مسيرة حياتنا، وتحدّد دروبنا فيها. فهي خطى كتبت علينا «ومن كُتبت عليه خطى مشاها» دون أن نحس بذلك، فنحن في يديها كالعجينة الصلصالية تشكلنا كما تريد، وتمر بنا أحداث ننساها في غمار الزمن، كأعمدة الطريق التي نشاهدها من نوافذ القطار السريع، وتُبقي بعض الأحداث في نفوسنا مايشبه رنين النواقيس القديمة، لاتخفت أصداؤها ولا تسقطُ من ثقوب الذاكرة مهما تقادم عليها العهد، لأنها دخلت في بناء كينونتنا.

شاءت الأقدار أن أعيش قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية طفولتين متعاقبتين في بيئات رجْراجَة، ومناطق تباين لغوي. هي ريف هادىء في شمال السودان على ضفاف النيل الخالد حيث البساتين والمراعي الخضراء. ثم في مدينة تضطجع هادئة على أذرع البحر الأبيض المتوسط، ثم اقتلعتها الحرب من هدوئها حتى أصبحت مدينة أشباح مهجورة، تلك هي مدينة الإسكندرية عاصمة الحب والجمال.

وتشاء المصادفات قبل قيام هذه الحربُ بعدة شهور أن ينتقل والدي «الشيخ فارس» للقيام بمسؤولية دينية في الإسكندرية، ووالدي رجل دين مشهود له بالصلاح والزهد في الدنيا، يحفظ القرآن ويجيد تلاوته، وقد كتب عدة نسخ من المصحف الشريف بخطه النسخيٍّ الجميل.

كانت الإسكندرية هادئة، وقبل أن أتطبَّع واتشبع بأجوائها التي بهرتني، قامت الحرب العالمية الثانية بين دول المحور والحلفاء، فعشت طفولتي الثانية تحت وابل نيرانها الضارية دون أن أعرف سبباً مقنعا لذلك. وكانت وطأة غارات «رومل ثعلب الصحراء» على مدينة الإسكندرية جحيما لايطاق، ويبدو أن النازي وطد عزمه على السيطرة عليها بكل الوسائل المتاحة ليقلب ميزان القوى لصالح المحور. فربما حسم الحرب لصالحه لولا أخطاء هتلر وتصرفه الفردي وتأخر صنع قنبلته الذرية التي كان يلوح بها، ولعبقرية «مونتجمري» في معركة «العلمين» الحاسمة.

لذلك عندما دارت «ماكينة الحرب» بشكل ديْمومي، وبتغطية كاملة لكل مرافق الإسكندرية الحيوية ومناطقها الاستراتيجية قررنا الرجوع مرة ثانية إلى ريف شمال السودان دون والدي الذي رفض الرحيل معنا، وبقي في منطقة «القبّاري» معتصما بالله. يعبده ويقرأ قرآنه.

وبعد أن انكسرت دول المحور، وانتحر كل من زعيم النازية هو وعشيقته «إيفا براون» وزعيم الفاشية «الدوتشي موسوليني» الذي قتل مع عشيقته مصْلوباً على أعمدة ميادين إيطاليا، وبعد أن وقع الألمان صاغرين وثيقة الاستسلام دون قيد أو شرط في يوم ٧ آيار/مايو عام ١٩٤٥م، وبعد أن اطمأنت والدتي إلى أن موسوليني الذي ضرب مدينة «كسلا» السودانية قد غاب الغياب المادي من الوجود، والذي كان يهدد الخرطوم وأهلنا فيها، قد أصبح «رمة»، وتأكدت من ذلك أكثر من مرة ومن كل المصادر الموثوق بها في القرية، عند ذلك، وعند ذلك فقط، وافقت على رجوعنا، فعشت بقية طفولتي حتى مرحلة النضج في مدينة الإسكندرية.

هذه الأحداث المتوالية كانت بالنسبة لي تجربة كبيرة ظلت منقوشة في عقلي الباطن وحَفرت في نفسي أخاديد عميقة جعلتني أكره الحروب لأنها ضد طبيعة الأشياء. وبعد



محمد المهدي المجذوب



أحمد زكي أبو شادي

أن كبرت وأكملت تعليمي كرست معظم جهودي لقراءة أحداث التاريخ بصفة عامة، وملفات هذه الحرب بصفة خاصة.

وأقبلت على مراجعة ملفاتها بشهية مفتوحة لأنني لا أقرأ تاريخًا ماضيًا ميتا، وإنما أقرأ تاريخًا حيا عشت فصوله، واصطليت بناره وويلاته، ولوْ لم يسلّم الله سبحانه مالك الملكوت لكنت واحداً من ضحاياه، لأن لكل أجل كتابًا وميقاتًا. ويبدو أن هذا المناخ الدَّبق ساهم في انبثاق الشاعرية في نفسي وأورثني مسْحة من الحزن الداخلي الذي تخفيه طبيعتي المرحة، وحيويتي الطفولية، وإقبالي على الدنيا بسخرية لاذعة.

لقد بكيت في زمن الطفولة أكثر مما تتحمله سني على العديد من أهلي الذين ماتوا تحت الأنقاض أو بشظايا «الطوربيدات» التي كانت تتوارى بين العمارات، وهي تلقي بها ذات اليمين وذات الشمال غير عابئة بالصراخ والعويل، مما شوه مرآة الأشياء في عيني برؤية الجثث ومشاهدة النعوش، وأحيانا رؤية (اللواري) التي تحمل الموتى إلى الجبانات البعيدة.

حملت في جوانحي صورة العالم القبيح عندما كنت «مشروع شاعر»، ثم أصبحت شاعرا.. وزادت شهرتي بعد أن نشرت لي مجلة الرسالة وكانت المجلة الكبرى الوحيدة التي يكتب فيها المشاهير من شتى أنحاء العالم العربي فكانت بحق ديوان العرب. نشر لي الأستاذ الكبير «الزيات» أول قصيدة تحت عنوان «انتظار» في ١ أكتوبر عام ١٩٥١م العدد ٩٥٤ ص ١١٨٠، ثم توالت قصائدي فيها، وقد اشتهرت هذه القصيدة شهرة واسعة في العالم العربي، وصعدت السلالم بها دفعة واحدة، وأنا في أول الشباب مما أعطاني شحنات قوية لمواصلة الإبداع، ثم إن عدد جريدة الأهرام الأسبوعي، والذي كانت تشرف عليه أستاذتنا الدكتورة «بنت الشاطئ» قد نشرت لي مجموعة طيبة من القصائد، فكان ذلك زاداً طيباً لمواصلة المشوار.

وفي الإسكندرية ـ ومايزال لنا بها أهل ودار ـ علمت من الوسط الثقافي فيها أن منطقة القباري التي نشأت وعشت فيها، عاش فيها أيضاً الشاعر المهجري الكبير إيليا أبوماضي. كما أثبت ذلك شاعر الإسكندرية عبدالعليم القباني في كتابه عنه. وكان لهذه





من مؤلفات الكاتب

المعلومة فعل السحر في نفسي، ودفعني لأجمع كل ماكتب عنه، واقتنيت ديوانه الأول «تذكار الماضي» وهو نادر الوجود لأنه من مطبوعات الإسكندرية في آيار/ مايو عام ١٩١١م، باستعارته من أحد الشاميين وطبعه على الآلة الكاتبة.

وهذا الديوان عبارة عن تحليل نفسي، ونقد صادق لنوازع النفس الشريرة تشوبه مسحة «علائية» في بعض أشعاره. كما اهتممت بكل شعراء الإسكندرية بداية بالشعراء اليونانيين والشاميين الذين نظموا الشعر في مناخها الشاعري الجميل، إلا أن مشاغل الحياة حالت دون ذلك، وبخاصة بعد رجوعي إلى السودان، وقد نبهني في الأسبوع الأول من رجوعي إلى حقيقة كنت أجهلها ؛ الشاعر السوداني محمد مهدي المجذوب ـ رحمه الله ـ وهي أن الإبداع في السودان مجازفة.

نعود إلى الإسكندرية، إلى مكتبة محرم بك فلها فضل كبير علينا، ففيها تعرفت لأول مرة على ديوان «إشراقة» للشاعر التيجاني يوسف بشير، فأعجبت به لقاموسه الخاص وبنائه المعماري المتفرد. وأمام مكتبة «محرم بك» ميادين سندسية فسيحة مد البصر. كنا نجلس تحت ظلال أشجارها الوارفة. نطالع ما استعرناه من كتب أو نتناقش في قضايا الأدب ونتجاذب أطراف الحديث، أو نتحاور حول ديوان أغاني الكوخ للشاعر محمود حسن إسماعيل الذي كان يستأثر بحبٍّ الشباب المبدعين هو وعلي محمود طه المهندس صاحب «الجندول والكرنك وليالي كليوباترا» فما أجمل ليالي الإسكندرية الحسان عروس الماء وخميلة الشعراء!!!

«رابطة الأدب الحديث»

كان من حسن حظ الطلبة السودانيين

محطات..!!

والعرب والآسيويين والأفارقة، أن النادي السوداني وهو دارةُ الجميع، في القاهرة، قد جمعته المصادفات السعيدة برابطة الأدب الحديث في مبنى واحد في شارع بنك مصر، وهو المبنى الذي استقرت فيه الرابطة نهائياً بعد التنقل في عدة أماكن، وكان مكاناً لائقاً بمكانتها وشهرتها، وهو يقع في قلب القاهرة قريباً من الإذاعة المصرية ووسائل الإعلام الكبرى.. وكان من حسن حظ النادي السوداني، أن قرر الانتقال من مكانه القريب من دار الرسالة قرب المتحف الصحي في حي عابدين، إلى دار فخمة لاستقبال الشخصيات السودانية، واتفق أن كان الهدف واحداً لدى الرابطة والنادي السوداني.. الرابطة لاستقبال الشخصيات العربية من كبار الأدباء، والنادي للترحيب بعلية القوم من السودان، والرابطة وقتذاك في عصرها الذهبي، وكان يقودها في أوائل الخمسينيات علمان بارزان في حياتنا الأدبية، هما الناقد الكبير مصطفى عبداللطيف السحرتي رئيسها، والدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي رائدها، وفي عهدهما بلغت الرابطة شأوًا بعيداً. وامتدَّ أثرها لا في مصر وحدها، بل في العالم العربي كله من محيطه إلى خليجه، فأصبحت الرابطة صالون العرب، ومنتداه الفكري، تفتح أبوابها لاستقبال كل الشخصيات من رجالات الفنون والآداب العربية. وبعض الزعماء العرب ممن لهم نزعة أدبية، وميول فنية.

ولم تنشأ رابطة الأدب الحديث من فراغ، فقد كانت امتداداً لمدرستين عريقتين هما مدرسة «أبوللو» التي رأسها أولاً في الثلاثينيات أمير الشعراء أحمد شوقي، وبعد وفاته رأسها الدكتور أحمد زكي أبوشادي، ثم مدرسة رابطة الأدباء التي كان رئيسها الدكتور الشاعر إبراهيم ناجي، ثم بعد ذلك تأسست الرابطة عام ١٩٥٣م، ولقد تطورت ونجحت لتكون واجهة للطيْف الثقافي في عالمنا العربي. وبخاصة الطيف الجديد الذي انفجر مدُّهُ، في مطلع الخمسينيات، ومهّد للأجيال الواعدة بعده.

كانت الرابطة تموج كخلايا النحل بكوْكبةٍ عظيمة من أدباء الشباب على اختلاف ميولهم ومشاربهم، فكانت الساحة دائماً حُبلى بالجديد. ويسْتحرُّ الصراعُ والجدل بين أنصار «جان بول سارتر وكافكا» من جانب، ومن الجانب الآخر جماعة «مكسيم جوركي وليْرمنتوف وبوشكين». ونسمع غير بعيد منهم النقاش الحار. بين أنصار الفصحى والداعين إلى الحوار بالعامية في بناء الحوار القصصي، ولم يكن من وراء ذلك غرض خفيّ، وإنما كان الدافع إليه هو البحث عن أوعية جديدة تُسامت روح العصر، كل ذلك، في محبة واحترام متبادلين، فإذا تهيأوا للنقاش خيل إليك أنهم فلاسفة العصر الحديث حجةً، ومنطقاً، وحيثيات ناصعة، وكنت من أنصار الفصحى لأنها تملك من الطواعية والمرونة مايجعلها قادرة على مسايرة الزمن ومواكبة كل معطيات الحياة. فالعيب ليس في اللغة وإنما فيمن لايملكون ناصيتها، وأدواتها.

ولم تكن رابطة الأدب الحديث هي الرئة الوحيدة التي يتنفس فيها أدباء الشباب هواء الثقافة شهيقا وزفيرا فقط، بل كان لها طابعها المميز الذي تحس فيه دفء الدار، ولون الجامعة المفتوحة، ثم هي للسماع، ونقد المسموع. وفيها كان النقاد يشمون رائحة المستقبل ويلمحون كل ألوان الطيف الثقافي.

البحث عن منابر

ازدحمت الساحة بكثرة الشباب، وظلوا يبحثون عن منابر تحمل أفكارهم، ثم تضافرت جهودهم ومعظمهم طلبة أو خريجون جدد، لإصدار مجلة أسموها «الغد» أصدروا منها أعداداً تعد على أصابع اليد، ثم توقفت عن الصدور لعجز الموارد المالية، إلا أنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي، وربما نجحوا في إصدارها مرة ثانية، إلا أنها في نهاية المطاف توقفت تماما، ومع ذلك لم ييأسوا، وانتقل النقاش في صورة موسعة إلى رابطة الأدب الحديث، ومقهى الفيشاوي،


سارتر


كامل الشناوي

وأعتقد أن بعضهم انتقل إلى مجلة الثقافة بالاتفاق مع الدكتور أحمد أمين، بينما بعضهم كان قد تبوأ مكانة في المجلات الكبرى، وسرعان مااهتدوا إلى حيلة ذكية، قابلتها حيلة أشد ذكاء، من الأستاذ أسعد حسني رئيس تحرير مجلة العالم العربي، وهي مجلة أسسها «لأكل العيش»، فكانت تصدر بين الحين والحين أعدادا ممتازة عن بعض الدول وتكون التغطية الإعلانية لسد رمق المجلة كلما ضاق بها الحال، ورأى أنّ

استقطاب هؤلاء الشباب، وفيهم من أصبحوا مشاهير ولهم ثقلهم الجمهوري مكسب"، وقد حمل هؤلاء الشباب وطأة الحمل عنه، فجددوا شباب المجلة، وأصبح توزيعها يرتفع كل يوم وبدأت صفحاتها تجذب بعض الأسماء المشهورة.

وكان أسعد حسني لايتدخل إلا في حدود ضيقة بحيث يحفظ لها التوازن التي سارت عليه مبعدا عنها الأفكار المتطرفة، وقد وافق المعتدلون والمتطرفون بإيجاد صيغة مقبولة من الجميع. ومن ثم كانت لسان حالهم مدة من الزمن دون مشاكل أو خصومات.

ندوة فندق سميراميس

هذه ندوات غريبة لأنها بلا مكان ثابت، وشبه موسمية، ولاتقوم هذه الندوات إلا بزيارة بعض الدبلوماسيين السودانيين، ثم هي مغلقة غير مفتوحة الأبواب لكل أديب، وإنما تعتمد على الانتخاب النوعي، ذلك، لأن ظروف الشخصيات الدبلوماسية لاتحتمل الكثرة، فاجتماعاتها ثلاثية أو رباعية على الأكثر، وغالبا ماتكون على عشاء فن وأدب. وصاحب اختراع هذه الندوة دبلوماسي سوداني كبير أحب القاهرة وأدمن زيارتها كلما واتته الفرصة، أو أوفد إليها في مهمة رسمية، أو من قبل حزب الأمة الذي يتبوأ فيه مكانة عالية.


محمد أحمد المحجوب

وكان من عادة الشاعر الكبير محمد أحمد محجوب «رئيس وزراء ووزير خارجية سابق وزعيم أغلبية تارة وزعيم معارضة زمن حكم الأحزاب بعد استقلال السودان عام ١٩٥٦م تارة أخرى» كان من عادته أن يقضي إجازاته الخاصة في القاهرة لا لندن، كعادة الآخرين الذين يحبون قضاء إجازاتهم في بلاد «جون» ويبالغون أحيانا فيقولون إنهم: يحجون إلى «مانشستر».

كما كان محمد أحمد محجوب يحب زيارة إسبانيا للوقوف على الحضارة الإسلامية في الأندلس. وفي القاهرة كان لاينزل إلا في فندق واحد، هو فندق «سميراميس»، وسألته مرة لماذا تفضل النزول في هذا الفندق بالذات وبشكل متواتر؟ بينما الشاعر الكبير حسين الشريف الهندي «وزير مالية سابق في عهد الأحزاب» يفضل النزول في فندق «الكونتننتال» وكذلك الزعيم إسماعيل الأزهري، قال لي: إنني أحب رؤية النيل دائماً.. ثم أردف: للأماكن رائحة جاذبة، وكما يألف الإنسان بعض الناس، يألف بعض الأمكنة كموحٍ، ومصدر إلهام، ولم يذهب «المحجوب» إلى مقهى الفيشاوي مكان تجمع الأدباء والفنانين والصحفيين إلا نادراً، بينما كان يذهب كثيرا إلى مقهى «متاتيا» وهي مكان مشهور لتجمع وجهاء السودانيين لهدوئها وجوها الهادىء الارستقراطي الذي كان يتيح للساسة السودانيين مناقشة القضية السودانية أيام دولتي الحكم الثنائي، إنجلترا الحاكمة الفعلية، ومصر التي كانت مغلوبة على أمرها مثلنا آنذاك.

كان محمد أحمد محجوب يهتز للشعر، ويطرب له، وله أندلسياته المشهورة، وكان يدعو لمجلسه بعض الأدباء أمثال كامل الشناوي وصالح جودت ومصطفى حمام، الذين كانوا يملؤون الساحة الأدبية في الخمسينيات ويمتازون بروح الفكاهة، وخفة الظل، وإجادة النكتة وجمال الشعر.. وكان في كثير من الأحيان يدعوهم لحفلات فاخرة في حديقة السطح بالفندق، وكانت هذه الحفلات في معظمها احتفاء بميلاد قصيدة جديدة للمحجوب، وكان يحرص دائماً على أن يدعوني معهم، ثم هو لايفصح عن قصائده الجديدة إلا في لحظات ذروة الانشراح والانبساط ملوِّحا بيديه للنيل الذي يفضل أن يكون مقعده قبالة أمواجه الضاحكة، وكثيراً ماكان يردد في إنشاد جميل معبر هذين البيتين لأحمد شوقي من رائعته «النيل» وقد يسترسل فينشد سائرها:

من أيِّ عهدٍ في القُرى تتدفقُ
وبأيِّ كفٍّ في المدائن تغدق
ومن السماء نزلت أم فُجرت من
عليا الجنان.. جداولا تترقرقُ

وكانوا يلقون أشعارهم ويناقشون قضايا الشعر الحديث، الشعر الحر أو شعر التفعيلة ويصبون جام غضبهم على بعض نماذجه الرديئة، بل كانوا يتعمدون اختيار الرديء منه، فكنت أدافع بقوة، وأقول لهم إن أيّ مرحلة جديدة لها عيوبها، بما يغض من جوهر التجديد فيها، فالعقاد والمازني ومحمود شكري في «الديوان» نادوْا بالوحدة العضوية، ومع أن العقاد حاول تطبيقها، إلا إنه لم يقدم لنا شعرا إلا في حدود ضيقة، أما الباقي فنظم رديء.. كقول الدكتور أحمد زكي أبوشادي:

وتكسر الموج الكبير على الحصى
كتكسُّر البيض الكبير الحجم

فضحكوا بصوت عبر الشط الثاني من النيل، وكانت ليلة خالدة في نفسي عَطَّرها هؤلاء الشعراء - رحمهم الله - جميعاً بروائع الشعر وبارتجالاتهم اللطيفة.

العنوان : يأمة الحق
المؤلف : عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد
الناشر : نادي المنطقة الشرقية الأدبي.
ط ١٤١٤هـ/١٩٩٣م (٣٠٠ ص)


عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد



غلاف الكتاب

أكثر قصائد ديوان (يأمة الحق) للشاعر عبدالرحمن العبيد قيلت من أعلى المنابر في المحافل والمناسبات الدينية والوطنية والعلمية.. فكان الخطاب يصدر من الشاعر إلى الجمهور. ولهذا اتسمت جُلُّ القصائد بالخطابية المباشرة، والتقريرية الصريحة.. لاستدراج الهياج، واستثارة الحماسة والعنفوان. فكان يعتمد على تكرار عبارات بعينها لما لها من وهج الإثارة، وروح التجاوب والتلاحم فيما بينه وبين المتلقي المستمع.. حتى أصبحت العبارات والمفردات المتكررة ظاهرة بارزة، لاتخلو منها قصيدة ما.

ولقد كان الشاعر العبيد يختار المعاني التي لها صلة وثيقة بالقيم والمثل الإسلامية والعربية، كي ينشدها شعراً ويترجمها خطاباً، كالجهاد والاتحاد، ونبذ السوء والمبادىء الهدامة، والتحلي بمكارم الأخلاق والصبر والجلد، ونشد الأصالة، والحق والخير والعلم.. وغيرها من المعاني الكثيرة، التي يستقيها من المنهج السماوي الذي نادى به الإسلام. فكان دؤوباً على زرعها في النفوس.. ولاسيما إن استحال هذا الشعر إلى وعظ وتعاليم دينية، كقصيدته الأخيرة «الوصية» التي زخرت بتلك التعاليم، فجاءت على شكل خطاب مباشر لكل مسلم لاتباع طريق الإسلام، ولم يترك خصلة إسلامية، كما وردت في القرآن والسنة، إلا وألزم بها سامعه.ولاندري أيمكن أن ندرج مثل هذا الشعر تحت ظلال الأدب الإسلامي؟!

ويبدو أن الشاعر العبيد كانت تستهويه عبارات بعينها، فيلجأ إلى تكرارها، لأن ميزة التكرار تأتّت عن إعجاب بتلك العبارات، وكأن هذا الإعجاب، مثلاً هو الذي قاده إلى تكرار صيغة التعجب (أفعل به) في كثير من قصائد هذا الديوان، فكانت تلك الصيغة التعجبية تعكس أيضاً الكثير من القيم الإسلامية، مثل قوله:

لاشيء غير هدى الإسلام ينقذنا
أكرم بتشريعه نهجاً وقرآنا ؟ (ص ٢٠)

وقوله :

أكرم بها راية التوحيد نرفعها
في ظلها الأمن والإيمان موسوم(ص٣٦)

وقوله :

جيل الجهاد أتاهم في حجارته
أكرم به الجيل بالإيمان يزدهر (ص٦٦)

وقوله:

أنعم به قلم الكتاب مكرمة
قد أقسم الله فاتلوا تعرفوا القسما (ص٨٠)

وقوله:

أكرم به الشعر يشجينا بدعوته
إلى الجهاد مضى في العسر واللين (ص ١٥٦)

وتتكرر مثل هذه الصيغة التعجبية في أبيات أخرى كثيرة، نجدها في الصفحات : (١٦٦، ١٦٧، ١٧٦، ١٨٩، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٦).

وإذا كانت تلك التقريرية تتضمن معاني إسلامية واضحة، فإنها تستوجب في الوقت نفسه، أسلوباً حكمياً واضحاً ينهل في تلك المعاني. ومن هنا جاءت حكمه على غاية من الوضوح والعفوية، وقد تستحيل إلى ثوب نثري مألوف يردده الخاصة والعامة، على شكل بيت واحد، أو شطر منه.. مثل قوله:

والحرُّ إن لم يَصُنْ في الناس مبدأه
جناه بين الورى ذلاً وخذلانا (ص١٦)

وقوله:

من حارب الحقَّ لايأمن عواقبه
وكل من حارب الإسلام مهزوم (ص ٣٨)

وقوله:

والعلم مالم يصنه العقل ضلّ به
أصحابه وجنوه الخزي والندما (ص ٨٠)

وقوله:

من عاش للإسلام فليهتف به
والحق سرّ نجاحه الإفصاح (ص٩١)

وقوله:

وإذا انطوى في النفس نبعُ فضيلة
لم يبق غيرُ الشؤم من مأساتها (ص ٩٧)

وقوله:

والمال يفنى في الحياة وإنما
تبقى المعارف حية برواتها (ص ٩٨)

وقوله:

والحق يرجعه جهاد صادق
والحر يأبى أن يُضام ويُسلبا (ص ١١٠)

وقوله:

كم مُدعٍ يتباهى في مقولته
ولو تأملته أبصرت دجّالا (ص ١١٤)

وغيرها كثير مما تجدها في الصفحات (٢١٩،

٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٣)

ومن حكمه التي جاءت شطراً من بيت هي:

والذل مهما اختفى يبدو له أثر (ص٦٥)

والمرء تخلد ذكراه إذا اجتهدا (ص٢٣٧)

وللشاعر أحياناً نَفَس قصصي، إذ نراه يوظف الحديث القصصي التراثي والمعاصر في قصائد هادفة، مثل قصيدته «بنت بائعة اللبن»، وقصيدته «دم الشهيد». ففي الأولى يوظف القصص التراثي: حيث «ورد في كتب التاريخ أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعسّ في أسواق المدينة، فسمع حواراً بين أم وابنتها تصرُّ فيه الأم على مزج اللبن بالماء، ولكن الابنة تحذر الأم من عاقبة الغش وتخوفها بالله.. فما كان من أمير المؤمنين إلا أن علّم على البيت بإشارة، وجاء في اليوم التالي ليخطبها لأحد أبنائه مستدلاً بقوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات : ١٣) . وفي الثاني يوظف الحدث أو القصص المعاصر: وهي «قصة مجاهد أفغاني مسلم انتظم في سلك المجاهدين، واستشهد في سبيل الله وظهرت عليه كرامة المجاهد» . والصورة الفنية في شعر العبيد قليلة: (ص٧١ ، ص١٦٥، ص١٧٣) لأن التقريرية لاتتطلبها.

خواطر من وحي الإدارة العامة التطبيقية

المؤلف: عبدالرحمن بن عبدالمحسن العبد القادر

الناشر: مرامر للطباعة الإلكترونية – الرياض – ط ١٤١٣هـ/١٩٩٣م (٢٤٦ص)



عبدالرحمن بن عبدالمحسن العبد القادر



خواطر من وحي الإدارة العامة التطبيقية

عبد الرحمن بن عبد المحسن العبد القادر

الرياض ١٤١٣هـ-١٩٩٣م

غلاف الكتاب

الإدارة فن وذوق وأخلاق وحضارة، وفهم لطبيعة العباد وظروفهم وتكوينهم الشخصي والنفسي والثقافي، واستيعاب لمختلف الظروف التي يمر بها الإنسان.

ويبدو أن مؤلف كتاب [خواطر من وحي الإدارة العامة التطبيقية] للأستاذ عبدالرحمن بن عبدالمحسن العبدالقادر يدرك ذلك منذ المقدمة التي أشار فيها إلى أن الإنسان «يعيش في بيئات ومجتمعات متنوعة، تسير حياته فيها وفق ظروف حضارية واجتماعية واقتصادية متباينة» وأن: «لكل فرد شخصية مستقلة لاتتطابق في الاستجابة أو التأثير بكل أنواع أو بعض مايحيط بها، أو تتعرض له مع غيرها من الشخصيات الأخرى.. إذ إن لكل إنسان مفهومه الخاص عن الحياة» .

ولقد جاءت خواطر أو رؤى المؤلف مستقاة من طبيعة عمله في «الديوان العام للخدمة المدنية» ذلك العمل الذي أتاح له اطلاعاً واحتكاكاً وتجربة كما يقول .

ويمكننا أن نرصد، بشيء من المتابعة المتواضعة، تلك الخواطر الإدارية، ونقف عند بعضها حسب مايتيحه لنا المجال؛ عسى أن نبرز جزءاً من حسنات وفضائل هذا الكتاب، مما يكون حافزاً طيباً لكل إداري للاحتذاء بهذه التجارب والآراء الناجعة، والتي كان لتراثنا الفكري والحضاري نصيب كبير منها، وبخاصة ماقاله كل من: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم .

وقف المؤلف عند أهمية وضرورة (تصنيف الوظائف)، لأن لكل وظيفة رجالها وعمالها، وكل حسب إمكاناته وتخصصه.. وهذا التصنيف يساعد على حسن تنظيم العمل من جهة، وتنظيم العلاقة بين مختلف العناصر العاملة من جهة أخرى. كما أنه يحمي الوظائف من خطر تسرب غير المؤهلين إليها . وهذا يقود إلى أن يتفهم الإداري الأول في الجهاز دور التصنيف في رفع مستوى ومعنويات العاملين لديه، وحماية جهازه من التدني في الأداء الفردي.

ووقف المؤلف عند قضية المشكلات أو الصعوبات التي تعترض سير المشرف على الأجهزة الإدارية، ومايتطلب حلّها من حزم وأناة وتبصر ودراسة. ورغم أنه لم يحدد القضية الإدارية بدقة، فإنه وفّق بعرض حكاية موحية بالغرض . وهي حكاية عربة القطار الخارجة عن قضبانها الحديدية، واضطراب الركاب في إعادتها إلى ماكانت عليه، وتشتت الجهود وضياعها.. حتى انبرى أحدهم، واختار من بينهم الذين يتوسم فيهم المقدرة على تنفيذ خطته التي نجحت من خلال ذلك التأني والدراسة والتخطيط . وتنطبق تلك المشكلة على المشرف – مدير الإدارة – الذي يشرك في الخطط والتنفيذ من هم ليسوا أهلاً لذلك .

اختار المؤلف البديل الثالث أو الأخير من البدائل الثلاثة التالية للمدير في الدول النامية، بعد أن بين سلبيات الأول والثاني:

– المدير اللامبالي، الذي يترك الأمور

تسير كما يتهيأ لها، وكيفما اتفق ..انطلاقاً من القول «ليس بالإمكان أفضل مما كان» .

– المدير الذي يُحَمِّل نفسه أكثر من طاقتها، ويقوم بأداء كل كبيرة وصغيرة .

– المدير الذي يتجه نحو الإصلاح، وكل مايتطلبه ذلك من إعادة تنظيم وتبسيط للإجراءات وتدريب الموظفين .. على ضوء عدم إغفال «دور بيئة العمل في نجاح الإدارة» وجد الكاتب أن الرقابة المتشددة وغير الواقعية من الرئيس صوب المرؤوس، قد تفرز بعض السلبيات في العمل، منها: تأخر إنجاز العمل، وانعدام الصراحة والرؤية الصحيحة، وتدني صدق المعلومات في العمل بشكل عام . ولذلك رأى أن من لايأخذ بضرورة المراجعة في أساليب المراقبة من واقع التجربة التي تنأى بالرئيس عن مزالق العشوائية لهو «إنسان ينتمي إلى مدرسة تهتم بالشكليات أكثر من اهتمامها بجوهر الأمور، وتنظر للجزئيات على حساب الكفاءة العامة للمؤدى من الأعمال».

وقف المؤلف عند نصوص فكرية تراثية، كما ذكرنا، في شؤون الإدارة وغيرها، أمثال: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن عبدالعزيز، والحسن البصري، والصولي .

وقف عند قول عمر بن الخطاب وهو يسأل الرعية وقفة رائعة .. استشف منها رؤية إدارية سبقت المنظرين المعاصرين بقرون زمنية عديدة، واتخذ المؤلف من النص عنواناً لموضوعه: «أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ماعلي ؟! قالوا: نعم . قال: لا، حتى أنظر في عمله أعمل بما أمرته أم لا» .

ولقد استخلص المؤلف أسساً إدارية وإنسانية واعية وصادقة على ضوء اختيار العاملين وأسلوب التعامل معهم .

ووقف عند نص آخر لعمر بن الخطاب، بعد أن وضع له هذا العنوان: «إعلام المعين لوظيفة عامة بواجبه، وصلاحياته، وأخلاقيات الوظيفة المعين لها»؛ والذي يكاد يكون خلاصة لمضمون النص ومادته الإدارية.

– «ياابن مسعود ! اجلس للناس طرفي النهار، وأقرئهم القرآن، وحدث عن السنة، واحرص على ماسمعت من نبيك صلى الله عليه وسلم، ولاتستنكف إذا سئلت عما لاتعلم أن تقول: لاأعلم، وقل إذا علمت، واصمت إذا جهلت، وأقلل الفتيا فإنك لم تحط بالأمور علماً، وأجب الدعوة، ولاتقبل الهدية وليست بحرام ولكني أخاف عليك القالة .. والسلام» .

استوحى المؤلف عنواناً من نص لعلي بن أبي طالب، يكاد يكون درساً في الخلق الكريم.. لكل أمرىء في موضوع عمله كبر أم صغر، وعليه ألا يحاسب دائرته أو جهازه الذي يعمل فيه على ماأعطوه قبل أن يحاسب نفسه على ماأعطى للعمل، وكان العنوان: «أخذ دون عطاء .. استدانة بلا وفاء» وكان النص: «.. فإن المرء ليسره إدراك مالم يكن ليفوته، ويسوءه فوات مالم يكن ليدركه. فما نلت من دنياك فلاتكثر به فرحاً، ومافاتك فلاتكثر عليه جزعاً، وليكن سرورك فيما قدمت، وأسفك على ماأخرت، وهمك لما بعد الموت» .

وكان لعمر بن عبدالعزيز نصيب من النصوص الإدارية في كتاب المؤلف عبدالرحمن العبدالقادر، فقد حمل أحد النصوص هذا العنوان: «تدارس الحالات بين زملاء العمل محمود». وذلك لأن الخليفة ابن عبدالعزيز يرى أن «المشورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة، لايضل معهما رأي ولايفقد معهما حزم» .

ثم اختار المؤلف عنواناً آخر لموضوعاته الإدارية من أحد نصوص عمر بن عبدالعزيز وهو: «قاتل هواك كما تقاتل عدوك، واصبر نفسك على ماكرهت ابتغاء ماعند الله من حسن ثوابه الذي وعد المتقين» .

كما استخلص المؤلف هذا الموضوع أو الخاطرة «الوظيفة العامة موطن لفعل الخير» من قول الحسن البصري لرجل حضر جنازة: «أتراه لو رجع إلى الدنيا لعمل صالحاً ؟» قال الرجل: نعم . قال له الحسن: «فإن لم يكن هو فكن أنت».

وإذا كان المؤلف عبدالرحمن العبد القادر قد استوحى خواطره الإدارية من هذه النصوص التراثية التي تعير وزناً كبيراً لمكارم الأخلاق والقيم الإنسانية الرفيعة، فإنه قد يستوحي بعضها من نصوص أخرى لاتعير شأناً لتلك القيم، وإنما تعيرها لأمور إدارية شكلية، يمنحها المؤلف وزنها وقيمتها الإدارية والكتابية .. وذلك حسب ماجاء في موضوعه «وللتاريخ على المذكرات والتقارير أهمية»، الذي استمده من قول الصولي: «كاتبت أبا حنيفة رحمه الله فأغفلت التاريخ، فكتب إلي: وصل كتابك مبهم الأوان، فظلم البيان، فأدى خبراً ماالقرب فيه بأولى من البعد منه، فإذا كتبت – أعزك الله – فلتكن كتبك موسومة بالتاريخ، لأعرف أدنى آثارك وأقرب أخبارك».



القوارض: طاعون الإنسان والاقتصاد

درويش مصطفى الشافعي

إذا كان الخلل الذي حَلَّ في طبقة الأوزون قد استحوذ على اهتمام مشاهير العلماء وشغل بال الناس على اختلاف اهتماماتهم وتخصصاتهم فإن موضوع تضخم أعداد القوارض وانتشارها في العديد من مناطق العالم قد يحتل قريباً مكانة مهمة في قائمة المشكلات البيئية، وذلك لأهميته وخطورته على حياة الإنسان واقتصاده من ناحية، وللآثار المؤلمة التي تركتها القوارض في نفوس الناس منذ زمن بعيد. فبالإضافة إلى الخسائر المادية الجسيمة التي أوقعتها القوارض، تسببت أيضاً في نشر العديد من الأمراض والأوبئة الخطيرة ـ من بينها الطاعون ـ التي أودت بحياة نصف سكان العالم مما عوق تطور الحضارة الإنسانية عشرات السنين، ولذا كانت القوارض سببا في وقوع حوادث القطارات المروعة والحرائق الهائلة وذلك بسبب قضمها لأسلاك الكهرباء مما أدى إلى تعطيل أجهزة الحاسوب التي تعتمد عليها حركة هذه القطارات أو إحداث تماس كهربائي أدى إلى نشوب الحرائق. ولعل أول ضرر مسجل للقوارض كان انهيار سد مأرب الذي كان أحد عوامل اندثار الحضارة الإنسانية في اليمن.

الاعتقاد بأن الطاعون زال عن العالم وألحق بالجدري ،كان استنتاجا خاطئاً وموغلاً في التفاؤل

نظراً لأهمية القوارض ودورها وتأثيرها في حياة الإنسان وتقدم حضارته، ونظرا لوجود مؤشرات قوية على إمكانية انتشارها وتكاثرها بصورة غير طبيعية فقد يكون من المفيد تعريف الناس بحياتها وسلوكها وطرق مكافحتها. وكذلك مخاطرها الصحية والاقتصادية على الإنسان.

استنتاج خاطئ

يعد مرض الطاعون من أهم وأخطر مظاهر الاختلال الصحي التي تنعكس على الإنسان من جراء انتشار القوارض، وبخاصة الجرذان، ولايزال العالم يذكر البلاءات العظيمة التي مرت على البشرية بسبب الطاعون، غير أنه عندما أعلنت منظمة الصحة العالمية في العام ١٩٧٨م زوال «الجدري»، والقضاء تماماً على مسببات ذلك المرض الذي أنهك الإنسان طيلة قرون عديدة، اعتقد بعض الناس أن الطاعون - الداء الذي يعد «توأم» الجدري، ويماثله في الخطورة وسرعة الاجتياح والانتشار - قد زال من العالم، وانتهت كوارثه إلى غير رجعة، دون أن يحتاج الأمر إلى «توثيق»، أو إعلان احتفالي تطلقه الهيئة الدولية.. إلا أن هذا الاعتقاد - الذي جعل من الطاعون مرضاً «تاريخياً»، يحتفظ الإنسان منه بمجرد ذكريات مؤلمة عن هجماته المرعبة - كان خاطئاً، وكان موغلاً في التفاؤل.

عودة الطاعون!!

ففي الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر (أيلول) الماضي تلاشى كلياً ذلك الاعتقاد وذهب حذر التفاؤل، حيث كان العالم على موعد مع النبأ المفجع الذي جاء من الهند، معلناً انطلاق الطاعون من عقاله في موجة وبائية تصرع الناس، وتنذر بتوسيع رقعة الانتشار. وكان خروج الوباء من السيطرة داخل مدينة «سورات» غرب الهند، حيث تم اكتشاف وتسجيل أول حالة، وامتداده إلى كلكتا المكتظة بالسكان في أقصى الشرق، مبرراً كافياً ليزداد الناس هلعاً، ولتجحظ العيون، ولتهرع الدول إلى تطبيق إجراءات احترازية صارمة تقي شعوبها خطر «الموت الأسود».

ما الطاعون؟

وإزاء الاهتمام الإعلامي الواسع والكثيف بتتبع تطورات الوباء، وصدور التحذيرات والإرشادات من الجهات المختصة، تساءل كثيرون، ما الطاعون؟، ما أعراضه، كيف السبيل لتفادي الوقوع في أسره؟.

الطاعون مرض مُعْد يصيب الفئران والبراغيث وينتقل منها إلى بقية الحيوانات والإنسان. فحينما تصاب الجرذان بالطاعون يُنقل المرض إلى البرغوث بابتلاع دم الجرذ المصاب، الذي يتغذى به، وهنا يصاب البرغوث بالإنتان أيضاً ويقيء الجراثيم التي تتكاثر في أمعائه، والبرغوث المصاب يهجر مضيفه، بعد أن يكون هذا الآخر قد هلَك، قاصداً مضيفاً جديداً قد يكون إنساناً، إذا قل عدد الجرذان، وعندما يتناول البرغوث وجبته من دم الإنسان يقيء جراثيم الطاعون.. ويسبب الطاعون عصيات تسمى اليرسينيات الطاعونية Yersiniapestis، وهي جرثومة مستديرة النهايات يمكن تعرفها تحت المجهر الضوئي في عينات مأخوذة من المريض، بعد تلوينها بصبغة خاصة.

وقد تم اكتشاف جرثومة الطاعون عام ١٨٩٤م في هونج كونج على يد العالم «الكسندر يرسين»، وعُرفت



يصطاد الهنود الفئران ويستبدلونها بالأرز على سبيل المكافأة

الجرثومة في ذلك الوقت بـ «الباستوريلا»، وفي عام ١٩٧٠م تم تعديل المسمى وأعطيت الجرثومة اسم مكتشفها «برسينية».

أعراض الطاعون ونماذجه

يظهر مرض الطاعون على الإنسان في نماذج سريرية عديدة أشهرها وأكثرها مشاهدة هو الشكل «الدبيلي» Budonica، ويحدث هذا النموذج عند دخول العصيّات الطاعونية البرسينية إلى جسم الإنسان بلسعة برغوث مصاب، فتصل الجراثيم إلى العقد اللمفاوية. وتبقى العصيّات في حالة كمون طيلة فترة الحضانة (٢-٨ أيام)، ثم تبدأ الأعراض بالظهور فجأة على شكل نواقض (عرواء)، وارتفاع الحرارة الشديد، والضعف العام، والصداع، وقد يلاحظ «انتباج» تورم أو انتفاخ «الدبيلة» في اليوم نفسه. وقد يكون هذا (الانتباج) مؤلماً لدرجة قد تمنع المريض من تحريك طرفه تحاشياً للألم. ويختلف حجم «الدبيلة»، وقد يصل إلى حجم البرتقالة المتوسطة، ويكون الجلد فوقها مشدوداً ومحمراً، ويكون قوام «الدبيلة» متجانساً إذا كانت عقدة وحيدة، وتكون مفصصة إذا شملت عقداً ليمفاوية متعددة، ويسبب جس «الدبيلة» ألماً شديداً، ويكون الجلد فوقها حاراً.

يعاني الشخص المصاب بالطاعون، خلال سير المرض، من نوبة تجرثم الدم، ويسير سريعاً نحو الموت خلال (٣-٤) أيام من بدء الأعراض، وكثيراً ما تترافق الحمى بالهذيان، والصرع عند الأطفال، وتكون الحرارة بين (٣٨٫٥ - ٤٠) درجة مئوية، ويكون النبض بمعدل (١١٠-١٤٠) في الدقيقة، وينخفض الضغط (١٠/٦) بسبب التوسع الوعائي العام، وكثيراً مايكون الكبد والطحال مؤلمين.

وهناك نموذج سريري آخر للطاعون، هو حدوث «الفرفريات» عند تعمم الداء، وقد تصبح مواضع الإصابة متنخرة وتسود الأطراف المحيطة وتموت، ويعتقد على نطاق واسع أن هذا اللون هو السبب في إطلاق تعبير «الموت الأسود» على الطاعون الذي غزا الصين في القرن الرابع عشر الميلادي. وهناك حالتان للنموذج الدموي للطاعون، هما الشكل الإنتاني الدموي الثانوي، وهو الذي يتلو الإصابة بالطاعون الدبيلي، والشكل الإنتاني الدموي البدئي، وهو الذي يحدث دون وقوع الشكل الدبيلي.

كما أن للطاعون شكلين رئويين هما الطاعون الرئوي الثانوي، وهو الشكل الذي يتلو الإصابة بالطاعون الدبيلي حيث تصل الجراثيم إلى الرئة عند حدوث التجرثم الرئوي، فتنتج «ذات الرئة الطاعونية» الشديدة السير والقاتلة، وتحدث فيها الوفاة خلال ٢٤ ساعة، وهذا

السنجاب يضر بلحاء الأشجار وثمارها

الكوارث التي سببتها القوارض للحضارة الإنسانية تفوق مآسي الحروب عبر التاريخ.

الشكل مسؤول عن انتشار الوباء بين البشر أنفسهم دون وساطة البرغوث، حيث يكون السعال قيحياً مدمياً، ويحتوي على الجراثيم، فإذا وصل إلى الجهاز التنفسي لإنسان آخر حدثت لديه «ذات الرئة الطاعونية البدئية».

الطاعون الرئوي البدئي

وهو من أخطر أنواع الإصابات الطاعونية، ويقتل المصاب خلال ٢٤ ساعة مالم تتم المعالجة خلال الساعات الأولى للإصابة، ومن الأشكال الأخرى للطاعون، التهاب السحايا، والتهاب البلعوم بالطاعون، وكلاهما شكلان نادران للمرض.

من الممكن التحكم في انتشار أي من أنواع الطاعون باستخدام المضادات الحيوية المعروفة مثل: التتراسيكلين والكلورانفيكول والاستربتومايسين، ولكن تعطى جرعات أعلى من المألوف، خاصة أن جرثومة الطاعون (بكتيرية وليست فيروسا)، ويجب أن يتم العلاج بسرعة، وفي غضون (١٦-٢٠) ساعة من الإصابة، أما لو بدأ العلاج بعد ذلك فربما تنجح المضادات في القضاء على البكتريا ولكن الضرر الذي يصيب أنسجة الرئة يصعب شفاؤه.

القوارض وانفجار تشيرنوبل

ولعل من أهم الأسباب التي تدعو إلى القلق والعمل الجاد في مكافحة القوارض هي تلك الأسباب المتعلقة بتغيرات البيئة التي تشمل التلوث بالمواد الكيميائية والمشعة واستخدام القوارض في مئات التجارب العلمية مثل علم الوراثة، علم وظائف الأعضاء، علم الأدوية، علم المناعة وغيرها مما قد يؤدي إلى ظهور سلالات جديدة من القوارض ذات قدرات إضافية أو تصاب بأمراض خطيرة لم تكن معروفة من قبل، وإذا ما عرفنا أن نمو القوارض لايتوقف عند عمر معين ما دامت تجد ظروفا بيئية مواتية وأنها لاتستطيع تقيؤ المواد السامة أو الغريبة التي تدخل جوفها فإن ذلك يدعونا إلى أخذ الحيطة والحذر وتوقع ما لاتحمد عقباه.

إن التغيرات الشكلية والفسيولوجية التي طرأت على الجرذان بعد حادث تشيرنوبل تشكل دليلا واضحاً على تأثر القوارض بعوامل البيئة المختلفة.

ولايخفى على أحد بأن الظروف البيئية أصبحت مواتية تماما لنمو القوارض وتكاثرها سواء أكان ذلك في المدن والقرى أم في الحقول الزراعية وذلك للأسباب التالية:

- اتساع الرقعة الزراعية لتشمل الصحاري والبوادي مما يوفر الغذاء والماء والمأوى للعديد من أنواع القوارض، وكذلك الأساليب الخاطئة في تخزين المحاصيل الزراعية وحفظها.



للقوارض قدرة كبيرة على التكاثر السريع

- التعامل الخاطئ مع النفايات المنزلية والصناعية وتركها مكشوفة بحيث تصل إليها القوارض بسهولة.
- زيادة حركة النقل والشحن البحري والبري الذي يساعد في نقل القوارض ونشرها من منطقة إلى أخرى.
- نقص أو غياب إجراءات تحصين المنازل، والمصانع، والمخازن، وأنظمة التصريف الصحي ضد القوارض.
- عدم وجود برامج متكاملة لمكافحة القوارض في الكثير من بلدان العالم مما يسهم في إكساب القوارض قدرات جديدة.
- نقص أعداء القوارض الطبيعيين أو غيابهم تماما من البيئات الطبيعية ومن بيئة المدن والقرى.
- عدم وجود معرفة كافية لدى أفراد المجتمع بالقوارض وأخطارها.

ومما يستحق الذكر أن إدراك الناس ومعرفتهم بحياة القوارض وسلوكها وأخطارها يعد خطوة مهمة في برامج الوقاية منها ومكافحتها.

القدرة على التكيف والانتشار

تشكل القوارض قوة هائلة وجبارة في العالم، وتعد رتبة القوارض (Rodentia) من أكبر الرتب الحيوانية من حيث انتشارها وعدد أنواعها، وكثرة أفرادها، ولايضاهيها في عدد الأفراد الكلي إلا رتبة الخفافيش، ويقدر عدد أفراد القوارض في العالم بالبلايين.

وتنتشر القوارض في جميع أرجاء الأرض - من خط الاستواء حتى حدود القطبين الشمالي والجنوبي - وهذا يشير إلى قدرة القوارض على العيش والتكيف في مختلف الظروف والبيئات الطبيعية. وتختلف القوارض من حيث الحجم والوزن فالفأر المنزلي لايتعدى وزنه (٥و٢) كيلو جراما في حين يتراوح وزن القندس والشيهم من (٣٠-٦٠) كيلو جراما. وتعيش القوارض في أماكن متباينة فمنها ما يعيش تحت الأرض مثل المناجذ (نوع من الفئران، مفرده خُلْد) ومنها ما يعيش في وسط مائي مثل القندس ومنها ما يألف العيش في مساكن الإنسان وحقوله مثل الفأر المنزلي والجرذ النرويجي والعكابر ومنها ما يعيش متسلقاً على الأشجار كالسنجاب والجرذ المتسلق ومنها ما يعيش في الصحاري القاحلة كالجرابيع ومنها أخيراً ما يعيش ويتكاثر تحت الثلوج. وبناء على ذلك يمكن القول بأن القوارض المختلفة تمتلك صفات تشريحية وفسيولوجية وسلوكية متباينة تتناسب مع بيئاتها ونمط معيشتها ولهذا ليست جميع القوارض ضارة بالإنسان والبيئة بالقدر ذاته ويعتمد حجم ونوع الضرر على أعداد القوارض الموجودة في المكان وعلى المتغيرات في المكان والزمان فالقوارض الصحراوية على سبيل المثال لم يكن لها أضرار تذكر إلا بعد أن انتشرت الزراعة الصحراوية، ولعل من أكثر القوارض التي سببت ضررا للإنسان ومحاصيله

الزراعية هي تلك التي تعيش في الحقول والمنازل ومخازن الحبوب مثل الفأر المنزلي، وفأر الحقل، والجرذ النرويجي، والجرذ المتسلق، والعكابر (Voles)، بينما لاينتج عن وجود الشيهم في الطبيعة خطر يذكر، وفي الوقت نفسه نجد أنواعاً كثيرة من القوارض تقدم خدمات كثيرة للإنسان والبيئة الطبيعية تفوق الخسائر المادية التي تحدثها، ومن أمثلة ذلك القندس والمارموت وهناك أنواع من القوارض تضيف إلى قائمة غذائها الحشرات الضارة بالمزروعات وتقضي قوارض أخرى حياتها في اقتناص العقارب، ومن المعروف أيضاً أن القوارض تشكل حلقة مهمة في السلسلة الغذائية.

تنشط معظم القوارض خلال الليل وتعيش في دهاليز أرضية مظلمة ولهذا تحتاج إلى حواس متطورة تمكنها من الحركة في الظلام والبحث عن الغذاء والهرب من الأعداء، وفيما يلي نبين أهمية الحواس ودورها عند القوارض:

حاسة الشم

للقوارض حاسة شم متطورة تمكنها من تتبع رائحة الجنس المعاكس من أجل التزاوج وتعرف أبناء جنسها أو أعدائها، وتستطيع القوارض بواسطة حاسة الشم التعرف على رائحة بول القوارض الأخرى والكشف عن الحالة التي تتواجد فيها فتحذرها من المأزق الذي وقعت فيه، ولهذا يجب غسل مصائد القوارض بعد كل استعمال لإزالة رائحة التحذير وتتعرف الأمهات على صغارها من خلال رائحتهم، ولهذا يراعي العاملون في مختبرات تربية القوارض مسح أيديهم بالمواد الموجودة داخل صندوق تربية القوارض قبل الإمساك بصغارها لأن أي تغيير في رائحة الصغار قد يؤدي إلى أن تهمل الأم صغارها أو تلتهمهم.

وتفيد حاسة الشم لدى القوارض في البحث والكشف عن مكان وجود الغذاء وتعرف نوعيته، وقد عُرف عن القوارض أنها مغرمة جداً بالخبز المقلي مع البصل وكذلك بزبدة الفستق والجبن الأبيض. أما الروائح التي تُنَفِّرُ القوارض (لاسيما البرية منها) فهي رائحة الإنسان ورائحة المواد التي تحتوي على ذرات الكبريت والأزوت التي تدخل في تركيب الأمينات وأملاحها ولهذا تستخدم هذه المواد بالقرب من كوابل الكهرباء والأجهزة الحساسة لطرد القوارض وإبعادها.

التذوق

تعد حاسة التذوق عند القوارض متطورة جداً خصوصا عند القوارض البرية، ويعتقد العلماء أن قدرة القوارض على التذوق تعادل مثيلتها عند الإنسان، وتَنْفُرُ القوارض من المذاق المر حتى ولو كان بتركيز قليل جدا كما يمكنها تمييز الغذاء الذي تتناوله لمدة تزيد عن ستة أشهر فإذا أكل جرذ غذاء مسموما وحدثت له آلام فقط ولم يمت فإنه يمتنع عن تناول هذا الغذاء حتى ولو لم يكن مسموما، وتسمى هذه الظاهرة بظاهرة التوجس من المطعوم (Bait Shyness).

وتمتنع القوارض لاسيما الجرذان عن شرب الماء الذي يحتوي على ثلاثة أجزاء في المليون من مادة (الفنيل ثرو كارباميد) وهي مادة سامة ذات مذاق مر، كما يستطيع الجرذ النرويجي اكتشاف مادة الورفارين في الغذاء حتى ولو كان تركيزها بمقدار ربع جزء في المليون، ولهذا يواجه العاملون في مجال مكافحة القوارض صعوبات كثيرة ويتعذر عليهم القضاء عليها بصورة نهائية.

اللمس

تمتلك القوارض حاسة لمس متطورة تفيدها في تحسس طريقها في الظلام، وتتركز هذه الحاسة في اليدين والقدمين، وفي الشعيرات الحساسة المنتشرة على الجسم، وفي الشوارب الموجودة حول الفم. وترتبط هذه الشعيرات بشبكة أعصاب متطورة ومعقدة تنشأ في قاعدة كل شعرة.

السمع

بينت الدراسات التي أجريت على القوارض بأن حاسة السمع لديها متطورة بصورة كبيرة أيضاً وتلعب دورا مهماً في اتصال أفراد المجموعة وتفاهمها فيما بينهم.. كما تمكنها هذه الحاسة من أخذ الحذر والهرب من الأعداء.

وتستطيع القوارض بشكل عام أن تطلق أو تلتقط ذبذبات عالية بمقدار (٤٥) كيلو هرتز، وقد وجد أن الجرذان تتحمل التقاط ذبذبات تصل إلى (١٠٠) كيلو هرتز، أما الفئران المنزلية فتتحمل (٩٠) كيلو هرتز. وللأصوات عالية التردد علاقة في تنظيم جوانب الاتصال الجماعي بين الأفراد والمجموعات. وعلى ضوء المعلومات المتعلقة بقدرة تحمل القوارض للذبذبات الصوتية فقد تم استخدام أجهزة تطلق أصواتا مزعجة (Ultrasound) لإبعاد القوارض وطردها من المنازل ومخازن الأغذية، ومما يذكر أن الموسيقى الصاخبة (الجاز) تسبب للقوارض نوبات قلبية ودماغية.

البصر

تعد حاسة البصر من أضعف الحواس عند القوارض، كما أنها لاتستطيع تمييز الألوان لكنها تميز الحركة وتتعرف هيئة الأشياء. فالجرذان النرويجية تُميز الحركة عن بعد تسعة أمتار، أما الفأر المنزلي فيميز الحركة من مسافة ثلاثة عشر مترا، ولا تتعدى الرؤية الواضحة لدى القوارض المتر ونصف المتر وهذا يُمكنها من القفز داخل جحورها أو على أطراف النوافذ.

وتتمتع القوارض بالإضافة إلى حواسها المرهفة بمجموعة مهارات قلما تجتمع في كائنات أخرى ومن هذه المهارات:

الحفر

تقضي معظم القوارض أكثر من ثلث نشاطها اليومي في حفر جحورها لتوفر المكان الآمن لها ولصغارها، وهي تحسن اختيار مكان الجحر بحيث لاتدخل إليه المفترسات بسهولة، ولا تصله مياه الفيضانات أو السيول، وغالبا ما يكون قريبا من مصدر الغذاء وتراعي القوارض أن يكون لجحرها أكثر من مدخل لتستخدمه في حالة الطوارئ. ويتكون الجحر من سلسلة معقدة من الأنفاق التي تؤدي



العكبر (Vole) فأر الحقل الذي يهدد المحاصيل الزراعية

حذر الفئران وقدرتها على الربط بين السبب والنتيجة يعرقلان جهود مكافحتها بالمواد القاتلة.

إلى حجرات عديدة تستخدم بعضها للولادة وتربية الصغار، وبعضها الآخر لخزن الطعام وأخرى لتجميع البراز والنفايات. وتعمل القوارض الصحراوية على سد مداخل جحورها ومخارجها خلال النهار لتمنع دخول الهواء الساخن إليها، ولتخفي مكان تواجدها. ويمكن القول بشكل عام إن معظم أنواع القوارض ماهرة جداً في بناء مساكنها، ولكن تختلف قدرات القوارض على الحفر تبعا لطبيعة معيشتها وأماكن تواجدها. فالجرذ النرويجي Rattus norvegicus له قدرة على الحفر تفوق قدرة الجرذ الأسود المتسلق (جرذ البواخر)، ومن النادر أن تعمل الفئران المنزلية على حفر جحور لها لسهولة حصولها على مأوى في المنازل وحولها، ويستطيع الجرذ أن يحمل في فمه حجارة تزن أكثر من (١٩٠) جراماً. ويعد القندس والعديد من أنواع القوارض الصحراوية والمناجذ من أكثر القوارض إتقانا ومهارة في حفر الجحور وتنظيمها.

إن ظاهرة الحفر لدى القوارض تسبب أضراراً اقتصادية للبنايات وقنوات الري والجسور وأطراف الطرقات، كما تؤدي إلى قضم أو قلع جذور النباتات مما يؤدي إلى موتها، ومما يساعد القوارض على الحفر تطور عضلات أطرافها وذيولها وقواطعها الأمامية الحادة، وعند مشاهدة خَلْد أثناء قيامه بالحفر يبدو وكأنه جرافة صغيرة من حيث سرعة الإنجاز والقدرة على إبعاد الأتربة الناتجة عن الحفر، وقد يسأل سائل لماذا لا تدخل الأتربة إلى داخل فم القوارض ما دامت تستخدم قواطعها الأمامية في الحفر؟، الحقيقة أن اللسان يمنع دخول التراب إلى المريء ويجمعه في الفراغ الموجود بين القواطع والأضراس وعندما يمتلئ هذا الفراغ يقذفه اللسان خارج الفم وتنفرد القوارض بوجود هذا الفراغ في تجويفها.

التسلق

تمتاز معظم القوارض بقدرتها العالية على التسلق، يساعدها في ذلك التركيب التشريحي لأطرافها التي تحتوي على خمس أصابع مزودة بمخالب قوية. ويلعب الذيل دوراً مهماً في حفظ توازن الجسم والتمسك بالأغصان أو الحبال، وتُعد الأنواع الثلاثة (فأر المنزل، الجرذ النرويجي، الجرذ الأسود المتسلق) التي تشارك الإنسان مسكنه والسناجب وقوارض الأشجار الأخرى من أكثر القوارض قدرة على التسلق، فهذه الأنواع تستطيع تسلق السطوح الخشنة أو السير على أسلاك الهاتف والحبال الممتدة من البواخر إلى الشواطئ، وجدير بالذكر أن الجرذ النرويجي قد وصل إلى بلادنا من النرويج عبر حبال ربط البواخر بالموانئ.

القفز

تستطيع القوارض القفز إلى مسافات مختلفة من الأسفل إلى الأعلى أو العكس، وكذلك إلى الأمام، فالفأر المنزلي يقفز إلى ارتفاع ستين سنتمتراً، ويستطيع أن يقفز من ارتفاع خمسة أمتار إلى أسفل، أما الجرذ المتسلق فيستطيع القفز إلى ارتفاع مترين ونصف، والجرذ النرويجي يقفز إلى ارتفاع سبعة وسبعين سنتمتراً، ولكن الجرابيع الصحراوية تقفز إلى الأمام مسافة تزيد على ثلاثة أمتار، والقفز سلوك محبب لدى القوارض تقوم به أثناء تجولها المعتاد بحثا عن الغذاء.

القرض

ترجع تسمية القوارض إلى الكلمة اللاتينية Ro-dere التي تعني القوارض، وتعود قدرة القرض لدى القوارض إلى قواطعها الأمامية الصلبة المغطاة بطبقة سميكة من الميناء البرتقالي اللون، ولما كان نمو القواطع مستمرا بدون توقف فإن ذلك يتسبب في إعاقة تغذيتها بسبب طولها الزائد مما يؤدي إلى موتها ولهذا تلجأ القوارض إلى حك قواطعها وقرض المواد الصلبة باستمرار بهدف تقنيب وشحذ قواطعها، وتستطيع القوارض قضم كل شيء أقل من صلابة ميناء قواطعها وهذا يشمل الأخشاب، صفائح الألمنيوم، الأسفلت، كوابل الهاتف والكهرباء، وقد بينت الدراسات أن معدل نمو القواطع العليا في العام يصل إلى (١١٫٥) سم بينما يصل معدل نمو القواطع السفلى إلى (١٥) سم، ويتيح هذا النمو



القط متربص دائماً للفأر عدوه الأول

السريع والمتواصل قضم المواد الصلبة وقرضها دون ضعف، وبسبب حاجة القوارض إلى تقنيب وشحذ قواطعها تتسبب بإحداث خسائر كبيرة في المواد التي توجد حولها.

السباحة والغطس

تُعد معظم القوارض من الحيوانات الماهرة في السباحة والغطس، ويتميز الجرذ النرويجي بقدرته على السباحة وذلك بسبب تواجده في المجاري وقرب المستنقعات، ويستطيع السباحة لمدة ثلاثة أيام بسرعة (٤ر١) كم في الساعة، إلا أن القندس وجرذ الماء والنوتريا أكثر تخصصا في الحياة المائية. وكنتيجة لقدرة القوارض على السباحة فإن ذلك يساعدها على دخول المنازل من خلال أنابيب المجاري والانتقال من طابق لآخر لا سيما وأن الأنواع المشاركة للإنسان تستطيع السباحة تحت الماء دون أن تتنفس لمدة تزيد عن نصف دقيقة وهذه المدة كافية لانتقالها من أنبوب إلى آخر.

التوازن

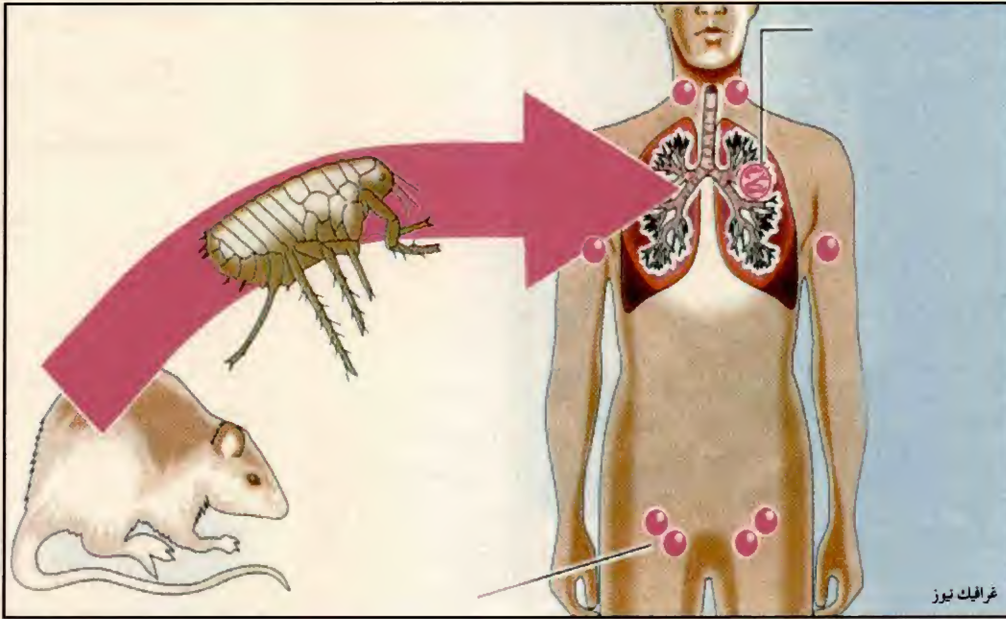
تمتلك معظم أنواع القوارض جهاز توازن متطور للغاية فهي تستطيع السير لمسافة طويلة على أسلاك الهاتف وأطاريف البنايات بسرعة وثبات، وتتحمل الفئران والجرذان السقوط من ارتفاع (١٥-٢٠) متراً وأن تقع على أطرافها دون أن تصاب بأذى.

ذكاء مدهش

ومما يدعم مهارات القوارض وقدراتها ويجعلها تعمل بتوافق دقيق وانسجام بديع هو ذكاؤها الذي يثير الدهشة والإعجاب، وقد ساهم الإنسان في تطوير ذكاء القوارض وأكسبها قدرات إضافية من خلال مطاردته لها ومكافحتها بطرق ووسائل لاتخلو من الأخطاء والنواقص. فقد تعلمت القوارض على سبيل المثال كيف تقترب من المصائد أو الأغذية المسمومة وتتجنب الأخطار، وعندما يتوفر لها الغذاء المناسب من حيث النوعية والوزن فإنها تحمله إلى جحورها لتتناوله بأمان، أما إذا كان حجم الغذاء كبيراً ولا تستطيع حمله فإنها تتناوله في مكانه بحذر وترقب شديدين، وتمتاز بعض القوارض مثل الجرذ النرويجي بالحذر الشديد من الغذاء الموضوع له، لايتغذى عليه قبل مرور (٣-٥) أيام على وجوده، كما أنه يتناول كمية قليلة أولاً يتذوقها وينتظر ليعرف تأثير الغذاء عليه، وهذا يدخل ضمن نطاق ردود الفعل التي تضمن البقاء والتي تقلل فرص التعرض للتسمم ويُعد هذا التصرف من أهم العراقيل التي تواجه مكافحة القوارض بالمواد الكيماوية وقد لوحظ عند استعمال المبيدات شديدة السمية التي تقتل الجرذان والفئران مباشرة بعد تناولها أن الفئران والجرذان الأخرى تربط العلاقة بين الغذاء المسموم والفئران الميتة قربه فتمتنع عن تناوله، ولهذا فقد تم تحضير سموم بطيئة التأثير تقتل القوارض بعد مرور عدة ساعات تكون خلالها قد ابتعدت عن مكان الغذاء المسموم، ولما كانت القوارض عاجزة عن التقيؤ فإن تناولها لكميات قليلة من الغذاء المسموم (جرعة غير قاتلة) قد يكسبها مناعة ضد السم، وفي حالة وضع الفخاخ والمصائد المختلفة لوحظ أن القوارض تبدي رد فعل شديد لكل جديد محيط فهي لاتدخل المصائد والفخاخ بسهولة إلا إذا كانت هذه الفخاخ والمصائد مموهة جيدا، وموضوعة بطريقة لاتثير الريبة والشك، وقد وجد أن المصائد التي تحتوي على رائحة الإنسان لاتنفع في كثير من الأحيان في صيد القوارض وذلك لأن رائحة الإنسان تنفر القوارض وتثير شكوكها، وفي إحدى محاولاتي صيد الجرابيع الصحراوية بواسطة مصيدة شبكية من نوع Havahart لاحظت أن أحد الجرابيع قد ارتاب وخشي من الدخول في المصيدة لكن الطعام داخل المصيدة كان شهياً ومغرياً وكان الجربوع جائعاً جدا، فماذا يفعل؟ لقد حفر تحت المصيدة ومد يده من خلال ثقوب المصيدة وتناول الطعام وأكله بسلام.

سلوك اجتماعي منظم

وتستطيع القوارض اكتشاف أبسط التغيرات التي تحدث في محيطها وهي تخاف الأشياء الجديدة وعندما تدخل مكانًا لأول مرة فإنها تبدأ بالشم والنظر حولها وتتفحص كل شيء فيه كما تتذوق نماذج من الغذاء والسوائل الموجودة، وحتى لاتضل القوارض طريقها فإنها تقوم بإفراز روائح خاصة على جميع الطرق والمسارات التي سلكتها وتطبع في ذاكرتها كل تفاصيل الممرات والحواجز وأماكن تواجد الغذاء والجحور ومخارج الطوارئ، وتسمى مقدرة القوارض على معرفة الاتجاه بحاسة الاتجاه والحركة Kinaesthetic Sence، ومما يساعد القوارض أيضاً على مواجهة التغيرات البيئية والتكيف السريع في مختلف الظروف، وملاحقة الإنسان لها، هو سلوكها الاجتماعي المنظم



انتقال الطاعون من الفئران والبراغيث للإنسان

ساهم الإنسان في تطوير ذكاء القوارض وإكسابها قدرات إضافية من خلال مطاردتها، ومكافحتها بطرق خاطئة

فالقوارض تعيش في رقعة محددة تبني فيها جحورها ومخابئها، وتظهر أنواع عديدة من القوارض صورة واضحة لسلوكها الاجتماعي حيث يمكن تعرف ثلاث طبقات أو مراتب في المجموعة السكانية الواحدة فالذكور القوية تقوم بحراسة مجموعة من الجحور والمسارات والأعشاش وعدد من الأناث في منطقة تواجدها، وتقوم الإناث بحراسة أعشاشها والأماكن القريبة منها، وتستولي الذكور القوية المهيمنة التي يمكن تسميتها مجازاً بالطبقة (أ) على أفضل الأماكن وأكثرها راحةً وقرباً من مصادر الغذاء وتحتفظ بعدد من الإناث وقد يقود المجموعة الواحدة أكثر من ذكر قوي حيث تقع على عاتق هذه الذكور حماية المجموعة السكانية من الأنواع الدخيلة فتتصدى لها وتطردها بعيدا عن مناطق نفوذها، وهناك طبقة الذكور الضعيفة والصغيرة التي تسمى بالطبقة (ب)، وهذه الطبقة محددة الصلاحيات وفرصتها في التزاوج محدودة. أما أوطأ موقع طبقي فهو الطبقة (ج) التي تضم أضعف الأفراد وأصغرها، وتخضع هاتان الطبقتان للطبقة (أ) وتكون رقعة نشاطها محدودة جداً، ولهذا نجد أن مجتمع القوارض في حالة متجددة نشطة لأن الذكور القوية هي التي تتزاوج مع الإناث فتعطي نسلاً قوياً قادراً على مواجهة التحديات، وعندما يكتظ المكان بالأفراد ويزداد التنافس على الغذاء والإناث تدب الفوضى بين الطبقات الثلاث وتَنْعَدِمُ حالة الزعامة والرضوخ، وتزول غريزة الاحتراس وحماية النفس، وتقوم الإناث بالتهام صغارها، وتسود العوامل الضاغطة (Stress Fac-tors)، مما يؤدي إلى نفوق عدد كبير منها، ويتوجه عدد آخر إلى أماكن جديدة تستوطن فيها، وقد يكون نقص الغذاء والنشاط البشري من أسباب انتشار القوارض في مناطق جديدة. وبالإضافة إلى قدرة القوارض الفائقة على التكيف في مختلف الظروف والبيئات الطبيعية وامتلاكها للعديد من المهارات فإن هذه الكائنات تمتاز بقابليتها للتكاثر النشط الذي يعد من ضروريات الصراع من أجل البقاء فالقوارض المشاركة للإنسان (الجرذان والفئران) تتكاثر على مدار السنة، وتتميز بسرعة نضجها الجنسي وكثرة الولادات، والمواليد، وقصر مدة الحمل.

جدول يبين قدرة تكاثر القوارض

اسم القوارض	لنضج الجنسي	مدة الحمل	عدد المواليد	عدد الولادات
الجرذ النرويجي	(٩٠-١٢٠) يوما	(٢٢) يوما	١٨-٢٠	٨
الجرذ المتسلق	(٩٠-١٢٠) يوما	(٢٢) يوما	١٨-٢٠	٨
الفأر المنزلي	(٥٥-٦٠) يوما	١٩-٢٠ يوما	٢-١٣	٧-١٠
العكبر	(٤٥-٦٠) يوما	١٩-٢٠ يوما	(٩) وفي حال الإنفجار السكاني أكثر من ذلك	٣-٥

وعند إجراء عملية حسابية بسيطة يتبين عدد الأفراد الناتجين عن أنثى واحدة في العام الواحد، ولولا وجود الأعداء الطبيعيين للقوارض مثل الطيور الجارحة النهارية والليلية، والنموس، والقطط الداجنة والبرية، والأفاعي وغيرها لغطت القوارض سطح الأرض وسلبت الإنسان لقمة عيشه وسببت له أضرارا صحية واقتصادية جسيمة.

وتستخدم بعض المفترسات من النموس في أعمال المكافحة الحيوية كما تستخدم المصائد Traps، والمواد اللاصقة والسموم الكيميائية على نطاق واسع، ومازال الإنسان يبتكر كل يوم وسائل جديدة لمكافحة القوارض والآفات الزراعية الأخرى ولكن ذلك قد لايكون كافيا ما دام التوزان في الطبيعة يتعرض للخلل وما دام الإنسان يخطئ في تعامله مع مكونات الطبيعة الحية وغير الحية، ولابد هنا من أن نستذكر القول المأثور (درهم وقاية خير من قنطار علاج)، وتتضمن الوقاية من القوارض إجراءات الإصحاح البيئي بشكل عام، واتخاذ الاحتياطات اللازمة والتحصين ضد القوارض في الحقول والمصانع والمخازن والمنازل والعمل على نشر التوعية والثقافة البيئية بين المواطنين.

طعنات القوارض للحضارة

لابد من التأكيد على ضرورة إعطاء موضوع القوارض وأخطارها ما يستحق من الاهتمام على الصعيدين الرسمي والشعبي، وإذا كنا قد بدأنا هذه المقالة بالحديث عن الطاعون، كأعظم مظاهر الاختلال الصحي الناجمة عن انتشار القوارض، واتبعنا ذلك تناولاً موسعاً للأخطار الأخرى الاقتصادية، فإنه من المناسب تسليط الضوء على كوارث الطاعون التي اجتاحت العالم - عبر التاريخ - ونكبت البشرية، وأهلكت ملايين الأنفس، وذلك حتى نقف ملياً مع مبلغ الأضرار وضخامتها التي سببتها القوارض للإنسان، والطعنات التي لحقت بالحضارة.

أعظم كوارث الطاعون عبر التاريخ

يذكر التاريخ حدوث الطاعون في ثلاث جائحات كبرى روعت البشرية:

الأولى: حدثت في عهد الامبراطور جوستنيان بين عامي ٥٤١ - ٥٤٤ ق.م، واجتاح فيها الطاعون القسم الجنوبي من أوربا، المتاخم للبحر الأبيض المتوسط، وقضى على ما يقارب ٢٠ - ٢٥٪ من السكان، أي ١٠٠ مليون ضحية آنذاك، (أكثر من ضحايا الحرب العالمية الثانية بثلاثة أضعاف)، وتبعت هذه الجائحة هجمات أخرى طالت ما يقرب من ٥٠ - ٦٠٪ من سكان أوربا عامي ٥٤١ - ٧٠٠م، ويرجح المؤرخون أن هذا الوباء جاء من شرق وأواسط إفريقيا، ثم انتقل إلى مصر في عام ٥٤٢ ق.م، ومنها انتقل إلى أوربا، وإلى القسطنطينية في عام ٥٤٣ ق.م، ليقيم فيها مدة أربعة شهور، وجعل يطعن فيها كل يوم ٥ - ١٠ آلاف ضحية.

الثانية: وهي الجائحة الكبرى التي حدثت في القرن الرابع عشر الميلادي وضربت أوربا والشرق الأوسط





من آثار الضرر الذي تسببه القوارض للزراعة



الخفافيش والأفاعي من أعداء القوارض



وإفريقيا وامتدت إلى الهند والصين، وتميزت هذه الموجة بالنموذج الرئوي الخطير، وقد حصدت في أوربا وحدها ٢٥ مليون شخص، وعرفت في الصين بـ «الموت الأسود».

الثالثة: انطلقت من أوربا وعمت العالم وامتد بقاء هذه الموجة ثلاثة قرون متواصلة من القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر، وضربت هذه الجائحة مدنًا كبرى مثل موسكو، روما، ليون، بوخاريست، القاهرة، بغداد، الأستانة، وطعن فيما طعن في هذه الجائحة جيش نابليون في فلسطين، والجيوش المواجهة في حرب القرم، ويرتبط بهذه الموجة الكبرى الموجة التي بدأت مطلع عام ١٨٦٠م في الصين وامتدت إلى فيتنام والهند، وضربت البرازيل والولايات المتحدة الأمريكية. وتعد المناطق التي ضربها الوباء في موجاته المختلفة، الجزيرة العربية، السودان، بورما، كينيا، بيرو، بوليفيا، وباختصار فإن الوباء قد جاس في خلال القارات كلها، وروع العالم من أقصاه إلى أدناه.

ومن أعظم جائحات الطاعون التي وقعت في بلاد الإسلام، واشتهرت بكثرة الضحايا، خمس أو ست موجات:

١ـ طاعون سيرويه: وقيل إنه وقع في المدائن في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢ـ طاعون عمواس: وقع في عام ١٧ أو ١٨ هـ/٦٣٩م، وقيل إنه ربما جاءت التسمية لتؤكد اتساع موجة الطاعون، أي أنه عم وداس، وفيه قتل ٢٥ ألفاً، غير أنه من المرجح أن ضيعة في فلسطين بالقرب من القدس، منها ابتدأ الطاعون في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم فشا في أرض الشام وأصاب البصرة وأتى على خلق كثير، وضرب العديد من الصحابة، منهم أبو عبيدة بن الجراح، وكان أمير الجيوش، ومعاذ بن جبل، والحارث بن هشام، وسهل بن عمرو، والفضل بن العباس، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان.

٣ـ طاعون الجارف: وقع عام ٦٩ هـ، وسمي الجارف لأنه جرف أعداداً كبيرة من الناس كما يجرف السيل الأرض.

٤ـ طاعون الفتيان: وقع عام ٨٧هـ، وسمي بذلك لكثرة من مات من النساء والشباب.

٥ـ طاعون غراب: وقع عام ١٢٧هـ.

وقيل إن هناك طاعون الأشراف: وقع بواسط أيام ولاية الحجاج، وطاعون الأنساب، وهناك من يذهب إلى تأكيد أن هذا الأخير هو أعظم طاعون وقع في بلاد الإسلام.

المراجع :

١ـ حيوانات لبنان البرية ـ الثدييات، أسعد سرحان، ١٩٨٥، بيروت.

٢ـ أطلس ثدييات العالم، د. حسين فرج زين الدين، ١٩٧٠م، القاهرة.

٣ـ التحصين ضد القوارض في البيئة القطرية والخليجية، د. مصطفى عبدالستار، ١٩٨٨م.

٤ـ أسس بيولوجيا وإدارة الحيوانات البرية، د. مسعود الكتاني، جامعة الموصل، ١٩٨٠م.

5-The Encyclopedia of Mammals. Edited by: Dr. David Macdonald, New York, 1985.

6- Mammals of Britain and Europe, Gordon Corbet. 1980, London.

7- Mammals of Arabia, Harrison, D. and Bates, P. 1991, London, 329,pp.

٨ـ الطاعون بين الأمس واليوم، د. فاضل رجب باشا، الفيصل، العدد ٧٣.

٩ـ الطاعون.. تاريخ وبركان، د. ضياء الدين الجماس، الفيصل العدد ١١٨.

آداب الطبيب والتزاماته في قوانين الحسبة

د. محمد فؤاد الذاكري



بدأ العرب نهضتهم على أساس العلم والمعرفة، وساروا في الحياة بنور الإيمان والعقل، فازدهرت دنيا العرب بشتى العلوم والمعارف والصنائع. وأصبحت أمة العرب في الطليعة لأنها المعنية بنشر لغة القرآن وهديه المبين وحِكَمه وأحكامه السامية، وبرفع رايات العدل والحق بين الناس كافة.

وظهرت التشريعات المتطورة من قبل المسؤولين عن إدارة الدولة الإسلامية، لتحقيق النمو والتقدم في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فظهر بذلك نظام الحسْبة، وهو من قواعد الأمور الدينية، وقد كان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم لعموم صلاحها وجزيل ثوابها، وهي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وإصلاح بين الناس، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لاَ خَيْرَ في كثيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إلا مَنْ أمَرَ بِصَدَقَةٍ أوْ مَعْرُوفٍ أو إصلاحٍ بين الناس﴾ الآية. (النساء: ١١٤).

ورغم أن الأصل في النظام الإسلامي قيام الناس جميعا بهذا الواجب، فقد خصص لها في بعض العصور الإسلامية موظف خاص يسمى: المحتسب: إذا كان معيَّنًا من وليّ الأمر. والمتطوع بالحسبة: إذا قام بها دون تكليف.

ومهمة المحتسب النظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم، ويعمل تحت إمرته جهاز للمراقبة والتنفيذ يشتمل على معاونين، يختص كل فريق منهم بناحية من النواحي التي تقع في نطاق صلاحيات الحسبة. ومفهوم الحسبة يتلخص في توضيح الأسس التي يجب أن تتوافر في التجارات والحرف والمهن وفي الشؤون العمرانية والصحية لتكون في خدمة الصالح العام مع تأمين تطبيق هذه الأسس.

وضع العرب مصنفات مختلفة في علم الحسبة، تتناول في بعض أبوابها التزامات الطبيب وآدابه وواجباته نحو المريض والمجتمع، وذلك بعد أن دعت الحاجة إلى عقد امتحان للأطباء لمعرفة علمهم وقدراتهم، ومنح تراخيص بمزاولة المهنة لمن يثبت صلاحيته منهم، وفرض نظام الحسبة والرقابة على الأطباء والصيادلة. وجعلوا الإشراف على ذلك من واجبات المحتسب في ديوان الحسبة الذي أنيط به مهمات عديدة منها: مراقبة الصحة العامة والسلوك المهني للأطباء، وأهم المؤلفات في قوانين الحسبة هي:

١ ـ كتاب «أحكام السوق» ليحيى بن عمر الأندلسي الأصل الإفريقي الموطن والمتوفَّى عام (٢٨٩هـ ـ ٩٠١ م).

٢ ـ كتاب «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» لعبد الرحمن بن نصر الشيزري المتوفى عام (٥٨٩ هـ ـ ١١٩٣ م).

٣ ـ كتاب «معالم القربة في أحكام الرتبة» لمحمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الإخوة والمتوفى عام (٧٢٩ هـ ـ ١٣٢٩ م). وكتاب (معالم القربة) هو أصدق مرجع لمن يتقلد منصب المحتسب، جمع فيه المؤلف كل الأنظمة التي تتعلق بأمور الحسبة، وإلى هذا أشار في المقدمة التي اختتمها بقوله: «وقد رأيت أن أجمع في هذا الكتاب من أقاويل العلماء مستندا به إلى الأحاديث النبوية ما ينتفعُ به من استند لمنصب الحسبة، وقلّب النظر في مصالح الرعية، وكشف أحوال السوقة وأمور المتعيشين على الوجه المشروع، ليكون ذلك عمادًا لسياسته وقوامًا لرئاسته، وجعلته سبعين بابا يشتمل كل باب على فصول شتى».

تقنين الحرف والصناعات

ولم يترك المؤلف مهنة ولا صناعة إلا خصصها ببحث مطول، وأوضح الشروط والأحكام والأنظمة المفروضة على كل صناعة مثل: الفرانين والخبازين

والطباخين والصباغين والحمامات والمزينين وعلى الأطباء وغيرهم

وقد جاء الباب الخامس والأربعون من كتاب (معالم القربة) بعنوان: (في الحسبة على الأطباء والكحالين والجرائحيين والمجبّرين) وفيه يبتدئ المؤلف بتعريف صناعة الطب فيقول «الطب علم نظري وعملي، أباحت الشريعة تعلمه لما فيه من حفظ الصحة ودفع العلل والأمراض على هذه البنية الشريفة».

ويطالب المؤلف بالإقبال على تعلم مهنة الطب وممارستها لأنها من فروض الكفاية، وحفظ الأفراد فيه صلاح المجتمع. ثم يفصل الشروط المتعلقة بالأطباء على اختلاف اختصاصاتهم الطبية، وفيما يلي لمحة عن تصنيفه:

الأطباء الممارسون بشكل عام

وتسميهم بعض المصادر القديمة «بالطبائعيين» وهؤلاء الأطباء، يجب أن يكون لهم «مقدم من أهل الصناعة» وهو بمثابة رئيس للأطباء، من المشهود لهم بغزارة علمهم وسعة اطلاعهم، ويوصف «بالحكيم المشهور». يقوم على امتحان الأطباء بإشراف المحتسب، فمن وجده مقصرًا في عمله أمره بزيادة الدراسة النظرية والتدريب العملي، وأوقفه عن مزاولة التطبيب لحين ثبوت أهليته بعد اختباره من جديد. أما الأطباء المؤهَّلون فكانوا يُقسمون أمام المحتسب على ما جاء في قسم (أبقراط) بأن لا يُعطوا أحدًا أدوية مضرّة أو مجهضة أو سامّة، وأن يغضّوا بأبصارهم عن المحارم عند دخولهم لعيادة المرضى، وألاّ يفشوا الأسرار التي يطّلعون عليها بحكم مهنتهم. كما يجب أن يكونوا على علم تام بتركيب البدن وأعضاء الجسم والأمراض الحادثة فيها، مع معرفة أسبابها وطرق تشخيصها، والأدوية اللازمة لعلاجها مع مقاديرها المطلوبة، وطرق استخراجها من مصادرها النباتية أو المعدنية، وإذا لم يتوفر الدواء المطلوب فيجب على الطبيب معرفة الدواء المعادل المتوفر. أما واجبات الطبيب والتزاماته تجاه المريض فهي على الشكل التالي:

بعد أن يقوم الطبيب بالفحص السريري للمريض وسؤاله عن أسباب الشكوى، وتشخيص العلة يقوم بتعيين مقادير الأدوية اللازمة للعلاج من أشربة وعقاقير وتدوينها كتابيًا على نسخة بحضور أولياء المريض والحاضرين معه. وفي اليوم التالي يعود لزيارة المريض، وفحصه من جديد وملاحظة سير تطورات العلة، ويرتب له الدواء اللازم حسب مقتضى الحال، ويكتبه على نسخة يسلمها لأهل المريض، ويفعل ذلك في اليوم الثالث والرابع على المنوال نفسه وهكذا إلى أن يتم شفاء المريض ومعافاته بشكل تام، ففي هذه الحالة يستحق الطبيب أجرته. أما إذا توفي المريض فإن أولياءه يذهبون لعند (مقدم الصناعة الطبية) الذي مر ذكره ويعرضون عليه النسخ أو الوصفات الطبية التي وصفها الطبيب لمريضهم، مع وصف حالته وشكاواه، فيقوم (المقدم) بفحص النسخ ودراستها، فإن وجدها ضمن مقتضى الحكمة وصناعة الطب، اعتبر موت المريض قضاء من الله عز وجل. وإن كان الأمر على خلاف ذلك، كان لأهل المريض مطالبة الطبيب بدية المريض المتوفّى، وذلك بسبب سوء صناعته وإهماله.

كما يراقب المحتسب الأدوات التي يجب أن تتوافر لدى الطبيب لممارسة عمله الطبي، وقد عدد (ابن الإخوة) هذه الأدوات، ونلاحظ أن من بينها (كلاّبات) لقلع الأسنان، مما يدعونا إلى الاستنتاج بأن الطبيب العام (الطبائعي) كان يزاول طب الأسنان بالإضافة إلى طب الأجسام.

الكحالون

وهم مَنْ نسميهم اليوم بأطباء العيون، ويتم امتحانهم بإشراف المحتسب بكتاب حنين إسحق (المقالات العشر في العين). فإذا اجتاز الامتحان بنجاح تمت إجازته من قبل المحتسب بالتصدي لمداواة أعين الناس. والشروط التي يجب أن تتوافر في الكحال ليقوم بمهنته على الوجه المطلوب منها: معرفته بتشريح طبقات العين وجميع الأمراض التي تتعرض لها، والخبرة الكافية بتركيب الأكحال والعقاقير المستخدمة كعلاج لهذه الأمراض.

كما يجب أن تتوافر لدى الكحالين الأدوات اللازمة لصناعتهم مثل: مباضع الفصد ودرج المكاحل وغير ذلك. ويحذر (ابن الإخوة) ممّن يسميهم (بكحالي الطرقات)، وهم الذين كانوا يمارسون مهنة (الكحالة) بغير علم أو خبرة، بالإضافة إلى أنهم كانوا يغُشُّون أكحالهم بمواد لا جدوى منها وتسبب الضرر، فكان المحتسب يقوم بملاحقتهم عن طريق أعوانه لاختبار سلامة أكحالهم وقمعهم في حال ثبوت الغش، ويصفهم (ابن الإخوة) بقوله: «وأما كحالو الطرقات فلا يوثق بأكثرهم، إذ لا دين لهم يصدهم عن التهجم على أعين الناس بالبضع والكحل بغير علم ومَخْبَرة بالأمراض والعلل الحادثة، ولا ينبغي لأحد أن يركن إليهم في معالجة عينيه ولا يثق بأكحالهم وأشيافهم». وبعد ذلك يعدد المؤلف عددًا من الأكحال المستخدمة ويذكر بأي مواد يمكن أن تُغش.

الجراحون

وتسميهم كتب الحسبة (الجرائحيين)، وهؤلاء كان لزامًا عليهم معرفة كتاب جالينو المعروف (تباطاجانس) في الجراحات والمراهم، وكتاب أبي القاسم الزهراوي (التصريف لمن عجز عن التأليف)، وأن يعرفوا تشريح أعضاء جسم الإنسان من العضلات والعروق والأعصاب، وأن تكون لديهم جميع الأدوات اللازمة للجراحة مثل: المباضع بأنواعها وأشكالها المختلفة، و(مرهيدان المراهم) وهو شريط من القماش يوضع عليه المرهم، ودواء الكندر (الكندر لبان وشجرته شوكية وثمره له مرارة) ويستخدم كمخثّر وموقئ للدم.

المُجبّرون

وهم أطباء العظام في ذلك العصر، والذين يمارسون جبر الكسور ورد خلع المفاصل، ويتوجب عليهم أن يكونوا على علم تام بالمقالة السادسة من كتاب (قوانين الجبر)، ومعرفة عدد عظام الإنسان وأشكالها وأوصافها، حتى يستطيعوا جبر كسور العظام ورد المخلوع منها إلى موضعه، ويمتحنهم المحتسب على ذلك.

لقد احتل موضوع تنظيم المهن الطبية التخصصية، ومعرفة آداب الطبيب وواجباته والتزاماته حيزًا هامًا في كتب الحسبة عند العرب.

والهدف من هذه التدابير الدقيقة المشددة في امتحان الأطباء ألاّ يتعاطى مهنة الطب من ليسوا أهلاً لها وأن يقوم الطبيب بواجباته كاملة غير منقوصة تجاه المريض من غير تهاون ولا تقصير.

المراجع :

١ ـ يحيى بن عمر، أحكام السوق، طبع الشركة التونسية للنشر/ ١٩٧٥ م.
٢ ـ أبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية، طبع دار الكتب العلمية بيروت/ ١٩٧٨ م.
٣ ـ عبد الرحمن بن نصر الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة/ ١٩٦٤ م.
٤ ـ ابن الإخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، معالم القربة في أحكام الحسبة، مكتبة المتنبي، القاهرة.
٥ ـ د. كمال شحادة، الحسبة عند العرب، بحث في المؤتمر السابع لتاريخ العلوم عند العرب، ١٩٨٣ م.

توم ستوبارد: دراسة تحليلية لمسرحياته



تأليف :
ريتشارد أندريتّا
عرض وتقديم:
د. جمال عبدالناصر

لعل توم ستوبارد أكثر الكتاب المسرحيين المعاصرين شعبيةً، ولعل مصطلح «ستوباردي» الذي بات جزءًا لايتجزأ من مفرداتنا النقدية يعني ملهاة جيدة البناء ذات أبعاد متباينة تتوحد فيها الجدّية والهزل، وتكثر النكات السخرية اللفظية.

غير أن ستوبارد كاتب ذهني، بمعنى أنه ـ تماما مثل برنارد شو أو إبسن قبله ـ تؤرِّقه نشاطات الفكر، فلا يكترث بأي نظام سواء أكان سياسيًا أم اجتماعيًا مادام يجد فيه آلية للآراء التي يطرحها.

وستوبارد بشكل عام كاتب أخلاقي ملتزم، يرنو إلى الحفاظ على قيم المجتمع وأعرافه التقليدية، يلحّ عليها، فيرى أطوار نضجه، من خلال منظور ينزوي فيه ككاتب، في الوقت الذي يحلّل فيه بموضوعية المعطيات الأخلاقية النابعة من موقف فرد بعينه تجاه المجتمع كما يراها أي كاتب مسرحي لديه من الأسباب ما يجعله يفصح عن تعاطفه مع الشخصيات التي هي نتاج مخيّلته، ومن ثم يكشف ستوبارد في مراحل تطوّره المختلفة تعاطفًا وصدقًا يوازيان همومه الذهنية باستحضاراتها اللفظية في كل مسرحية.

ويكشف ستوبارد في الوقت نفسه ـ شأن أيّ كاتب مسرحي شديد الصدق ـ عن قدر من الالتزام في معالجته الدرامية التي يراعي أصولها، كما يوظف شخصياته بقدر من الإعجاب الذي لايتدنّى إلى درجة التعاطف الرخيص.

وأحداث مسرحياته تفرز حسًا جديدًا في تصوير شخصية المرأة، وقدرة جديدة على إيجاد بطلة متعددة الجوانب مثل شخصية (كليوباترا) التي تسحرنا بإيقاعاتها المتنوعة.

حياته

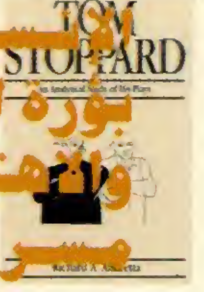
ولد توماس شتراوسلر المعروف باسم توم ستوبارد في الثالث من شهر يوليو/تموز عام ١٩٣٧م في مدينة جوتفالدوف بتشيكوسلوفاكيا (سابقا)، وكان أبوه يوجين يعمل طبيبًا في شركة باتا للأحذية. وعقب ولادته بعامين، أي قبيل الغزو النازي، ارتحل الأب وعائلته إلى سنغافورة حيث عاشوا ثلاث سنوات، ثم ارتحلت العائلة إلى الهند عقب غزو اليابانيين للجزيرة، ولكن من دون الأب هذه المرّة، فقد تخلّف عنها ليلقى حتفه على أيدي الغزاة.

تولّت أم توم رعايته وإخوته بعد أبيه، حيث أدارت متجرًا لبيع أحذية باتا في دارجيلنج، ولكنها تزوّجت ثانية في عام ١٩٤٥م، فأخذ توم اسم زوج أمه كينيث ستوبارد وكان ضابطًا في الجيش البريطاني. وهنا أُلحق توم بمدرسة داخلية في المدينة كانت متعددة الجنسيات وذات إدارة أمريكية. وبانتهاء الحرب عادت الأسرة إلى إنجلترا حيث اشتغل كينيث بتجارة الآلات وقطع الغيار مما جعله دائم السفر. ومع ذلك فقد استقرت الأسرة أخيرًا في بريستول منذ عام ١٩٥٠م.

تلقى توم تعليمه بمدرسة دولفين الإعدادية بـ (نوتنجهام) وبمدرسة بوكلنجتون بـ (يوركشاير)، وترك المدرسة بعد أن أدى اختباراته، لكنه لم يكمل دراسته الجامعية. فقد عاد إلى بريستول عام ١٩٥٤م وشرع في العمل لجريدة «وسترن ديلي بريس». وفي عام ١٩٥٨م انتقل إلى «ذا ايفننج ورلد» حيث كتب زاوية خاصة، ومارس شيئا من النقد. وفي عام ١٩٦٤م قدّم استقالته وعاد إلى بريستول وشرع في كتابة مسرحية بعنوان «مشية على الماء».

وفي عام ١٩٦٢م انتقل توم من بريستول إلى نوتنج هيل حيث صار الناقد المسرحيّ لمجلة لندنية جديدة اسمها «مشهد». ورغم أن تلك المجلة توقفت بعد ثمانية أشهر، فقد حقق توم بعض النجاح المادي من إسهاماته فيها، فقد اشترت «دار فيبر وفيبر» ثلاثًا من قصصه القصيرة، وتعاقدت معه على تأليف

الإنسان يمثل بؤرة التركيز والاهتمام في مسرح ستوبارد



رواية، وتحولت «مشية على الماء» إلى عمل تلفازي. ومنذ ذلك الوقت وشهرة توم ستوبارد ككاتب مسرحي تزداد بدرجة كاد يصير معها واحداً من أبرز المسرحيين في العالم، لاسيّما أن أعماله - عدا مسرحيته الأولى «أُدْخُل رجلاً حرّاً» - ذات دلالات متنوعة تمس الوجود البشري في عالم سريع التغيّر والتقلّب والتدهور.

أعماله

قبل العرض لأعمال ستوبارد الكاملة لابد من طرح نقاط الانطلاق الجوهرية، مثل مكانة الكاتب التي يجب التأكيد عليها، وما كان له أثر فيه من الكُتّاب والمدارس المسرحية والأدبية والفكرية (سوفوكل، شكسبير، فورد، وايلد، إبسن، شو، سترندبرج، تشيكوف، بريشت، بيراندللو، بولت، ميللر، أجاثا كريستي، بيكيت، جون لي كاري، لِن ديتون، ديكنز، إليوت، وردزورث، تنيسون، ييتس.. الخ). ولابد أيضاً من التذكير بالسمات الأساسية لمسرحياته، سواء من ناحية المضمون أو الشكل الذي ينحو منحى السخرية (الكوميديا) الواقعية ببعدها الذهني الشوفاني وبنائها المنطقي الذي لايسمح بالمفاجآت أو النهايات المفتوحة.

«ادخُل رجلاً حرّاً»

أولى مسرحيات ستوبارد، كتبها وهو في الثالثة والعشرين من عمره عام ١٩٦٠م، وكان عنوانها في الأصل «مِشْية على الماء». لم يقتنع بها ستوبارد نفسه وإن كانت تحوي عدداً من الشخصيات المُقنعة والمؤثّرة. وتدور المسرحية حول الوهم وخداع الذات، إذ يعتقد جورج رايلي الشخصية المحورية أنه ذو عقل إبداعي يميّزه من بقية البشر، وسوف يمكّنه يوما ما من اختراع أشياء حديثة تفتح له أبواب الثروة والمجد، ولكنه يفشل في تحقيق أي من أحلامه، فيُلقي باللوم على من حوله وبخاصة زوجته. المسرحية بشكل عام جيدة وإن كانت تعاني من بعض نقاط الضعف على مستوى البناء «المحكم الصنع» بدرجة استفزازية، كما تشوب شخصية برسيفون زوجة رايلي مسحة عاطفية تفقدها الإقناع.

«روز نكنراتزوجيلدنسترن»

معالجة ستوبارد الشهيرة لرائعة شكسبير «هاملت»، وكان قد كتبها أثناء وجوده في برلين عام ١٩٦٤م، ثم أعاد كتابتها بعد عام بعد أن أضاف إليها واستبدل بأشعارها لغة نثرية. ولكن المسرحية تدين بالشيء الكثير لمسرحية «في انتظار جودو» لـ (بيكيت)، كما تذكّرنا في بعض أجزائها بمسرحيتي بيراندللو: «ست شخصيات تبحث عن مؤلف» و«كل على نهجه». وموضوع المسرحية حيرة الإنسان وخيبة أمله تجاه مواطن الغموض التي تكتنف العالم من حوله ولايستطيع فكّ طلاسمها فيقف عاجزاً أمامها، وإن كان يلجأ أحياناً إلى تجربة صوفية أودينية بحثاً عن معنًى لحياته كما يفعل «جيل» وكما يحلم «فلاديمير» عند بيكيت. ورغم نغمة التهكّم العالية في نهاية المسرحية، فإنها تُثير عدداً من القضايا المهمّة مثل عجز الإنسان عن إيجاد المعرفة، أو مواجهة القدر، وغياب المنطق والعدل والهدف الأخلاقي من حياة البشر. ولعل أهم ما يُميّز المسرحية بناؤها الرصين.

«فناء دومينيك بوت» و«القمر وأشياء أخرى»

مسرحيتان كتبهما ستوبارد أصلا كتمثيليتين إذاعيتين لمحطة الإذاعة البريطانية، تمّ بثّ الأولى في العشرين من فبراير/ شباط عام ١٩٦٤م قبل أن تتحوّل إلى فيلم قصير بعنوان «الخطوبة». و «فناء دومينيك بوت» مسرحية سريعة الإيقاع ذات حركة دائرية، إذ تبدأ ببطل العنوان وهو يحاول أن يحصل على بعض المال ليدفع أجرة سيارة أقلّته وخطيبته إلى عملها بناءً على طلبها، ويظلّ يتنقّل بسيارة أجرة من مصرف إلى آخر، ومن مكان عمله إلى بيت أمّه، لكنه يفشل في الحصول على أجرة السيارة، التي أخذت في الازدياد طوال الوقت بدوران عدّادها، ويُضطر أخيراً بعد أن يكسر عدّاد الغاز في بيته فلايجد فيه نقوداً أن يبيع بعض أثاث بيته بل بزّته ليدفع للسائق الذي يقلّه إلى مقر عمله بـ «البيجاما» فيُفصل على الفور. وتلك كانت نهايته. ثم نعود فنراه يستقلّ سيارة أجرة مع فتاة أخرى تطلب منه أن يذهب بها إلى عملها.

أما مسرحية «القمر وأشياء أخرى» فقد تمّ بثّها في السادس من أبريل/ نيسان عام ١٩٦٤م. وتعود فكرتها الأساسية إلى قصة قصيرة كتبها ستوبارد ونشرها مع قصص أخرى، وتدور حول غياب الحب والتواصل الفعلي بين زوجين في منتصف عمريهما. وهذا بالطبع موضوع مفضّل لدى كثير من الكتاب مثل يونسكو وبيكيت وبنتر، ويأتي هنا مغلّفاً بحوار يدور بين الزوجين ولكن من دون أيّ حدث مباشر أو غير مباشر، فنبدأ بالحوار وننتهي به عندما يأوي الزوجان إلى مخدعهما، وقد أصاب الزوجة صداع بينما سيطر حلم لذيذ على عقل الزوج.

«إن كنت مسروراً فسوف أكون صريحاً»

مسرحية كتبها ستوبارد خصيصاً للبرنامج الثالث بمحطة الإذاعة البريطانية حيث بُثت في الثامن من فبراير/ شباط عام ١٩٦٦م، ثم قُدِّمت على المسرح في أغسطس/ آب ١٩٦٩م على هامش «مهرجان أدنبرة». وتدور المسرحية حول محاولات جلاديس جنكنز اليائسة للهروب من الإيقاع المجنون لمجتمع أصابه الخبل بعد أن سيطرت عليه مسألة مرور الزمن، فكم تمنّت لو تصير راهبةً، وكم تمنّت عندما فشلت في ذلك لو تسعد بعملها، ولكنها تتحول تدريجياً إلى «روبوت» بعد أن تفقد إنسانيتها وهويتها.

«سلام منفصل»

مسرحية ذات فصل واحد كتبها ستوبارد لمحطة التلفاز البريطاني التي قدمتها في الثاني والعشرين من أغسطس/ آب عام ١٩٦٦م. وهي تتناول - مثل مسرحية «إن كنتَ مسروراً» السابقة تماماً - بحث الفرد عن الخلاص والحرية وإن كانت تفتقر إلى الجدّة والنغمة شبه المأساوية، فهي خفيفة الظل وعمل مسلٍّ، والبطل جون براون شخص عادي لم يتمتع أبداً بمكانة سلطوية، وإن اكتسب خبرات حياتية كثيرة حاول خلالها أن يعتكف - مثل (جلاديس) - في دير، ولكنه لم يستطع لضعف إيمانه، فيلجأ إلى حيلة ذكية لقلب نظام حياته حيث يتصل بدار للشفاء مدّعياً الحاجة للرعاية الصحية، ثم يذهب بنفسه ويطلب سريراً ورعاية طبيّة مما يسبب حالة من الهرج والمرج في المكان تنتهي بطرده ليبدأ رحلة بحث عن دار شفاء جديدة.

«قمر آخر اسمه الأرض»:

تمثيلية تلفازية في نصف ساعة عرضت في الثامن والعشرين من يونيو / حزيران عام ١٩٦٧م، وتتناول أفكاراً طرحها ستوبارد في رواية نشرها عام ١٩٦٦م بعنوان «لورد مالكويست ومسترمون»، فنجد أن مون بطل المسرحية لايختلف عن مون في الرواية، فهو أيضاً مؤرخ لايهمّه التاريخ بحد ذاته، ولاكتابته، وإنما ما يعنيه أساسا تشريح النماذج المنطقية التي تقبع خلفه، ومن ثمّ فإن هدفه الأسمى إثبات أن التاريخ ليس مجرد حصر عشوائي للأحداث، وإنما هو تحقيق مقصد جليل. إلا أن ستوبارد يقدّم شخصية أخرى ذات وجهة نظر مغايرة تحطّ من قدر فلسفة مون، وذلك من خلال بينيلوبي زوجته مما يُربك تعاطف المشاهد ويجعله لايكترث بمصير الشخصيتين المحوريتين.

«جسر ألبرت»

تمثيلية إذاعية بثّها البرنامج الثالث بمحطة الإذاعة البريطانية في الثالث عشر من يوليو/ تموز عام ١٩٦٧م. وتعدّ وشقيقتها «فنان يهبط درجات السلّم» - وهذه تمثيلية من فصل واحد في ستين دقيقة - ، من أفضل المسرحيات التي كتبها ستوبارد خصيصاً للإذاعة. قُدِّمت على خشبة المسرح للمرة الأولى في التاسع والعشرين من أغسطس/ آب عام ١٩٦٩م في «مهرجان أدنبرة» في حفلة واحدة مع مسرحية «إن كنتَ مسروراً»، وتقدّم مسرحية «جسر ألبرت» تناولاً آخر لبحث الإنسان عن الحرية في مجتمع ينكر هويته، بل يمحوها ويطمسها تماماً في عجلة الحكم الجبّارة للمكاتب المتسلطة (البيروقراطية). وهذا يشي بالبعد العبثي الذي ضمّنه ستوبارد أيضا مسرحية «إن كنتَ مسروراً»، فكلا المسرحيتين تُعنيان بالمحاولة الفاشلة من جانب كل من ألبرت وجلاديس الانسحاب من اندفاع المجتمع الجنوني نحو الهلاك المحتوم.

«المفتش هاوند»

قدّمت للمرة الأولى على خشبة «مسرح كريتيرين» بلندن في السابع عشر من يونيو/ حزيران عام ١٩٦٨م، ثم قدّمت على خشبة «مسرح شوب» في نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٧٢م، وفيها يكشف ستوبارد آفاقاً جديدة بكسر الحاجز بين الفن والحياة. تشبه القصص البوليسية الميلودرامية في عبثيتها،

ولكن ستوبارد يذهب إلى أبعد من ذلك فيؤكد أن الحياة أغرب من فن القص، وأن الطريقة الوحيدة أمام الفن ليمثّل الحياة بشكل مقنع هي أن يصير فوضويًا مثلها. والمسرحية كما يوحي عنوانها تقدّم سخرية لاذعة من الروايات البوليسية التي أتى على تقنياتها وتقاليدها من خلال تناوله واحدة من أشهر أعمال أجاثا كريستي، ألا وهي مسرحية «مصيدة الفئران» التي ظلت تعرض في لندن قرابة ستة عشر عاما.

«أرض محايدة»

كتب ستوبارد هذه المسرحية عام ١٩٦٥م استجابة لطلب محطة تلفاز جرانادا لسلسة من المسرحيات التي تقوم على الأساطير والخرافات،فتم بثُّها في شهر ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٦٨م بموضوعها الذي يستلهم أسطورة كان سوفوكل قد تناولها في عصره، وهي تحكي ما حدث من أمر فيلوكتتس، وكيف ورث عن أبيه القوس والسهام التي وهبها إياه هرقل مقابل إنقاذ حياته، وكيف أن فيلوكتتس دل اليونانيين وهو في طريقه إلى طروادة على جزيرة الإلهة (كرايسي) ليُضّحوا بها، فيعضه الثعبان الذي كان يحرس مزارها مما يسبب له جرحًا يتقيح ويأخذ في التعفن، فتتدهور صحته سريعًا ويظل يصرخ من الألم، إلى أن يقرر اليونانيون إلقاءه على ساحل جزيرة مهجورة اسمها لمنوس، حيث ينقذه بعد عدة سنين كل من (أوديسيوس) و (أخيليس)، وكان عرّاف قد أخبرهما أن طروادة لايمكن فتحها من دون قوس هرقل وسهامه التي بحوزة فيلوكتتس الذي يشفى جرحه القديم ليصيب باريس بسهمه، ويساعد اليونانيين بذلك على الولوج إلى (طروادة) وتدميرها.

ولعل شخصية البطل في مسرحية ستوبارد تخرج عن إطارها الأسطوري لتتدثّر بثوب من الواقعية، إذ يمنحها كاتبها بعدًا إنسانيًا يرقى بها إلى مرتبة الإقناع الفني.

«محاكاة ماجريت»

تم عرضها للمرة الأولى على خشبة «مسرح أمبيانس كَنْش أوَرْ» في التاسع من أبريل/ نيسان عام ١٩٧٠م. ثم قُدمّت مع «المفتش هاوند» في حفلة واحدة على «مسرح شو». ومنذ ذلك الوقت تقدّم المسرحيتان سويا لما بينهما من أوجه الشبه، فكلاهما من فصل واحد وتعتمد على الشكل الفارسي وترمي إلى السخرية خاصة من أسلوب ماجريت، وهو رسّام حاول أن يبيّن أن الواقع عرضةٌ لتفسيرات عديدة ورؤى مختلفة لكلٍّ منها وجاهتها وإن لم تكن صحيحة تمامًا، فهناك لغز يكمن في باطن الواقع قد نقترب منه، ولكننا لن نستطيع أبدًا فكَّ طلاسمه.

«أين هم الآن؟»

مسرحية قصيرة من فصل واحد مدّتها حوالي خمس وثلاثين دقيقة، كُلِّف ستوبارد بكتابتها للإذاعة المدرسية، فبُثت لأول مرة في الثامن والعشرين من يناير/ كانون الثاني عام ١٩٧٠م، ثم بثّتها محطة الإذاعة البريطانية في ديسمبر/ كانون الأول من العام نفسه، وهي - مثل «فنان يهبط درجات السلم» التي كتبها ستوبارد بعد سنوات - تدور حول الحركة بين الماضي والحاضر ذهابًا وإيابًا بما فيها من تجاوزات تطفح على السطح، حينما يسترجع جيل وماركي وبرندلي ذكريات الدراسة، وبخاصة علاقتهم بـ (دوبسون) مدّرس اللغة اللاتينية، حيث يدركون أن هناك هوّة بين الحقيقة والمثال، بين ماتعلّموه كتلاميذ وما كان يجب أن يتعلموه.

«آل جمبر»

عرضتها «فرقة المسرح القومي» على خشبة «مسرح أولد فيك» بلندن في الثاني من فبراير/ شباط عام ١٩٧٢م، وهي تتكوّن من فصلين ومقطوعة موسيقية مما يجعلها أول مسرحية كاملة لـ (ستوبارد) بعد «روز وجيل» التي كتبت قبل ستة عشر عامًا. وأهمية المسرحية تكمن في استلهام موضوعها من مصادر مختلفة: علم السياسة وعلم الأخلاق والأدب وعلم اللغويات والأغاني والدين والتقنية والألغاز البوليسية، فتُقدِّم بذلك صورة شاملةً لمجتمع يتحول تدريجيا إلى الماديات والاتجاهات النفعية على حساب الأخلاقيات والمثل من خلال نظرة يلقيها ستوبارد على عالم السياسة الذي ينقسم إلى معسكرين: يتزعّم فريق المعسكر الأول جورج ويتزعم فريق المعسكر الثاني (ارتشي جمبر) بينما يترنّح فريق ثالث بين الاثنين ويُرمَز له بـ (دوتي).

«فنان يهبط درجات السلّم»

تمثيلية إذاعية قدمت في الرابع عشر من نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٧٢م، وهي تسخر من الفن الحديث ومن ممارسيه، وتذكّرنا بمسرحية شوفانية ببراعة أسلوبها ورشاقة حواراتها، مما يجعلها من أروع التمثيليات الإذاعية التي ألفّها (ستوبارد)، إذ تُلقي بظلالها على طبيعة الواقع كما يصورها الفنانون المحدثون الذين يمثُّلهم هنا مارتللو وبوتشامب ودونر، وهم ثلاثة من الأصدقاء عاشوا سويًا أكثر من ستين عامًا فاحتضنوا الدادية ولهثوا خلف كل ماظهر من حركات طليعية.

«تقليدات ساخرة»

عرضتها «فرقة شكسبير الملكية» على خشبة «مسرح الدوتش» بلندن في العاشر من يونيو/ حزيران عام ١٩٧٤م؛ لتنجح نجاحًا كبيرًا لمهارة ستوبارد اللفظية والمواقف المضحكة التي يقدمّها في فصلين وقسم ختامي، حيث تُصوِّب سيسلي العجوز ذاكرة زوجها هنري كار الغريب الأطوار.

ويسخر ستوبارد بشكل عام من الأساليب الأدبية؛ فيقتبس من شكسبير وجويس وتنيسون ووردزورث ومن آخرين مثل أوسكار وايلد.

«بياضات قذرة»

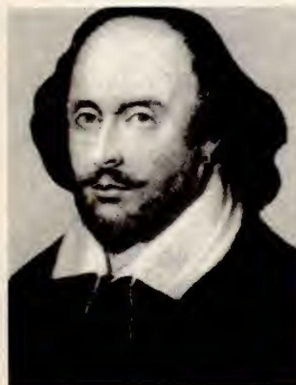
مسرحية كتبهما ستوبارد لتُعرض في الولايات المتحدة . افتتحت «فرقة نادي مسرح لَنْش أوَرْ» مسرحية «بياضات قذرة» في السادس من أبريل/ نيسان عام ١٩٧٦م بنجاح كبير، لتنتقل بعد ذلك إلى «مسرح الفنون» حيث عُرضت أربع سنوات وهي أطول فترة عرض عرفتها مسرحية (ستوباردية)، وكان أول عرض للمسرحية في الولايات المتحدة في الحادي عشر من يناير/ كانون الثاني ١٩٧٧م على خشبة «المسرح الذهبي» بنيويورك . و«بياضات قذرة»، فكاهية من فصل واحد تشتمل على عناصر الفارس، وتدور حول اجتماع لجنة مختارة من أعضاء «البرلمان» لإعداد تقرير عن القيم الأخلاقية في الحياة العامة، حيث كانت تتهمهم الصحافة بالعلاقات الجنسية غير الشرعية، إلا أن المسرحية تفضح كلا من الصحافة البريطانية وأعضاء البرلمان؛ الذين يجدون أنفسهم في ورطة شديدة لايعرفون سبيلاً للخروج منها بسلام.

«كل ولد طيِّب يستحق المعروف» و «مخالفة مهنية»

أتم ستوبارد كتابة هاتين المسرحيتين في فترة قصيرة فصلت بينهما ثلاثة أشهر، وهما تمثلان بدء مرحلة جديدة في حياة ستوبارد ككاتب مسرحي، وهي مرحلة تشمل أيضا مسرحيتي «الليل ونهار» (١٩٧٨م) و «ماكبث كاهوت» (١٩٧٩م)، حيث تتناولان إشكالية سياسية تحمّس لها، وهي قضية حق الفرد في حرية التعبير في مجتمع استبدادي، وسيادة ذلك الحق فوق أيّ ادّعاءات تطرحها الدولة بغية القضاء على ذلك الحق المشروع. والمسرحيتان بينهما أوجه شبه كثيرة من ناحية الجو النفسي والخلفية المكانية.

تم عرض «ولد طيِّب» في الأول من يوليو/ تموز عام ١٩٧٧م في «قاعة الاحتفالات»؛ حيث قدّمتها «فرقة شكسبير الملكية» و «أوركسترا لندن السيمفونية». وتقع أحداثها في ثلاثة أمكنة: الزنزانة حيث نرى سجينين متهمين بالخروج على نظام الدولة، هما ألكسندر وأفانوف، ومكتب الطبيب، والمدرسة، وكلها توحي بجو الكبت المقيت الذي يتخلل المسرحية. أما مسرحية «مخالفة مهنية» فقد عرضتها محطة التلفزة البريطانية في سبتمبر/ أيلول عام ١٩٧٧م؛ لتحصل على لقب أفضل مسرحية للعام نفسه من قِبَل «نقاد التلفاز البريطاني»، واختيرت لجائزة «أفضل مسرحيات العام» من قِبَل «الأكاديمية البريطانية للفيلم وفنون التلفاز»، وهي تقع في ستة عشر مشهدًا، ومدتها تسعون دقيقة، تستخدم خلالها التقنية السينمائية حيث يُوزع


تشيكوف


شكسبير

توم ستوبارد عبثية الصراع بين القوى الكبرى وادعاءاتها

الحدث على مكانين أو ثلاثة في وقت واحد. وموضوعها الصراع الدائر بين حقوق الفرد الطبيعية والقواعد المفروضة على المواطن من قِبَل النظام الدكتاتوري، كما يتضح من خلال شخصية أندرسون بطل المسرحية الذي يَعتوِره تغيّر روحي بمعاناته من الظلم.

«ليل ونهار»

رابعة مسرحيات ستوبارد الكاملة، وبدأ عرضها على خشبة مسرح فينكس في الثامن من نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٧٨م، واستمر عرضها خمسة عشر شهراً، ولاقت نجاحاً لدى الجمهور والنقاد، وجلبت جائزة أفضل مسرحية لصاحبها. تقع المسرحية في فصلين عدا التقدمة. وموضوعها الأساس حريّة الصحافة، وإن كانت تهتم أيضاً إلى جانب هذا النشاط الإعلامي بالحيوات الخاصة ببعض الشخصيات من خلال التركيز على المفارقة الواقعة بين حرية الصحافة كتصوّر مطلق تحاول الشخصيات الحفاظ عليه، وافتقارها إلى الحرية الشخصية، إذ تُقيِّدهم مثالياتهم في بيئة مُخيِّبة للآمال كما هو الحال بالنسبة لكل من روث وفاجنر.

«هاملت دوج» و «ماكبث كاهوت»

«هاملت دوج» مسرحية من فصل واحد استلهم ستوبارد موضوعها من كتاب لودفيج فتجنشتاين المعنون «تحقيقات فلسفية»، وكان قد قرأه وهو يعدُّ لمسرحية «آل جمبر»، وقُدِّمت مع مسرحية «ماكبث كاهوت» في حفلة واحدة في «مركز الفنون» التابع لجامعة (ووريك) بـ (كوفنترى) في الحادي والعشرين من مايو/ أيار عام ١٩٧٩م، وعرضتهما «فرقة الريبيرتوار الأمريكية البريطانية»، ثم عرضت لموسم واحد على خشبة «مسرح كوليجيات» بلندن في الثلاثين من يوليو/ تموز.

ومسرحية «هاملت دوج» إعداد في خمس عشرة دقيقة لمسرحية شكسبير المعروفة، وفيها يتقمّص دوج دور شكسبير، حيث يقدِّم للمسرحية بنصوص مقتبسة من مشاهد مختلفة، كما يقوم بدور كلوديوس. ويرمي ستوبارد من هذا الإعداد إلى السخرية من تفضيل الإنسان المعاصر للثقافة والأدب في شكليهما المنمطين المؤطرين.

أما مسرحية «ماكبث كاهوت» فقد أهداها ستوبارد للكاتب المسرحي التشيكوسلوفاكي بافل كوهوت الذي قابله أثناء زيارة لـ (براغ) في عام ١٩٧٩م، وقد استعان بنسخته المأخوذة عن النص الشكسبيري في إعداد مسرحيته القصيرة التي يدور حدثها في غرفة معيشة داخل شقة، حيث يدخل مفتِّش مباحث بمجرد أن يعود «ماكبث» عقب ارتكاب فعلته؛ ليبدأ سلسلة من التحقيقات يرتقي خلالها فوق كل شخصيات المسرحية فيجذب اهتمام المشاهد بذكائه وسرعة بديهته.

«الشيء الحقيقي»

عُرضت لأول مرة على خشبة «مسرح ستراند» بلندن في السادس عشر من نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٨٢م، واستقبلها الجمهور استقبالاً حافلاً، وإن اختلف النقاد حولها. وهي تقع في فصلين يحتوي الأول على أربعة مشاهد، والثاني على تسعة، تفصل بينهما فترة سنتين.

المسرحية (ستوباردية) نمطية، بمعنى أنها تزخر بالألعاب اللفظية والحوارات النارية والأقوال المأثورة والحكم، تأخذ بحرية عن مسرحيات كثيرة أهمها: «الآنسة جوليا» لـ (ستراندبرج)، و «واحسرتاه! إنها فاجرة» لـ (فورد)، و«منزل الورق» لـ (هنري)، و«والأخوات الثلاث» لـ (تشيكوف)، ولأنها تدور حول (هنري) - البطل - وهو كاتب مسرحي يعترف بعجزه عن الكتابة عن موضوع الحب بشكل مرضٍ يمكن القول بأنها ترجمة ذاتية إلى حدٍّ ما لحياة كاتب يبحث عن الشيء الحقيقي من خلال شخصياته التي تظل تُعيد حساباتها وتغيِّر علاقاتها، وتحاول التأقلم مع مشاعرها وتصوراتها وأفكارها المتضاربة.

«الذي مات كان كلبا»

مسرحية كتبها (ستوبارد) للإذاعة البريطانية وتم بثّها عبر البرنامج الثالث في التاسع من ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٨٢م، وهي تتكون من ثلاثة عشر مشهداً مرتبطة عضوياً، ومدّتها خمس وستون دقيقة.

والمسرحية تقدّم صورة زائفة من قصص التجسس التي شاعت على يدي جون لي كادي، ولن ديتون، وذلك عبر شخصيتها المحورية روبرت بيرفيس العميل البريطاني المزدوج، حيث تعتوره مشاعر مختلطة تُشوِّش ولاءه فلا يعرف ما إذا كان البريطانيون أو الروس يستطيعون ادعاء السيادة الأخلاقية أو القول بأنّهم يتصارعون من أجل أهداف نبيلة أو سامية، فيدرك بنهاية المطاف أن محاولات الفريقين عبثيّة غير ذات جدوى.


برتولد بريخت


صامويل بيكيت

«تكملة الدائرة»

دراما وثائقية كُتبت خصيصاً للتلفاز، وجاءت فكرتها من منتج سينمائي يُدعى فردْ بروجر اقترح على ستوبارد كتابة فيلم تلفازي عن حركة «تضامن» بمناسبة فرض قانون الطوارئ العسكري على بولندا، فشرع في كتابته ببداية عام ١٩٨٢م، ولكن لم يُعرض حتى الحادي والثلاثين من مايو/ أيار عام ١٩٨٤م، عندما بثّه التلفاز البريطاني. والمسرحية تتناول الأحداث التي وقعت في بولندا ما بين أغسطس/ آب عام ١٩٨٠م عندما بدأت حركة «تضامن» حملتها للمطالبة بحقوق الاتحاد التجاري، وديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٨١م عندما أُعلن القانون العسكري بأمر الجنرال ياروسيلسكي.

«هابجود»

أحدث مسرحيات ستوبارد. قُدمت على خشبة مسرح الدوتش في الثامن من مارس/ آذار عام ١٩٨٨م، وتقع في فصلين يضم أولهما خمسة مشاهد وثانيهما سبعة، وهي تذكرنا أيضاً، مثل «الذي مات كان كلبا»، بروايات جون لي كاري ولن ديتون التي تتناول العملاء السريين والعملاء المزدوجين والجاسوسية بعامة. وتُصوِّر مسرحية ستوبارد - تماما مثل تلك الروايات - عبثية النشاطات الجنونية التي يقوم بها السوفييت والمخابرات الغربية، والتي لاتتمخّض عن شيء سوى ضياع المصادر البشرية والمالية، لاسيما أن الجهد المبذول من قبل كل طرف يرمي إلى محو الآخر. ومن ثمّ فالمسرحية تعرض لرحلة حياة المتورطين في النشاط التجسسي ومعاناتهم وشعورهم بالوحدة والخوف الدائمين.

المؤلف في سطور

د. ريتشارد اندريتا

- مواليد مصر عام ١٩٤١م .

- درس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة وجامعة نيويورك.

- اشتغل بالتدريس في مصر والولايات المتحدة الأمريكية واليمن.

- يشغل وظيفة أستاذ مشارك بجامعة الملك سعود.

من مؤلفاته:

«رومانسيات شكسبير»، وترجمة لمسرحيتي (بنتر) «حفلة عيد الميلاد» و «أماكن أخرى»، وله عدد من المقالات عن بنتر وويسكر.

من نوادر التصنيف

حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألّفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

المكافأة وحسن العقبى

كتاب جمع فيه مؤلفه قصصاً عديدة حقيقية وقعت للمؤلف أوأحد أفراد أسرته أو عايش أحداثها وعاصر أبطالها، أو اطلع عليها واتصل خبره بها، ومؤلفه أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم الكاتب، المتوفى سنة ٣٤٠هـ، والمعروف بابن الداية لأن أمه كانت ظئراً لإبراهيم بن المهدي أخي هارون الرشيد، ولاشك أن نشأة والده يوسف في بيت الخلافة ثم عمله حاسباً وكاتباً لإبراهيم بن المهدي ثم معيشته بمصر أيام أحمد بن طولون جعل المؤلف شاهداً على كثير من القصص والأحداث التي أوردها.

قسم أحمد بن يوسف الكاتب القصص إلى طوائف ثلاث هي: المكافأة على الحسن، والمكافأة على القبيح، وحسن العقبى، ومن هذه القصص:

المكافأة على الحَسَن

حدثني أبو حبيب المقري، قال: ضاقت أحوالي فلم يبق إلا جارية أحبها ومنزل أسكنه، فبعت المنزل بألف دينار وخرجت إلى مكة بالجارية، فقلت لها: يكون هذا المال في وسطك، فكانت إذا نزلت في منزل حفرت في خيمتها حفيرة وأودعت المال فيها وطمّتها، فإذا نودي بالرحيل أثارته وشدته في وسطها.

قال: فاتفق أن رحلنا عن منهل ونسيت المال في الحفرة فأخبرتني الجارية بذلك، فحار فكري وطاش روعي، ولم أدر ما أعمل. ودخلنا مكة، فحدثتني نفسي ببيعها فلم يطعني قلبي، فلما رجعنا ونزلنا المنهل الذي خلّفت فيه الكيس رأيت صحراء، وغلام على رابية يرعى غنيمات له، فأقبلت أدور وأنظر إلى الأرض، فقال لي: ويحك ما تطلب؟ قلت: شيئاً أودعته أرض هذا المنهل، فقال: صفه لي، قلت: كيس أحمر فيه مال، فقال: ومالي فيه إن دللتك عليه، قلت: نصفه، قال: هو ذاك في الرابية، فلما رأى تحيّري فيه قام حتى أخرجه ووضعه بين يديّ، فحمدت الله وقسمت الكيس وخيّرته أحدهما، فقال لي: إني أرى قسمي منه كثيراً وأنا أكتفي بنصف أحد القسمين، فقسمته بقسمين، فقال: تقسمه بقسمين، ففعلتُ، فقال: ما أعجب أمرك! أتركه كله حراماً ونصفه حلالاً، وآخذ منه شيئاً، هذا ما لايكون، انصرف بمالك، فقلت له: ياغلام أنت حرٌ أو مملوك، فقال: مملوك، فقلت: لمن؟ فقال: لشيخ هذا الحي.

فدخلت الحي فألفيت الشيخ والناس عنده، فقلت له: رأيت غلاماً في المنهل يرعى غنيمات وأسألك أن تبيعنيه، فقال: اشتريته بعشرة دنانير، فقلت: أنا آخذه بعشرين فقال: إن لم أبعه؟ قلت: أعطيك ثلاثين ديناراً، فقال لمن حوله: أما تسمعون ما يقول؟ وما يحملك على أن تبذل به هذا الثمن؟ فقلت: جمع عليّ ضالّةً، فنذرت أن أعتقه وأبتاع الغنم يرعاها له وأملّكه إياها، فقال: نذرت أن تفعل به هذا لفعلة واحدة من الجميل أولاكها، ولنا في كلّ يوم منذ ملكناه حسنة تقتضي أكثر مما نأتيه له؟ وأنا أشهد الجماعة أنه حرٌ لوجه الله، وأنّ ما يرعاه له.

فانصرفت عن الشيخ، وقد بلغ ما أمّلته له.

المكافأة على القبيح

وُجد في أخبار مصر المسندة أن عمرو بن العاص عند تغلبه على مصر كان يتنكر ويخرج وحده، متشبهاً بالرجل من عامته، ليرى ما عليه القبط من النية للمسلمين. فتمادى به السير راجلاً حتى لحق بطرف من الفسطاط، فرأى جماعة قد التأمت على سوء فيه، فقال لها: اعملوا كل ما تؤثرون من السوء ولاتردوني إلى يد الأمير، فإني هربت منه، فقال بعضهم: ردوه إلى يد الأمير فإنه يقتله، ويكون لكم بذلك عارفة عند الأمير، فساقوه إلى دار الإمارة، فأخذ يتضوّر ويتأبى في سياقته حتى قرب من الدار فقام إليه الشرط، فقال: لايفوتنكم منهم أحد، فجُمعوا له فأتى على آخرهم ولم يعاود التنكر.

حُسن العُقبى

كان جبريل بن بختيشوع يخلف الأطباء في دار الرشيد، وكانت به نزاهة، وبه فاقة شديدة، ورزقه يومئذ ثلاثمائة درهم في كل شهر، فوقع الرشيد في غشية لم يتقدمها علة، فأجمع الأطباء على أنه تالف، وأُخبر ابن بختيشوع فقال: ماله إلا علاج واحد وهو أن يحجموه، فقال محمد الأمين: أخاف أن أخاطر به، ثم قال قد أيسنا منه، والصواب أن نمتحن هذا فيه، فأحضروا الحجام، فجمع الدم في أخدعيه وهو مستلق، ثم أخرج من دمه محجمتين، ففتح الرشيد عينيه، واستدعى طعامه وأكل ونام.

فلما انتبه قص عليه المأمون ما جرى عليه أمره، وأذن للداخلين في تهنئته بالسلامة، فلما اكتملوا قال لهم: يا معاشر الأمراء والأطباء، إنما ارتبطتكم لحراسة نفسي، وقد حدث عليّ حادث لم يُغن عني فيه بعد الله عز وجل إلا هذا الغلام، ونصيبه مني نزر، ونصيبكم وافر، فاعدلوا ميل المملكة بأن يجعل له كل رجل منكم نصيباً من إنعامي عليه وإحساني إليه، حتى يكون له من جماعتكم مايوازي ماتقدم عليه به في حسن الدفاع عني، فتسرّع الناس إلى جبريل فأعطوه الضياع والدور والأموال، وما برح حتى كان أيسر من في المملكة، وتربت النعمة لديه وولده حتى وازت نعم الخلفاء.

عابرُ المرايا

عن امرأة

شعر: د. مصطفى الشليح

أمرٌّ إلى الكتابة وهْي سرٌّ ... جناحَ قصيدةٍ أو لا أمرُّ
كأني منْ مهبِّ الجذب آتٍ ... يزم ركائبي مدٌّ وجزرُ
تُعامِسني البوارقُ من علاءٍ ... بقول ما تألّف فِيَّ عُمْرُ
وما خَرقتْ قوافٍ دانياتٍ ... من المعْنى، وإمَّا انزاح وَعْرُ
وشَفَّ السترُ، وانفرجتْ أمور ... ومِنْ رهَج الأمور يشفُّ سِتْرُ
اذا لبسَ القصيدة ما تناءى ... سؤالاتٍ بها قد ضَاءَ صَدْرُ
تراءَى الكشفُ مُختصراً خُطاه ... وخطوُ الكشف مِئذنةٌ وقَطْرُ
فَما الأجدابُ قاطرةُ الليالي ... ودونَ محيطِه الإشراقُ قَفْرُ
وما الأشواكُ بالِغةٌ مُراداً ... من العزَماتِ حينَ يضجُّ جَمْرُ
أمرٌّ إلى اخْضرارٍ من بهاءٍ ... كأني في مدى الواحات طيْرُ
تُبعثرني على أبهاءِ وهمٍ ... مراوحُ أو حقائبُ لا تَقرُّ
ويَنشرُني سِفارٌ حينَ يُرْخِي ... شراعاً أو يُجَمّعُه ويذْرو
نُثارٌ من رؤى الأبعادِ يدنو ... على قدَرٍ، وتأويلٌ يكُرُّ
ومِنْ ماءٍ إلى ماءٍ جناحٌ ... وهُدْهُدُه مُساءلةٌ وخُبْرُ
يُعاودُ ما يقولُ، فهلْ سفيرٌ ... إلى الأمواه يسألُ لِمْ تَفِرُّ؟
ولِمْ أمواجُها زَبَدٌ أجاجٌ؟ ... ولِمْ ميناؤها بددٌ ونَثْرُ؟
وكيف نمَا التوجُّسُ من سفينٍ ... تروحُ بها الغرابةُ حيثُ ذُخْرُ؟
وحيثُ غِوايةٌ مدَّتْ سبيلا ... من الكلماتِ بيضاً لا تدرُّ؟
أمرُّ إلى النزيف الحُرِّ روحاً ... وفي لُغتي من الإيماضِ نَبْرُ

وأصعَدُ مِنْ وجيفي مُنتهاه   صعودَ الفجرِ، والنبضاتُ زُهْرُ
أُخبّئ في مطارِفه طيوفًا   وأحلامًا، وما للصدر يعْرو
ولونَ كنايةٍ، سلسالَ محوٍ   مَجازَ مغارةٍ يُزجيه غَوْرُ
ومنْ أبديةِ الأشياءِ أجلو   بدائيةً، وطفلُ الورد جسْرُ
أُجَلِّلُ بالمكابرةِ انْتمائي   إلى الخطَرات، والألواحُ خُضْرُ
وتَلبَسُني الكهوفُ رداءَ عُرْيٍ   وتَلبَسُها مُجاهرةٌ وسرٌّ
بأغمضَ منْهما لم يَبْدُ أمرٌ   هنا، أو ما تواري، ثَمَّ، أمْرُ
وأومضَ ما تدانَى في عناقٍ   من الأمْرين لو غمضَ المَمَرُّ
إذا ما غاضَ من شفتي غِناءٌ   وغيَّبَه الذهولُ، وكان نُكْرُ
حنًا وتَري عليَّ، وقال همسًا: خشوعًا صاحبي، للنُكْسِ عُذْرُ !
فقلتُ: أما ترى الألواحَ جُرْحي   وعندَ دمي نداءٌ، مُسْتَعِرُّ
وفوضايَ التي كانت وشاحًا   لبوْحي قد علاها اليومَ حَصْرُ
فقالَ: البحرُ نافذةُ اخْتلاجٍ   وموقفُ عِزَّةٍ، والحرفُ سرٌّ
اذا انتظمتْ مكاشفةَ اتِّساقٍ   يُوزِّعُها التمردُ، وهْوَ حُرٌّ
أقولُ: أنا، ومِنْ شغبٍ ردائي   ومن تعبٍ مداري يَسْبَطِرُّ
بِمؤتلفٍ من الأضدادِ ينزو   ومُخْتَلفٍ من الأشباهِ يذرو
ومُنعَطِفٍ شوارعُه شموعٌ   ذُبالتُها كعنوانٍ يَفِرُّ
أُسِرُّ الى مَدَى فوضايَ نجْوي   فَتسلُبني القوافي ما أُسِرُّ
وتصْحبني إلى محرابِ لغوي   فراشًا حائمًا لا يستقر
وتَجذبني إلى الإبهام رَهْوًا   فأجذبها لُغًى لِيَبينَ جسْرُ
وأمحُو، ثم أكتُبها، وأمحو   فيكتُبُني على الآفاقِ عِطْرُ
وأحسَبُني بلغتُ تمام بوحٍ   وأني، من بيانِ الورد، نشْرُ
كأنِّي عابرُ صَدَأَ المرايا   أدوِّنُ ما سيرْتجِلُ المَمَرُّ

قصة قصيرة

الثقب

محمد جبريل

لما اختلطت ألوان الغروب، وامتدت ظلالها في الشوارع والبيوت، وتداخلت أصوات المؤذنين في أبي العباس والبوصيري وياقوت العرش.. كنت قد جاوزت حد التردد وإلقاء الأسئلة. خلعت الحذاء، وألقيت به كيفما اتفق، وهززت رأسي، ربما لأشوش على الصور الواضحة، الثابتة، التي كانت آخر ماعلق بذاكرتي من النهار كله.

لم يشغلني التصرف الذي يجدر بي أن أقدم عليه في اللحظة التالية. مايهمني أن تغيب الصور التي تضعني ـ غصبًا ـ داخلها. يقولون مايحلو لهم. من حقي ألا أكتفي بالسكوت، وطأطأة الرأس. أشيح بيدي، يعلو صوتي، أرد على الشتائم بما يماثلها، وأقسى منها، ترسم ملامحي الرفض والاستنكار والغضب والسخرية.

خلا البيت، فيما عدا خطوات أمي بين غرفة النوم والمطبخ. هدأت حركة الطريق، وإن علا صوت التلفاز من الطوابق العليا بتمثيلية تدور أحاديثها باللهجة الصعيدية.

أغلقت النافذة، وأضأت النور..

تناهى صوت أمي، تعجب لمن يضيء النور في عز النهار..

بدا لي الدفاع عن وجهة نظري مسألة واجبة. ليس المهم أن أخطو إلى الداخل، فأناقش وأوضح. بوسعي أن أتشاغل بخلع البنطلون، وثنيه، ودسّه تحت مرتبة الكنبة، قبل أن تأتي أمي بالطعام من المطبخ، تسبق الكلمات دخولها إلى الصالة، فأنصت، وأوضح بما لايضايقها. أمي استثناء مؤكد بما اعتزمت أن أفعله. أعجبني قول صهر الأستاذ عبدالمنعم الكيلاني هذا الصباح وهو يؤنبه:

ـ لايوجد بين الزوجين كرامة!..

المؤكد أن أمي تحبني. أنا أحبها كذلك. إذا أعلنت ضيقها ـ وغضبها ـ أحياناً، فللظروف الصعبة التي لم أفلح ـ وإن حاولت ـ في تذليلها.

أعدت البنطلون الذي كنت أكتفي بارتدائه إلى موضعه تحت مرتبة الكنبة. قلبت في الثياب المعلقة في الحائط، فاخترت بنطلون "جينز" كنت اشتريته من بورسعيد. أضفت مالم أفعله من قبل، فأخذت قميص أبي الذي مات قبل أن يرتديه. دعكت الحذاء بفرشاة حتى لمع.

صحوت على ما اعتزمت، كأني أغمضت عيني عليه. لاحظت تكور قبضتي، ففردتها. ليس العداء ماأطلبه، ولا الدخول في خصام أو مشاجرة. يبدون آراءهم، فيتيحون لي إبداء رأيي، يطلبون ويناقشون ويبدون الملاحظات، فأستجيب لها، يغيب السباب والشتائم والكلمات النابية.

واجهني ميدان أبي العباس بهدوء ماقبل الصباح. أغلق المسجد أبوابه عقب صلاة الفجر، وتهيأ المحيطون بجدرانه ليوم جديد.

بدا الحاج زناتي البقال ـ في الشارع الطالع إلى الموازيني ـ يعالج أبواب الدكان. لو أني طلبت علبة سجائر، فربما ـ لابد ـ طالبني بالحساب المتأخر، أعتذر، وأطلب التأجيل. يرفض، وينذر بكلمات قاسية. يتقوض مالم أبدأ في بنائه..

واصلت السير ـ بحيث لايراني ـ إلى الموازيني..

بعد أن قطعت مسافة في شارع الميدان، فاجأتني بركة مياه راكدة، لم تكن موجودة بالأمس، ربما انفجار ماسورة مياه، أو مجار. حاولت التراجع، فأواصل السير من رأس التين، أو اختصر المسافة من حارة جانبية. الرذاذ الرمادي الذي أحدثته سيارة عبرت الشارع مسرعة، دفع بالكلمات إلى فمي:

ـ مش تحاسب؟!..

أوقف السيارة. امتدت يده إلى الباب كأنه يهم بفتحه. رجل في حوالي الخمسين، ترك شاربه، فغطى فمه، وإن امتد ـ إلى أسفل ـ في نهاية الشفتين، خطان أضافا إلى ملامحه قسوة..

أنا لاأخشى منه. هو ليس أمي، ولامسؤولاً كبيراً، ولارئيس عمل، بوسعي أن أرد عليه نظرته الغاضبة بمثلها. إذا تحدث فإني أرد عليه. إذا شتم فإني أعيد إليه شتائمه..

حاولت تثبيت نظرتي، رد فعل، متعمد، لنظرته التي كأنها توقفت في اتجاه وقفتي، وبنطلوني الذي غمره رذاذ الطين، والكلمات التي أفتش عنها، وأرتبها، كي أعبِّر عن مشاعر الاستياء التي تتماوج في داخلي.. لكنني ـ حالاً ـ أخفضت رأسي. يغيب الرجل ـ بابتعاده ـ تماماً، يتلاشى كل شيء كأنه لم يكن..

تشاغلت بتنظيف البنطلون، حتى علا صوت محرك السيارة، فاستأنفت سيري..

أهملت النظرة المتأملة لعم رجب موظف الاستعلامات. وقَّعْتُ في ساعة التوقيت، واتجهت إلى سلم البدروم..

تبعني السؤال:

ـ هل رُقِّيتَ أم قررت الزواج؟!..

الأحاديث عن تصرفه في التوقيعات لاتنتهي. ربما ادعى أن التوقيع ليس لصاحبه، وأنه قد شاهد بعينيه اللتين سيأكلهما الدود، من وقَّع بدلا منه، لو أني أجبت على سؤاله، فمن يدري؟!.

ناظر المدرسة، الاسم الذي أطلقته ـ بيني وبين نفسي ـ على الأستاذ عبدالمنعم الكيلاني. أعرف قدومه ـ ورأسي في الملفات ـ بالصمت الذي يحل فجأة، يتمطى الهدوء في غرفة الأرشيف، فأعرف أن الكيلاني ـ بجسده النحيل ـ قد ظهر في الباب. أتهيأ لندائه وملاحظاته وتوبيخاته وشتائمه. قراري الذي أرجأت تنفيذه، يعني الحياة في هذا المكان بالذات. الأوقات القاسية التي تطاردني اليوم كله. أتابع، من جلستي على الكنبة، برامج التلفاز في الطوابق العليا، أجلس في قهوة السيالة، أتأمل صيادي السنارة في الميناء الشرقية، أشارك في مواكب الزفاف حول المرسي أبي العباس.. تظل اللحظات القاسية في ذاكرتي كالصور الثابتة. أحاول التناسي. أتشاغل بالمتابعة والحوار والمشاركة فيما يدور، فلاتغادر الصور موضعها من الذاكرة، كأنها الخطر الذي لاتفلح حركة يدي العفوية في دفعه.

استعدت ماكنت رتبته من كلمات، حين يعلو الصوت الآمر، كأنه تكسُّر الزجاج. أخلي السبيل لما يفور في داخلي، وأتمه. أجاوز الجدران التي تحيط بأيامي. استعدت حتى الأوامر والنواهي والعبارات التي تؤذيني. أعددت لكل توقع مايناسبه.

رفعت ـ لندائه ـ رأسي من الملفات، وغادرت وقفتي أمام الأرفف. أشار إلى الدوسيه المغلق فوق مكتبه، وتلاحقت الكلمات متداخلة بحيث لم أفهمها. بدا غضبه أشد من أي وقت مضى. ذوى كل ماكنت أعددته، وتوقعت منتهى أثره. شملني تخاذل كأني أموت..

أشاح بيده ، فعدت إلى وقفتي أمام الأرفف، ظللت هناك، حتى انتهى الوقت..

منهج الإدارة اليابانيّة
ومدى الاستفادة منه عربيًّا

د. حسين قطبي

شأن اليابان اليوم في وقفتها مع النفس للمراجعة وتدبّر الأمر في شتى المجالات المتعلقة بالسياسات الاقتصادية والنظم الإدارية شأن العديد من الدول الأخرى كالمملكة العربية السعودية ومصر وغيرهما في العالم العربي.

ففي الوقت الذي تستضيف فيه جامعة الملك سعود الاجتماع السنوي لجمعية الاقتصاد السعودية خلال الفترة من السابع حتى التاسع من حزيران/ يونيو لمناقشة « التوجهات المستقبلية للاقتصاد السعودي، ودور الشركات المساهمة فيه» شهدت القاهرة - خلال شهر أيار/ مايو - المؤتمر الإداري السنوي السابع للتدريب والتنمية الإدارية حيث ناقش المؤتمر تكوين وتطوير المدير العربي وتدويل الأعمال .

واليابان اليوم تسعى هي الأخرى لتطوير نظمها الإدارية وأساليب اتخاذ القرار بعد أن سادت منذ عقد الثمانينيات من هذا القرن ظاهرة الاقتباس من نظم الإدارة اليابانية في كلٍّ من أوربا والولايات المتحدة رغم أن الأخيرة كانت تعرف -أكاديمياً وتطبيقياً- بأنها تقدم للعالمين المتقدم والنامي على السواء أرقى نظم الإدارة وأساليب اتخاذ القرار.

إلا أن اليابان - بعد أن حققت ما اصطلح على تسميته في الاقتصاد الدولي بـ "المعجزة اليابانية" - أثبتت أن ماحققته من نمو اقتصادي جعل من اقتصادها ثاني أكبر اقتصاد على مستوى العالم على كل ماتفتقر إليه اليابان من موارد طبيعية، لايعود إلى العوامل الاقتصادية البحتة، بل كان للإدارة دور بارز تؤديه في مسيرة التقدم الاقتصادي الذي حققه اليابان، وهو ماعرف فيما بعد دولياً بفن أو علم "الإدارة اليابانية" .

والسؤال الذي يطرح نفسه دائماً هو: ما أهم السمات المميزة للإدارة اليابانية عن غيرها من مدارس الإدارة الأمريكية - الأوربية على سبيل المثال؟

والإجابة على هذا التساؤل تتمثل باختصار في الأسس التي ينبني عليها "منهج" الإدارة اليابانية ولاتوجد في غيرها من مناهج الإدارة "الغربية" مثلاً. وأهم تلك الأسس المميزة مايلي:

أولاً - يتمتع الاقتصاد الياباني بأنه ظل ينمو مع الاحتفاظ بمستوى يقرب لمستوى التوظيف الكامل، فمن النادر أن تصل البطالة في اليابان إلى مستوى يزيد على معدل ٣٪، فقد بلغ معدل البطالة عام ١٩٩١ م إلى ٢.١٪ وكل ماأدت إليه أزمة النفط التي تعرضت لها اليابان عقب حرب رمضان العربية - الإسرائيلية الأخيرة عام ١٩٧٣م هو ارتفاع معدل البطالة بنسبة ٥ر٠٪ عام ١٩٧٥م عن معدل بطالة العام السابق، كما أدى ارتفاع سعر صرف الين الياباني عام ١٩٨٦م إلى حالة من الانكماش الاقتصادي أسفرت عن معدل بطالة لايزيد على ٨ر٢٪ فقط.

والجدير بالملاحظة أن معدلات البطالة السابقة لاتمثل المعدلات الفعلية للبطالة في الاقتصاد الياباني، بل إن المعدل الفعلي لايزيد على ٩ر١٪ عام ١٩٧٦م. وسبب تفاوت تلك المعدلات أن العديد من اليابانيين العاملين تزيد أو تقل أعمارهم عن سن العمل المتعارف عليها دولياً، كما أنهم يعملون في وظائف لبعض الوقت، أي إنهم يمثلون عمالة غير نظامية أو موظفين غير معينين في مؤسساتهم، ومن ثم لايحق لهم الاستفادة من قيام مؤسساتهم بتغطية التأمين الصحي أو أقساط التأمين والمعاش الخاصة بهم.

وهذه الفئة من العمالة تجعل الشركات اليابانية راغبة في استمرار توفير الوظائف لهذه الطائفة، والاقتصار على أعداد صغيرة نسبياً من فئة الموظفين المعينين أو النظاميين، وهو ما يوفر لتلك الشركات ميزات مهمة منها :

١ - تقليل تكلفة العمالة الثابتة المطلوبة (ممثلة في أقساط التأمين والمعاش والتأمين الصحي المطلوب دفعها لكل منهم) في أية شركة يابانية، وتعويض "فجوة" العمالة بأعداد من الموظفين غير النظاميين ذوي التكلفة الأقل.

٢ - سهولة تقليل وزيادة عدد القوى العاملة في أية شركة وفقاً لرواج أو كساد أعمالها، وذلك بالتمتع بحرية فصل العاملين غير النظاميين (نظرياً على الأقل) وإعادة تعيينهم أو تعيين نظرائهم (أحياناً بأجور أقل) وفقاً لموسمية نشاط الشركة أو لحالتها التجارية دون أن تطالب تلك الفئة من العاملين بأية تعويضات.

٣ - إعطاء العاملين النظاميين في الشركة شعوراً دائماً بالولاء للشركة التي يعملون بها - مادامت تضعهم في فئة الخطوة المعينة أو النظامية في الشركة-

منهج الإدارة اليابانية
ومدى الاستفادة منه عربياً

بالإضافة إلى رغبتهم بتحسين وتجويد الأداء والابتكار وتنمية مهاراتهم الإدارية بشكل دائم، حتى يثبتوا للإدارة العليا قدرتهم على إدارة الزملاء غير المعينين أو غير النظاميين في نفس الشركة والحصول منهم على أعلى إنتاجية ممكنة، واستقطاب الصالح منهم مستقبلاً للتعيين الدائم مع الشركة وانضمامه لها كموظف أو عامل نظامي.

ثانياً – لاتزال المرأة اليابانية تؤمن بأن مصيرها إلى منزل الزوجية مهما طال مشوار العمل قبل الزواج، والعديد من الفتيات العاملات اليابانيات يرغبن في الزواج والاستقالة من العمل، وذلك يرجع بالأساس إلى عدة عوامل رئيسة منها: أن النجاح في تجربة الزواج ورعاية الأطفال في نظرها هو في حد ذاته إنجاز لايقل أهمية عن النجاح في الحياة العملية الوظيفية. ومن تلك العوامل أيضاً أن العمل في اليابان هو جهد شاق يتطلب تفرغاً للشركة، فهناك مثلاً موعد للحضور والانصراف، إلا أن طبيعة العمل عادة بل دائماً ماتقتضي بقاء العاملين والعاملات في الشركة إلى أوقات متأخرة، وذلك دون سابق إخطار من جانب الإدارة، مثلهم في ذلك مثل الجنود في أرض المعركة، لايطالبون بإخطار مسبق للبقاء في مواقع الدفاع أو الهجوم، ولايوجد هناك موعد للاسترخاء والراحة.. أضف إلى تلك العوامل قدرة الزوج المالية (وعمره في المتوسط ٢٨ عاماً فأكثر) على الإنفاق وإعالة زوجته في حياة مقبولة غير مرفهة بالمفهوم العربي للثراء أو البذخ.

ثالثاً – تعاني بعض الصناعات في اليابان منذ حزيران/ يونيو ١٩٨٨م من نقص العمالة، حيث يوجد بها وظائف شاغرة بشكل شبه مستديم، مما يستدعي من العاملين فيها العمل لساعات إضافية لتعويض نقص العمالة في شركاتهم. وعلى سبيل المثال في تلك القطاعات كان هناك ١٫٢٢ وظيفة شاغرة لكل باحث عن وظيفة منذ آذار/ مارس ١٩٩٢م مما جعل تلك القطاعات تصبح قطاعات ممولة لأبحاث الحاسوب (الكمبيوتر) والإنسان الآلي التي ترى فيهما تلك القطاعات بديلاً فعالاً يمكن أن يحل مشكلة نقص العمالة التي تواجهها وزيادة الإنتاجية في الوقت ذاته.

ومن العجيب أن الحكومة اليابانية لاتزال تروج أن الاقتصاد الياباني يواجه حالة من الركود الشديد.. !

رابعاً – الأجور هي عامل محوري أيضاً في منظومة الإدارة اليابانية، فهي -أي الأجور- شأنها في ذلك شأن باقي الدول المتقدمة تشغل أكبر حصة من تكاليف الإنتاج والتسويق. وتتميز الأجور في منهج الإدارة اليابانية بالتالي:

١ – ينقسم دخل الموظف أو العامل النظامي إلى ثلاثة أقسام رئيسة :

أولها: الأجر الشهري الثابت، وهو يمثل في مجموعه على مدار العام نسبة أقل من ثلثي الدخل السنوي للفرد.

وثانيهما: الحوافز والمزايا العينية وتتمثل في الأجر عن ساعات العمل الإضافية (ويغطي هذا الأجر نسبة من تلك الساعات الفعلية وليس أجراً مدفوعاً عن كل تلك الساعات، والفارق غير المدفوع من تلك الساعات الإضافية يعد تبرعاً من جانب العامل للشركة لزيادة الإنتاج وتجويده) بالإضافة إلى بدلات الانتقال من موقع العمل إلى محل المنزل، وبدلات الإسكان إذا كانت الشركة تقدم دعماً مالياً يغطي جزءاً من تكلفة إسكان العاملين والموظفين الذين لايقيمون في مساكن شركاتهم. ومن هذه المزايا أيضاً ماهو عيني مثل دعم الوجبات التي يتناولها الأفراد داخل مطاعم شركاتهم أثناء أيام العمل.

وليست هذه المزايا والحوافز المالية والعينية – على السواء – التزاماً على الشركة أو حقاً غير مشروط للأفراد، بل تعتمد على موقف الشركة المالي والحالة الاقتصادية المتوقعة لنشاط الشركة في الأمدين القصير والمتوسط.

وثالثها : مكافآت منتصف أو نهاية العام المالي وتمثل نسبة ثلث الدخل السنوي للفرد تقريباً، وتعطى من أرباح فعلية حققتها الشركة.

هذا التقسيم الأساسي لدخول العاملين يوفر مزايا مهمة للشركات اليابانية منها:

١ – أن التكلفة الثابتة للأجور في اليابان تتمثل فقط في الأجر الشهري الذي يعد التزاماً على الشركة تدفعه شهرياً طوال فترة عمل الفرد فيها، وفي هذا يتساوى العامل أو الموظف النظامي في الشركة والعامل أو الموظف غير النظامي الذي يعمل في الشركة على أساس الأجر بالساعة. وهو مايوضح ضآلة التكاليف الثابتة التي تفرضها الأجور على مصروفات تشغيل الشركات في اليابان، على الرغم من ارتفاع متوسط الدخل السنوي للفرد الياباني العامل مقارنة بنظيره في دول أوربا الغربية والولايات المتحدة، ويعود ذلك لارتفاع قيمة المكافآت السنوية ونصف السنوية والمزايا والحوافز المالية والعينية التي يحصل عليها العاملون في اليابان.

٢ – تقسيم الأجور وفق هذا النمط الإداري يرسخ أفكاراً إيجابية في عقل وتوجهات العامل والموظف الياباني تتمثل في إيمانه بأن العمل الشهري غير كاف لجلب الدخل الذي يطمح في الحصول عليه والادخار منه لزواجه وتعليم أطفاله ولشيخوخته، بل إنتاجية الشركة وربحيتها هو المصدر المهم لدخله مادام الأجر الشهري لايكاد يغطي عادة نفقات معيشة العاملين وأسرهم طوال أيام الشهر، ويتبقى

للفرد أمل ادخار المكافآت والحوافز بشكل شبه دوري.

ومن هنا يستهدف الياباني العامل زيادة أرباح شركته وإنتاجيتها وضغط نفقاتها، فتضمن الشركات اليابانية بالتالي عمالة حصيفة تؤمن بالتدبير والاقتصاد في المصروفات وتسعى باستمرار لضغط النفقات الثابتة والمتغيرة على السواء. فيتوافر بالتالي للشركات اليابانية قوى عاملة على درجة كبيرة من الولاء والإخلاص في العمل، ويصبح على العامل وزوجته وأولاده عدم الاعتراض أو الامتعاض من مطالب الشركة التي قد تأمر بنقل العامل هو وأسرته إلى خارج اليابان أو من فروعها بالمدن الكبرى إلى القرى، أو تطلب منه السهر لأيام عديدة حتى يتم الانتهاء من (طلبيات) معينة وتوريدها للعملاء، أو ما إلى ذلك من الأوامر الإدارية. ومصدر التزام العامل أو الموظف الياباني بتلك التعليمات قد يكون أمراً مفهوماً في دواعيه وأسبابه، إلا أن التزام الأبناء والأطفال يعود إلى ارتباط إقامتهم في مساكن الشركة والاستفادة أحياناً من نواديها الاجتماعية ورحلاتها المدعمة بمفهوم الولاء والامتنان لتلك الشركات التي توفر كل هذه المزايا للأسرة ولرب الأسرة العامل فيها، وهو مايضمن في النهاية سلاماً اجتماعياً "معقولاً" للعامل وشركته يوفر لكليهما فرصة الإبداع والاندماج في العمل والتضحية من أجل الشركة.

خامساً- على الرغم من أن قانون العمل الياباني يعطي الياباني حق الإضراب عن العمل، إلا أن مجموعة المفاهيم والقيم المهنية والاجتماعية التي سبقت الإشارة إليها تمنع الياباني من الإضراب عن العمل. فالإضراب عن العمل مرتبط في عقل الياباني بإصابة شركته بالشلل والتوقف عن الإنتاج ولو ليوم واحد مما قد يضعف مركزها المالي أو التنافسي مقارنة بالشركات اليابانية أو الأجنبية الأخرى، مما سينعكس سلباً بالتالي في أرباحها في الأمد القصير أو المتوسط أو الطويل، مما سينعكس على مكافآته المستقبلية من ناحية، وعلى انطباع الشركة عن درجة ولائه لها، ومن ثم فكل عامل أو موظف ياباني لايقبل أن يبادىء بفكرة القيام بإضراب - ولو على المستوى النظرى البحت - لانعكاسات ذلك على سمعته وعلاقاته بالمستويات الإدارية العليا في الشركة.

سادساً - يتم التفاوض على الزيادة السنوية للأجور بين العاملين والشركات بشكل جماعي على مستوى النقابات العمالية والمهنية التي تمثل مختلف فئات العاملين، وعادة ماتتم تلك المفاوضات بشكل سلمي في فصل الربيع مع الأخذ في الاعتبار امتناع معظم النقابات العمالية أو المهنية من الدعوة للقيام بإضراب عن العمل. ولاتخلو بعض القواعد من الاستثناء -في واقع التطبيق العملي- فهناك نقابات عمالية قوية ذات قوة ضغط ملموسة في قطاعات الصناعة مثل شركات الحديد والصلب اليابانية وشركات النقل، إلا أن إضرابها عادة لايتجاوز نصف يوم عمل في أقصى حالات التفاوض تعثراً، وهي مع ذلك لاتحقق مطالبها في الزيادة الأجرية بنسبة مئة في المائة مما طالبت به هذه النقابات، بل الغالب أن تحصل على علاوة سنوية لاتتجاوز نسبة ٦٪ في المتوسط من أصل المرتب الشهري إذا ماأخذنا في الحسبان العامل أو الموظف البالغ من العمر ثلاثين عاماً كمثال.

سابعاً - تعمل الحكومة بشكل منسق وداعم للشركات الخاصة ، حتى ليلحظ المحللون الاقتصاديون أن التشريعات الاقتصادية اليابانية "تجور" على حقوق المستهلك ولاتصون علاقات "التوازن" التي طالما تحدثت عنها تعاليم مدرسة الاقتصاد والإدارة الغربية، التي تطور بها الأمر إلى حد المناداة علناً "بسيادة المستهلك" كوضع "مثالي" و "مستهدف" إلا أن "المنهج الياباني" يطبق العكس تماماً، ألا وهو "سيادة المنتج" فالتشريعات الضريبية - على سبيل المثال- لصالح المنتج، ويزداد الميل حالياً في اليابان نحو زيادة



منهج الإدارة اليابانية
ومدى الاستفادة منه عربياً

نصيب الضرائب غير المباشرة (ممثلة في ضريبة الاستهلاك) من إجمالي "المزيج" المكون لحصيلة الإيرادات الضريبية مقابل خفض حصيلة الضرائب المباشرة (متمثلة في ضرائب الدخل التي تشمل بضريبة الإيراد العام الأفراد وضرائب الأرباح الصناعية والتجارية المفروضة على المنتجين التجاريين والصناعيين)، وهو مايعني ببساطة إلغاء الميزة الممنوحة للأفراد (أكبر قطاعات الاستهلاك الذين يقصد بهم أحياناً كل المستهلكين دون سواهم) المتمثلة في تخفيض الضرائب المفروضة على دخول الأفراد بزيادة الضرائب المفروضة على الاستهلاك من ٣٪ إلى مايزيد عن ٧٪).

أضف إلى ذلك اللوائح الجمركية والصحية اليابانية، وعدم شفافية إجراءات المناقصات العامة والعطاءات، والسماح "عملياً" للشركات اليابانية بأن تشكل احتكاراً "كارتل" من المنتجين لتثبيت الأسعار على مستوى السوق المحلي والسوق الخارجي، وتقسيم السوق إلى أنصبة، وتوزيع تلك الأنصبة أو شرائح السوق على المنتجين كل حسب حجم ميزانياته بما في ذلك أصوله، مع الأخذ في الحسبان عدد العاملين في كل شركة، وهو مايلاحظ في عدم إقدام الشركات اليابانية على التنافس فيما بينها داخل اليابان أو في السوق العالمي حتى لايؤثر ذلك على أنصبة السوق المخصصة لكل منهم، وحتى لايقود ذلك الأسعار نحو الهبوط السريع، مما يؤثر سلباً على ربحية الشركات، وهو مايجعل المستهلك الياباني محروماً من الواردات التي قد تماثل المنتجات اليابانية في الجودة وتقل عنها في السعر، مما يجعل المستهلك الياباني في مركز تفاوضي أقل قدرة على المساومة، ويجعل المستهلك "أسيراً" للمنتج الياباني.

هذا وليس بوسع دارسي الاقتصاد الياباني أو الإدارة اليابانية أن يدّعوا أن المستهلك الياباني حانق على سلوك حكومته الذي يتبنى مفهوم "سيادة المنتج" وهو مايعبِّر عنه البعض بعدم "إشباع المستهلك" اقتصادياً أو "عدم رضاء المستهلك" إدارياً. بل سيلحظ المحللون "رضاء وتشبع" المستهلك، ويعود ذلك لما يمكن لنا أن نسميه بمنهج "تربية المستهلك" ومنهج "تربية المنتج" وهو بُعْدٌ غائب في المنظومة الإدارية والاقتصادية السائدة في الغرب المتقدم، ويبدو بصورة أكثر قتامة في السوق العربي، فمن يمكنه أن يدّعي أن هناك وعياً بهذا البعد "الاستراتيجي" (بمفهوم الأجل الطويل وليس بالمفهوم السياسي للمصطلح) المهم في مصفوفة العلاقة بين المستهلك والمنتج في الاقتصاد أو الإدارة العربيين سواء أكان ذلك على مستوى التنظير أو التطبيق ؟!

وهذا البعد ذاته "تربية المستهلك والمنتج" هو ماينقلنا إلى النقطة التالية من هذا النقاش .

ثامناً - أهمُّ مايتضمنه مفهوم "تربية المستهلك والمنتج" السابقة الإشارة إليه:

١ - تعليم الأفراد منذ مراحل التعليم الأولى ضرورة الاستمتاع باستهلاك ما تنتجه البيئة محلياً ويمثل هذا الاستمتاع كلاً من "رضاء" و "تشبع" المستهلك بالموارد والمنتجات المحلية.

٢ - الثقة في المنتجين المحلّيين وإعطاء منتجاتهم كامل الأفضلية في قائمة استهلاك المواطن الياباني.

٣ - الشعور بالامتنان الدائم للمنتجين المحليين إزاء حرصهم الدؤوب على زيادة جودة السلع أو الخدمة، وتقديم مزيج جديد من المنتجات المبتكرة على فترات سريعة ومتلاحقة، حتى يشعر المستهلك بأن خيارات استهلاكه من بين "المنتجات المحلية" عديدة بما يكفي لرضائه وإشباعه.

٤ - إقناع المستهلك الياباني بأن المنتج المحلي هو شريك الوطن والمعاناة التي قاسى منها الشعب الياباني قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، ومن ثم فإن دعم المنتجين المحليين "فريضة"

٥ - إشعار المستهلك الياباني بأهمية توافر خدمة الصيانة الممتدة إلى مابعد الشراء، وهي خدمة لايقدر عليها - في واقع الأمر في ضوء الضوابط واللوائح القانونية السابق ذكرها -سوى المنتجين المحليين من خلال فروعهم المنتشرة في أنحاء اليابان كافة ، وهو مايجعل أيّ منافس أجنبي غير قادر على النفاذ إلى هذا السوق.

٦ - تقوية الروابط القائمة بين المنتجين اليابانيين وشبكات صغار الموزعين العاملين في السوق الياباني، بحيث يضمن المنتجون استمرار "ولاء" قنوات التوزيع لهم. وفي هذا الصدد، يقدم المنتجون اليابانيون دورات تثقيفية للموزعين، ويجتمعون بهم دورياً لمناقشة أوضاع السوق ومشكلاتهم وتعريفهم بالمنتجات الجديدة قبل نزولها للأسواق ومنحهم "هوامش" ربح عالية مقابل الاقتصار على توزيع منتجاتهم، مما يجعل المركز التنافسي للمنتجين الأجانب ضعيفاً إلى أقصى الحدود.

وهو مايؤكد في النهاية مفاهيم المشاركة في المسؤولية والربحية بين المنتجين والموزعين.

هذه هي بعض خصائص "منهج" الإدارة اليابانية والتساؤل الذي يطرح نفسه اليوم والمنتجون والمستهلكون العرب بين شقي رحى عالمية الإنتاج والتسويق، وتدويل التمويل والاستثمار، إلى أيِّ مدى يمكن للاقتصاديين والإداريين العرب الاستفادة من الإدارة اليابانية "لمواجهة" - أو على الأقل - "التفاعل" بإيجابية مع المتغيرات العالمية المتدافعة، وعلى رأسها "السوق الشرق أوسطية" الوشيكة.

انعكاس العلاقة بين الأبوين على الأبناء

إعداد : د. تماضر حسون

إن العلاقة بين الأبوين كزوجين وكوالدين تشكل القاعدة الأساسية والصلبة للنظام في الأسرة، لأنهما وجدا قبل ولادة الأطفال، وسيبقيان فيها عندما يكبر الأطفال ويتركون الأسرة. لذا يحتاج الوالدان إلى رؤية واضحة لأهدافهما كأزواج، أهداف تتمثل في إيجاد والحفاظ على علاقات جيدة طيبة بينهما قائمة على التفاهم والتكامل ووحدة الرؤية العامة لحياتهما المشتركة، تلك العلاقات التي يجب أن تكون أهدافها أبعد من تلبية احتياجات أطفالهما،إذ إن للوالدين خارج نطاق الأسرة أهدافًا تؤثر بشكل مباشر في مسيرة تنشئة الأطفال ومن ثم المراهقين منهم. ولعل أفضل هدف تتبناه الأسرة، هو مسؤوليتها للمحافظة على نموذج وظيفي مقبول لأطفالهما، وهذا ليس بالأمر اليسير إلا إذا كان الزوجان على درجة كبيرة من الوعي والتفاهم.

للأبوين أيضًا طموحاتهما الخاصة كزوجين، ولديهما خلافات، وعندهما عيوب، ولكن كيف يتم التعامل مع تلك الخلافات والعيوب؟ وكيف يُسيطر عليها؟ وكيف تدار؟ وكيف يتم الاتصال والتواصل بين الزوجين رغم الخلافات والعيوب؟ إذ لكل ذلك أثره العميق في عملية تَعَلم الأطفال والمراهقين.

فقد نكون بعيدين عن الحقيقة عندما نقول بإمكان إزاحة الخلافات جميعها والقضاء على العيوب كافة لدى الوالدين كأزواج، فهناك عيوب، كما توجد خلافات لدى كل الأزواج، ولاتوجد أسرة ليس لديها مشكلات أو إعاقات أو لاتمر بأزمات، ولكن المهم في الأمر ما مقدار مواجهة وتحمل أو فشل الزوجين في مواجهة مشكلاتهما وتحمل عيوبهما وأزماتهما، وما تأثير ذلك في المراهقين من الأبناء؟

في غالب الأحيان وعندما تغيب الرؤية الواضحة لأهداف الزوجين يستطيع المراهق أن يستغل سريعًا عدم الاتفاق والخلاف بين الوالدين لينضم لأحدهم ضد الآخر، وبذلك يوجد مناخ يغوص فيه الأبوان ويدوران في حلقة مشكلاتهما وخلافاتهما، ومن ثم تنام عين الرقابة الساهرة عن المراهق، وربما أدى الأمر لمراهقة متمردة صعبة.

نقطة في غاية الأهمية والخطورة، أرى ضرورة التأكيد عليها، لما تترك من أثر سلبي فعال في المراهقين خاصة وفي الأبناء بشكل عام، وتتمثل تلك النقطة بما يسمى «بأزمة منتصف العمر»، إذ في غالبية الأحيان تؤدي الأزمات التي يمر بها الأبوان في مرحلة منتصف العمر دورًا سلبيًا بالغ الخطورة يترك بصماته البشعة على الأبناء وعلى المراهقين بشكل خاص.

وأزمة منتصف العمر تظهر عند البالغين ويعاني منها بعض الأزواج والزوجات والآباء والأمهات في المرحلة العمرية بين ٤٠ ـ ٥٠ سنة، وقد تمتد إلى أكثر أو أقل من ذلك، حيث يواجهون أزمات كبرى في حياتهم مشابهة تمامًا للأزمات التي يمر بها المراهقون الصغار. ويقول الطبيب النفسي الدكتور روبرت ل. ديسونت في هذا الموضوع «المشكلة التي يواجهها بعض الآباء والأمهات في منتصف أعمارهم هي أزمة ثقة بالنفس (...) إذ قد يواجه بعض هؤلاء أزمة منتصف العمر باتخاذ قرارات فجة تحدث تغيرات كبيرة وصغيرة في حياتهم (...) فهم يثيرون أسئلة صعبة تتعلق بحياتهم الزوجية وقد ينتهي كثير منهم بطلب الطلاق، يثيرون كذلك مسائل الهوية، وتستيقظ فيهم الأحاسيس والمشاعر التي تلهب سنوات المراهقة، فيرتدون إلى مراهقين بالغين يطلق عليها اسم (مراهقة منتصف العمر)».

وقد تبين أن المتعة الآنية والتحرر السهل أو الذي يبدو سهلاً من التقاليد والقيم هي مغريات خطيرة في تلك الأزمة، ولكن النتائج اللاحقة لمرحلة المتعة في منتصف العمر هي أكثر حسرة وألمًا مما هو متوقع، إنها يمكن أن تكون مصيبة إذا ما هجر الأب أو الأم الأسرة، أو سار في طرق الانحراف، لأن انعكاساتها على الأبناء والأسرة ستكون في غاية الخطورة والدمار، على اعتبار أن الوالدين قدوة ومثال يحتذى كما أنهما القائمان والمسؤولان عن عملية التنشئة والضبط الاجتماعي ونقل القيم والأخلاق التي تُسير المجتمع لأبنائهما.

إن الأبناء والمراهقين منهم بشكل خاص بحاجة إلى أبوين قويين ومتفاهمين يعملا معًا، بحيث إذا غفل أحدهما أو كبا استطاع الآخر المساعدة لإيجاد طريق للخروج من المأزق والوصول إلى حل عملي وواقعي.

الجانب الاجتماعي للمطبوعات ذات القيمة

حسني سيد لبيب

تُعرف المطبوعات ذات القيمة بأنها تلك الأنواع من المطبوعات ذات الصلة المباشرة الوثيقة بأمن الدولة التي تسيطر على إنتاجها، وتتحكم في إصدارها. وتخضعها لإشرافها ورقابتها.

وإذا كان المجتمع ببساطة هو جماعة من الناس (رجالاً ونساءً وأطفالاً) يرمون، متعاونين أحيانًا أو متصارعين أحيانا، إلى تحقيق مصالح جوهرية (حفظ الحياة وحفظ النوع مثلاً)، ويعيشون في بيئة جغرافية واحدة بصفة شبه مستمرة، في ظل مناخ ثقافي اجتماعي معين، قوامه العقائد والقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد والمثل العليا(١). فلابد من تعاليم ومطبوعات ذات قيمة وأثر في تنظيم ذلك كله.

وإذا كان ثالوث الفضيلة عند أفلاطون يتكون من الحق والخير والجمال، فإن الحق في الواقع أسمى هدف يحاول الإنسان الوصول إليه، ونرى الإنسان يشقى في سبيل ذلك كثيرا. ولقد وجد الإنسان عبر تاريخه الطويل أن تسجيل الحق بأية وسيلة من الوسائل التي تتيسر له، أدعى إلى حفظه على مر الأيام، وحجة قوية عند الإثبات، ودليل على ماله أو عليه من التزامات تجاه مجتمعه.

وتقوم الآن المطبوعات ذات القيمة بهذا الدور المهم في حياة الفرد اليومية، ويتعاظم دورها ورسالتها في حياة الشعوب، وتستمد هذه المكانة من قوة تأثيرها في الفكر الإنساني وسيطرتها على حركات الشعوب وسكناتها، باعتبارها قاسماً مشتركاً في معظم التصرفات اليومية لكل إنسان منذ استيقاظه من نومه، فهو يذهب إلى عمله بتذكرة حافلة (أتوبيس)، أو قطار، أو باستخدام بطاقة الاشتراك، ويلتحق بالعمل (بإجازة) مكتب العمل وقبول طلب الاستخدام، والصحيفة الجنائية، وشهادة الخدمة العسكرية أو الإعفاء منها، ويسجل مولده

المطبوعات ذات القيمة تستمد مكانتها من قوة تأثيرها فى الفكر الإنسانى

بشهادة الميلاد، ويعقد قرانه بقسيمة الزواج، وتسجل وفاته بشهادة الوفاة، وتُحصر تركته بمحاضر حصر التركات، ويقضي أموره في المستشفيات ومراكز الشرطة والمحاكم والمرور والإسكان .. إلخ. وفي كل خطوة يتعامل مع المستندات والبطاقات والسجلات والاستمارات(٢) .

وإذا باع أو اشترى أو استأجر، تعامل مع عقود البيع والشراء والإيجار، وإذا أراد توثيق معاملاته، تعامل مع عقود التسجيل بالسجل العقاري، وتأخذ تلك العقود دورتها بعد وضع الأختام الحكومية المقررة عليها. وإذا أرسل خطابا إلى أية جهة في الداخل أو الخارج وضع طابع بريد على خطابه، وبالطبع لايسير من دون البطاقة الشخصية أو العائلية لإثبات شخصيته، وإذا أدلى بصوته في الانتخابات استعمل بطاقة الانتخاب.

وفي مسيرته التعليمية يحصل على الشهادات العلمية الدالة على اجتيازه المراحل المختلفة، وإذا أراد أن يزاول نشاطا تجاريا أو صناعيا تطلب الأمر حصوله على رخصة مزاولة النشاط، وإذا ركب سيارته فإنه يحمل معه رخصة السيارة ورخصة القيادة، وإذا حمل سلاحا فيحمل معه رخصة إحرازه، وإذا كان ممن يقومون بأنشطة التصدير والاستيراد فهو يتعامل مع المصارف لفتح الاعتمادات المالية، ويتعامل مع الجمارك لدفع الرسوم الجمركية، كما يتعامل مع بوالص الشحن وشهادات الإفراج الجمركي.

كما أنه يدفع الضرائب المستحقة عليه للدولة حسب الشرائح المالية المقررة، فيتعامل مع الإقرارات الضريبية، ثم إنه يدخل المصارف ويتعامل مع مافيها من مطبوعات

وشيكات وأوراق مالية من أسهم، وسندات، وشهادات استثمار، وشهادات إيداع، ودفاتر توفير ... إلخ. كما لاتخلو محفظته من أوراق نقدية، كما قد يحتاج إلى استخراج شهادة صحية من الدوائر الصحية، وحينما يود السفر للخارج فلابد من استخراج جواز السفر، وشهادة التطعيم الدولية، وتصريح السفر، وإذا كان السفر بغرض العمل فإنه يتعامل مع تصاريح العمل، إلى غير ذلك من مستندات للسفر، بالإضافة إلى تأشيرات السماح بالدخول أو الخروج من البلاد المختلفة، وقد يكون ممن يميلون إلى التأمين على حياتهم أو ممتلكاتهم فيتعامل مع وثائق التأمين بشرائحها المختلفة.

وإذا كانت المطبوعات ذات القيمة تسيطر على جانب كبير من نشاط الفرد وهو نواة المجتمع، وتدخل في حياته اليومية على النحو السابق، فما ذلك إلا للدور الاجتماعي الذي تقوم به من إنشاء للحقوق وإثباتها، وللمسؤوليات والتزاماتها، سواء على مستوى الأفراد بعضهم مع بعض، أو على مستوى الفرد في علاقته مع الدولة ومؤسساتها، أو على مستوى الدول بعضها مع بعض.

وإذا كانت القيم الاجتماعية هي الأشياء التي تكون ذات قيمة معينة عند جماعة من الناس، مجتمعين أو مُوَزَّعين، فإن القيم الاجتماعية، عادة، تنبت عن طريق الرأي الجمعي لهذه الجماعة، أي إن هذه القيم لايمكن أن تُفْرَض من الخارج على الجماعة فرضا، ولكنها تتوالد من الظروف المعيشية التي تحياها، وتكون مقبولة ومعترفا بها عندها، وما المطبوعات ذات القيمة إلا وليدة تلك الظروف(٣).

ويلاحظ أن الأشياء المادية تمثل أنواعا متباينة من القيمة، لأن هذه الأشياء هي في الواقع موضوع اهتمامات إنسانية متباينة، فقد تكون اهتمامات مادية أو اقتصادية أو معنوية، فقطعة الورق إذا طبعتها المطبعة وصارت جواز سفر فإنها تمثل قيمة مادية نفعية. وجواز السفر ذاته كنتاج للعمل الإنساني يحتوي على قيمة اقتصادية. وإذا عالج قطعة الورق ذاتها فنان أصبحت قطعة فنية ذات قيمة جمالية. ونجد قطعة الورق في كل العلاقات السابقة، ليست شيئاً ماديا فقط، بل ظاهرة اجتماعية كذلك. أي إنها شيء ذو منفعة، وسلعة، ونتاج عمل فني، فتصبح ـ عندئذ ـ موضوع اهتمامات إنسانية متعددة.

ويلاحظ أيضًا أن ظواهر الوعي الاجتماعية، التي تتمثل في الأفكار، لها كذلك قيم، وعن طريقها يُعبِّر الناس عن اهتماماتهم في أسلوب فكري (أيديولوجي) معين. فأفكار الكفاية والعدل، والوسائل التي

المطبوعات ذات القيمة وجدت لإثبات الحق وتحديد المسؤولية وجدية الالتزام

تحققها، تتضمن في الواقع اهتمامات فئات من أعضاء الشعب كما تتضمن أعمالهم ورغباتهم وإراداتهم، ونجد من هذه الوسائل التي تحقق تلك الأفكار المطبوعات ذات القيمة، مثل بطاقة الرقم التأميني الذي تصدره الهيئة العامة للتأمينات والمعاشات، وكذلك معونة الشتاء.

ولكي يوجِّه أو ينظِّم أي مجتمع أنماط سلوك أعضائه، يُوجِدُ عادة نظامًا من المفاهيم الأخلاقية والمثل العليا والمبادىء وأساليب تقويم هذه الأفعال، وهذه كلها من قبيل القيم الأخلاقية. ويتضمن هذا النظام الخلقي المعين قيما ذات أهداف إيجابية أو سلبية، وما يهمنا هو القيم الإيجابية، ومن أولاها نجد ظاهرة (الوطنية) وهي حب الوطن والشعور بالانتماء إليه والولاء له والوفاء بحقوقه، والملاحظ أن ظاهرة الوطنية يمكن اعتبارها قيمة اجتماعية مركبة، فهي ليست القيم السابقة فقط بل تتضمن قيمة الإيمان والعطاء والبذل والتضحية فضلا عن قيمة التعاون. أي إن هذه القيمة كلها، وربما غيرها، لابد أن تكون من وراء سلوك المواطن الصالح، وما شهادة تأدية الخدمة العسكرية، وهي إحدى أنواع المطبوعات ذات القيمة، إلا ترجمة عملية لهذه الظاهرة بكل ماتعنيه، وماترتكز عليه من حب الوطن والإخلاص لأرضه وتقاليده، والدفاع عن سلامته.

وعلى ذلك يمكن إيجاز الجانب الاجتماعي للمطبوعات ذات القيمة في أنها:

١ـ تتوالد من الظروف المعاشية للمجتمع.

٢ـ موضوع اهتمامات إنسانية.

٣ـ تمثل أنواعا متباينة من القيم.

٤ـ إحدى وسائل تحقيق الأفكار التي تفرزها ظواهر الوعي الاجتماعي.

٥ـ إحدى وسائل تنظيم أنماط سلوك أعضاء المجتمع.

الهوامش :

(١) سيد عويس، نظرات باحث علمي اجتماعي مصري، ص ٤٨.
(٢) علي رشوان، الطباعة بين المواصفات والجودة، ص ٤.
(٣) سيد عويس، المرجع السابق، ص ١٤٢ ومابعدها.

الجزيرة

تكفيك



تثري
مساءك

المسائية

تصدران يوميا عن: مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزائي اس جي.

دائرة المعارف

الأوزون

إعداد م: محمد عبدالقادر الفقي

(أ)

الأوزون:

غاز عديم اللون، يتكون من اتحاد ثلاث ذرات من الأوكسجين، له رائحة خاصة يمكن شمها في أعقاب العواصف الرعدية وبالقرب من المعدات الكهربائية. كما إنه سام وقابل للانفجار أيضا. ويتكثف إلى سائل أزرق عند درجة حرارة (١١١) تحت الصفر المئوي، ويتجمد عند درجة (-٢٤٥) مئوية.

يوجد في الغلاف الجوي للأرض بتركيز يتراوح بين ٠٫٠٢ - ٠٫٠٣ جزء في المليون في المناطق الحوالية. وتتفاوت نسبة وجوده في الهواء مع تغير الفصول، فهو يقل شتاء ويزداد صيفا. وتزداد نسبته في المناطق الحضرية وبخاصة المدن التي تزدحم فيها حركة المرور، حيث تساعد غازات عوادم السيارات على تكونه. ويتركز الأوزون في الغلاف الجوي في طبقة عليا تسمى الستراتوسفير، حيث يلعب دوراً كبيراً هناك في حماية الأرض من أخطار الأشعة الكونية والأشعة فوق البنفسجية.

والأوزون الذي يتم تحضيره صناعيا له استعمالات متعددة. فهو مبيد للجراثيم والفطريات والبكتيريا، ولذلك فإنه يستخدم في معالجة مياه الشرب، والأغذية، وفي معالجة مياه المجاري. كما إنه يستخدم في تبييض مختلف المركبات العضوية، وبخاصة الشموع والزيوت.

يتكون الأوزون في الغلاف الجوي للأرض نتيجة لعمليات التحليل الكيميائي الجزيئي لغاز الأوزون بفعل الأشعة فوق البنفسجية، ونتيجة لتأثير الشحنات الكهربائية الموجودة في السحب أثناء البرق.

(ب)

بروتوكول مونتريال:

بروتوكول دولي أُتفق عليه وأُقر في مدينة مونتريال الكندية في شهر سبتمبر ١٩٨٧م من قبل مجموعة من الدول، وهو يقضي بضرورة اتخاذ إجراءات يُتوقع أن تؤدي إلى تخفيض ٥٠ ٪ من المواد المستنزفة للأوزون الموجود في طبقة الستراتوسفير بحلول عام ١٩٩٩م.

(ت)

تروبوسفير Troposphere:

هي أولى طبقات الغلاف الجوي للأرض، وتبدأ من سطح الأرض مباشرة حتى ارتفاع ١٢ كيلو متر فوق القطبين الشمالي والجنوبي، بينما ترتفع إلى ١٨ كيلو متر فوق خط الاستواء. وتحتوي هذه الطبقة على نحو ٧٥٪ من الوزن الكلي للغلاف الجوي، وتعيش فيها معظم الأحياء، وتحدث فيها وحدها أغلب الظواهر الجوية مثل تكون السحب والضباب والعواصف والرياح والثلوج والمطر. وتنخفض فيها درجة الحرارة تدريجاً مع الارتفاع عن سطح البحر وذلك بمعدل ٦٫٥ درجات مئوية لكل كيلو متر. وهي تضم معظم الملوثات الهوائية، ويوجد فيها غاز الأوزون على مستوى سطح الأرض بنسبة ضئيلة جداً تتراوح بين حوالى عشرة أجزاء في البليون وثلاثين جزءا في كل بليون جزء من الهواء.

(ث)

ثقب الأوزون Ozone Hole:

اصطلاح يطلق مجازا على انخفاض كثافة الأوزون في منطقة معينة من طبقة الستراتوسفير. وقد اكتشف علماء الجو العاملون في دائرة المسح البريطانية للقارة القطبية الجنوبية في عام ١٩٨٥م أن مقادير غاز الأوزون في طبقة الستراتوسفير فوق منطقة خليج هالي بالقارة القطبية الجنوبية قد انخفضت بنسبة ٤٠ في المئة بين ربيعي عام ١٩٧٧م وعام ١٩٨٤م. وسرعان ماأيدت ذلك أبحاث علمية أخرى، وتبين أن منطقة نضوب الأوزون تمتد في ارتفاعها مسافة تتراوح بين ١٢و٢٤ كيلو متر وأنها تغطي مساحة أكبر من مساحة القارة القطبية الجنوبية.

وقد عزا بعض العلماء حدوث الثقب الأوزوني إلى الطبيعة المتميزة والغريبة للطقس في منطقة القطب الجنوبي. وأجريت قياسات متعددة بواسطة الأجهزة المحمولة على الطائرات أو المناطيد أو الأقمار الصناعية، وتبين أن هناك تركيزا في غاز الكلور في طبقة الستراتوسفير، الأمر الذي جعل العلماء يؤكدون على أن سبب حدوث الثقب الأوزوني في منطقة

دائرة المعارف

القارة القطبية الجنوبية هو استخدام المواد المعروفة باسم الكلوروفلورو كربونات Chlorofluro Carbons.

(ج)

جوزيف فارمان Joseph C. Farman:

عالم بريطاني، كان أول من بين حدوث انخفاض في مستوى الأوزون بطبقة الستراتوسفير فوق القارة القطبية الجنوبية، وذلك بالتعاون مع فريق من زملائه من دائرة المسح البريطاني للقارة القطبية الجنوبية. وكان هذا الفريق ـ الذي ترأسه جوزيف س. فارمان ـ يراقب مستويات الأوزون فوق خليج هالي مباشرة منذ عام ١٩٥٦م. وقد نشر الفريق تقريرا له عن حدوث الثقب الأوزوني في عام ١٩٨٥م، وبعد ذلك أيدت وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) ماورد في التقرير بالاستعانة بقمر صناعي.

(ح)

الحد الأقصى لتركيز الأوزون:

اصطلاح علمي يقصد به أكبر قدر من غاز الأوزون يسمح بوجوده في طبقة التروبوسفير ليكون ملائما وغير ضار بالإنسان والأحياء الحيوانية والنباتية. ويعبر عنه عادة بوحدة الجزء في البليون par per billion، أي عدد أجزاء الأوزون الموجودة في كل بليون جزء من الهواء. ويبلغ الحد المسموح به لتركيز الأوزون ـ وفقا لهذه الوحدة ـ ٨٠ جزءا في البليون.

وهناك وحدة أخرى تستخدم أحيانا في بعض الدول للتعبير عن تركيز الأوزون في طبقة التروبوسفير وهي الملي كيلو جرام لكل متر مكعب من الهواء.

(خ)

خصائص الأوزون:

الأوزون صورة تآصلية للأوكسجين، فهما متشابهان في خصائصهما الكيميائية، إلا أنهما مختلفان في خصائصهما الفيزيائية. والوزن الجزيئي للأوزون ٤٨ وكثافته ٢٤٤ر١ جرام لكل لتر، وهو يغلي عند درجة (−١١٢) مئوية. وللأوزون رائحة مميزة غير مقبولة، وهو أكثر سمية من مركبات السيانيد والاستركينين وأول أوكسيد الكربون.

وتساعد الحرارة العالية على تفككه، فقد وجد أن جزيء الأوزون يتعرض إلى عملية التفكك في المختبر عندما تتجاوز درجة الحرارة ١٠٠ درجة مئوية، أو في حالة وجود بعض العوامل الحافزة Catalysts. وتعتبر قوة الأوزون في التطهير والإبادة أشد فتكا من الكلور. وهو مادة مخثرة Coagulant، ويتصف بقدرته على إزالة العديد من الملوثات الكيميائية من الماء مثل السيانيد والفينول. كما أنه عنصر مؤكسد شديد الفعالية، حيث يعتبر رابع أقوى عنصر مؤكسد، لذلك يستخدم في كثير من العمليات الصناعية التي تطبق فيها عمليات الأكسدة.

(د)

دوبسون Dobson:

وحدة تستخدم للتعبير عن سمك الغازات الموجودة في الغلاف الجوي، وهي تساوي جزءا من مئة جزء من المليمتر. فحينما يقال إن معدل الأوزون فوق القارة القطبية الجنوبية بلغ ٣٠٠ دوبسون في عام ١٩٨٩م، على سبيل المثال، فإن هذا يعني أن سمك الطبقة الجوية الناتجة ـ إذا ماتم جمع الأوزون في شريحة من الجو عند درجة الحرارة والضغط المعياريين ـ تساوي ثلاثة مليمترات.

الدائرة القطبية Polar Vortex:

كتلة هوائية معزولة تدور حول القطب الجنوبي خلال جزء كبير من العام. والجدير بالذكر أن كمية الأوزون الموجودة في طبقة الستراتوسفير ضمن هذه الدائرة تتناقص في أواخر أغسطس وأوائل سبتمبر، ثم تستقر في أكتوبر، ثم تتزايد في نوفمبر، من كل عام.

(ر)

رولاند Rowland:

عالم أمريكي يدرس في جامعة كاليفورنيا، اسمه بالكامل ف. شيروود رولاند F. Sherwood Rowland كان أول من دق جرس الإنذار، مع زميل له يدعى ماريو ج. مولينا Mario J. Molina، للتنبيه إلى خطر الاستعمال المتعاظم لما يعرف باسم مركبات الكلوروفلوروكربون التي ثبت بعد ذلك أن لها دورا بارزا في إحداث ثقب الأوزون واستنزاف الأوزون في طبقة الستراتوسفير.

(س)

ستراتوسفير Stratosphere:

إحدى طبقات الغلاف الجوي للأرض، وهي تعلو طبقة التروبوسفير وتمتد حتى ارتفاع ثمانين كيلو متر فوق سطح الأرض. وتخلو هذه الطبقة من تقلبات الطقس لانعدام بخار الماء فيها. وتتميز بثبات درجة الحرارة فيها حتى ارتفاع عشرين كيلو متر تقريبا، ثم تزداد درجة الحرارة فيها ببطء حتى ارتفاع ٣٢ كيلو متر، ثم تزداد بسرعة بعد ذلك إلى أن تصبح مماثلة لدرجة الحرارة القريبة من سطح الأرض عند ارتفاع ٥٠ كيلو متر.

ويوجد الأوزون في شكل غلالة رقيقة بهذه الطبقة، وذلك على ارتفاع عشرين كيلو متر من سطح الأرض تقريبا.

(ش)

أشعة فوق بنفسجية:

هي أشعة ضوئية، ترد إلى الأرض من الشمس. وهي إذا نفذت إلى الأرض بكميات قليلة فإنها تكون مناسبة للحياة، حيث تساعد على تكوين فيتامين (د) الذي يقي من الكساح ولين العظام، لكن زيادة هذه الأشعة له آثار ضارة وقاتلة على الأحياء. ويقوم الأوزون الموجود في طبقة الستراتوسفير بمنع وصول هذه الأشعة إلى الأرض إلا بالقدر المناسب لاستمرارية الحياة على سطحها، ولذلك، فإن الخوف من ثقب الأوزون يعود إلى المخاطر التي يمكن أن تحدث نتيجة

لنفاذ هذه الأشعة عبر الثقب ووصولها إلى الأرض. ويرى العلماء أنه لو حدث نقص في سمك طبقة الأوزون بمعدل ١٪ فقط فإن الأشعة فوق البنفسجية ستزيد كمياتها التي تصل إلى سطح الأرض بمعدل ٢٪، وهذه النسبة ستؤدي إلى زيادة في معدل الإصابة بأمراض سرطان الجلد بمقدار ٤٪.

كما أن زيادة تسرب الأشعة فوق البنفسجية سيؤدي إلى الإصابة بالحروق الشمسية والعمى الجليدي Snow Blindness والشيخوخة المبكرة وتجعد الجلد وأمراض العيون وتشوه الأجنة وإضعاف جهاز المناعة في جسم الإنسان وتحطيم جزيئات بيولوجية مهمة مثل حامض د.ن.أ (DNA) المسؤول عن نقل الصفات الوراثية.

(ض)

ضبخان Smog:

اصطلاح علمي تم نحته من كلمتي (ضباب) Fog و(دخان) Smoke.

ويتكون الضبخان نتيجة لسلسلة من التفاعلات الكيميائية بين بعض ملوثات الهواء الجوي (مثل ثاني أوكسيد النيتروجين وأكاسيد الكبريت والهيدروكربونات الناتجة عن الاحتراق غير الكامل لوقود المحركات). ويسهم الأوزون بدور فعال في تكوين الضبخان، كما أنه أحد مكوناته.

ويُكَوِّنُ الضبخان طبقة غازية سوداء بالقرب من سطح الأرض، فيؤدي إلى ضعف مجال الرؤية. كما أن له تأثيراً سيئاً جدا على جسم الإنسان، حيث يتسبب في الإصابة بالالتهابات الرئوية، ويحدث التهابات وتهيجا في العيون، ويقلل من قدرة الجسم على مقاومة البكتيريا والميكروبات المسببة للأمراض.

(ط)

طبقة الأوزون:

هي عبارة عن حزام غازي يحيط بالكرة الأرضية. وتقع هذه الطبقة في المنطقة التي يتراوح ارتفاعها بين ١٠و٥٠ كيلو متر فوق سطح البحر. ولهذه الطبقة أهمية كبرى، فهي التي تحجب الأشعة فوق البنفسجية وتحول دون تدفقها إلى سطح الأرض إلا بقدر ضئيل، كما أنها تمتص الإشعاعات الكهرومغناطيسية الأخرى ذات الأطوال الموجية التي تتراوح بين ٢٤٠ و٢٣٠ نانومتر (النانومتر عبارة عن جزء من البليون جزء من المتر) والتي تتميز بطاقتها العالية. ولولا وجود هذه الطبقة لتأثرت الحياة الأرضية ولانقرض ماعلى الأرض من أنواع شتى من الحيوانات والنباتات.

وهناك عدة عوامل تساعد على تحطيم طبقة الأوزون في الغلاف الجوي للأرض كالإشعاعات الكونية، والأشعة فوق البنفسجية، والتفجيرات النووية، وأكاسيد النيتروجين الناتجة عن الطائرات الأسرع من الصوت، والوقود الصلب المستخدم في صواريخ الفضاء، ومركبات الكلوروفلوروكربون.

(ظ)

ظاهرة البيوت الزجاجية Greenhouse Effect:

من المعروف أن الغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض يقوم بدور حيوي في المحافظة على درجات الحرارة على سطح الأرض. ويمكن تشبيه هذا الغلاف بزجاج الدفيئة (البيوت الزجاجية التي تستخدم في عمليات استنبات الخضروات والزهور وغيرها)، فهو يمتص بعض الإشعاعات طويلة الموجات المنبعثة من الأرض ويعيد ضخها من جديد إلى سطحها. ولو لم يكن هذا الغلاف موجودا لكانت درجات الحرارة على سطح الأرض أقل بكثير مما هي عليه الآن.

ولكن النشاط الصناعي أدى إلى تغيير الغلاف الجوي. فالغازات المنبعثة من هذا النشاط حين تنطلق إلى الفضاء تقوم بامتصاص جزء كبير من الأشعة الحرارية المنبعثة من سطح الأرض، وبدلا من أن تسمح لجانب كبير منها بالتسرب إلى الفضاء الخارجي، فإنها تعيد بثها من جديد إلى سطح الأرض ليزداد سخونة، ولترتفع حرارة الهواء في طبقة التروبوسفير. ويطلق على هذه الظاهرة اسم ظاهرة البيوت الزجاجية (الدفيئة). وهي ذات آثار ضارة، إذ تتسبب في تغيرات المناخ، وفي انصهار جبال الجليد الموجودة في القطبين، مما يهدد بغرق كثير من المدن الساحلية والجزر والأراضي المنخفضة.

وتسمى الغازات التي تؤدي إلى حدوث هذه الظاهرة باسم غازات الدفيئة، ومن أهمها: ثاني أوكسيد الكربون، والأوزون، وأوكسيد النيتروز، ومركبات الكلوروفلوروكربون. ويلاحظ أن بعض الغازات التي تؤدي إلى حدوث استنزاف لأوزون طبقة الستراتوسفير تتسبب أيضا في حدوث ظاهرة البيوت الزجاجية.

(ع)

عادم السيارات:

هو عبارة عن خليط من الغازات والأبخرة الهيدروكربوناتية الناتجة من حرق المشتقات البترولية (كالجازولين - بنزين السيارات - أو وقود الديزل) في محركات المركبات والسيارات. ويشتمل هذا الخليط على غازات أول أوكسيد الكربون وثاني أوكسيد الكربون، وثاني أوكسيد الكبريت، وأكاسيد النيتروجين، وأبخرة المواد الهيدروكربوناتية. ويمكن أن تؤدي التفاعلات الكيميائية التي تتم بين ملوثات عادم السيارات وفي وجود ضوء الشمس إلى انتاج غاز الأوزون.

(ف)

اتفاقية فيينا لحماية طبقة الأوزون:

عقد في مدينة فيينا في الفترة من ١٨ إلى ٢٢ مارس ١٩٨٥م مؤتمر دولي حضرته ٣٦ دولة بدعوة من برنامج الأمم المتحدة لشؤون البيئة لدراسة السبل الكفيلة بحماية طبقة الأوزون من الاستنزاف الذي تتعرض له بسبب الملوثات الجوية. وقد نجح المشاركون في المؤتمر في وضع بنود اتفاقية دولية تلتزم بموجبها الدول التي توقع عليها بأن تعمل على منع إصابة البيئة بالأضرار الناجمة عن تأثير النشاطات البشرية على طبقة الأوزون. وقد دعت هذه الاتفاقية إلى تبادل المعلومات والتنسيق بين دول العالم فيما تتخذه من تدابير لإيقاف تدهور مشكلة الثقب الأوزوني، كذلك نصت الاتفاقية على إنشاء أجهزة دولية جديدة من أجل وضع المبادىء والقواعد وصياغة اتفاقيات فرعية بشأن بعض المسائل المتعلقة بمشكلة الأوزون.

دائرة المعارف

(ق)

القابلية المحسوبة لاستنزاف الأوزون:

هي عبارة عن مقياس يستخدم لمعرفة قدرة بعض المواد الملوثة على تدمير الأوزون في طبقات الجو العليا. ويتم تقدير هذه القابلية عن طريق قسمة مقدار استنفاد الأوزون المحسوب لوحدة وزن واحدة من أي مادة ملوثة على مقدار استنفاد الأوزون لوحدة وزن واحدة من مركب (الفريون-١١) Freon-11.

(ك)

الكلوروفلورو كربونات Chlorofluro Carbons:

مركبات كيميائية تتألف - كما يوحي اسمها - من الكلور والفلور والكربون. وعندما استخدمت هذه المركبات الغازية منذ ٦٠ عاما تقريبا فإنها كانت تستعمل كمواد تبريد في الثلاجات وأجهزة تكييف الهواء وكدافعات Propellents لمرذذات الغازات Sprays (مثل علب بخاخات الشعر، والعطور، ومزيلات رائحة العرق) وكمواد وسيطة لإنتاج الرغوة Foam وكمنظفات للقطع الإلكترونية. وهذه المركبات - التي ماتزال لها تطبيقات واسعة - كانت تعد في وقت من الأوقات مواد كيميائية صناعية مثالية، إذ إنها ثابتة التركيب على نحو كبير، ولاتتفاعل بسرعة، ومن ثم فهي غير سامة. ولكن للأسف، تبين أن خمول هذه المركبات هو الذي يجعلها مزعجة للأوزون في طبقة الستراتوسفير. فهذه الغازات الخاملة لاتتحلل بسهولة إلى مركبات أخرى أبسط منها في طبقة التروبوسفير، ولذلك تجد طريقها إلى طبقة الأوزون، حيث تصبح عرضة للضوء فوق البنفسجي الشديد الذي يحطمها، محولا إياها إلى أشكال أكثر فعالية، مثل ذرات الكلور التي لها القابلية على تدمير الأوزون بسرعة ومن ثم إحداث تآكل خطير في الدرع الأوزوني الذي يحمي الأرض. ويستمر تأثير هذه المركبات عشرات السنين، ولذلك، لو توقف إطلاق غازات الكلوروفلوروكربون الآن فإن تأثيرها سيظل مستمرا فترة طويلة. ويرى العلماء أن النوعين الرئيسيين من المواد الكلوروفلوروكربونية - وهما الفريون-١١ والفريون-١٢ يدومان نحو ٧٥ عاما في الستراتوسفير. واستنادا إلى ذلك حظرت بعض الدول مؤخرا إنتاجها، وعقدت عدة اتفاقيات دولية لوضع ضوابط لإنتاجها واستهلاكها حتى يتم استخدام مواد بديلة لها لاتؤدي إلى استنزاف وتدمير الأوزون في الغلاف الجوي.

(ل)

مؤتمر لاهاي:

مؤتمر عُقد في مدينة لاهاي الهولندية في شهر أكتوبر ١٩٨٨م برعاية ومبادرة برنامج الأمم المتحدة للبيئة ومنظمة الأرصاد الجوية العالمية. وقد شارك فيه ٧٠ عالماً في مجال الغلاف الجوي يمثلون ٤٠ دولة، وتباحثوا فيه حول نتائج آخر الأبحاث المتعلقة بالأوزون في الغلاف الجوي وقضية الثقب الأوزوني فوق القارة القطبية الجنوبية، وطالب المشاركون في المؤتمر بمنع استخدام المواد الكيماوية المستنزفة للأوزون، وضرورة اتخاذ المزيد من الإجراءات الفعالة للحد من تفاقم ظاهرة تناقص سُمك طبقة الأوزون.

(م)

المطر الحامضي:

هو عبارة عن قطيرات أو حبيبات جافة من حامضي النيتريك والكبريتيك اللذين ينتجان على التوالي من عمليات كيميائية جوية قوامها ثاني أوكسيد الكبريت وأكاسيد النيتروجين التي تنطلق من المصانع ووسائل النقل. ويسهم الأوزون بدور كبير في تكوين المطر الحامضي، حيث يتفكك في وجود الأشعة فوق البنفسجية ليكون ذرة أوكسجين حرة تتفاعل مع بخار الماء لتكون جذر هيدروكسيل (hydroxyl radical) الذي يتفاعل بدوره مع ثاني أوكسيد الكبريت وثاني أوكسيد النيتروجين ليحولهما إلى حامضي الكبريتيك والنيتريك.

وقد أصبح المطر الحامضي مشكلة هامة في كل من أوربا وأمريكا الشمالية، وينسب إليه الكثير من الآثار الضارة بالبيئة، إذ يتسبب في تلف النباتات والتربة الزراعية وإفساد البحيرات والأنهار والمياه الجوفية، بالإضافة إلى مايلحقه من أضرار بالمباني والآثار والصحة العامة.

(ن)

نظام إعادة غاز العادم:

هو أحد النظم التي يمكن استخدامها للتقليل من نسبة الأوزون في الغلاف الجوي بطريقة غير مباشرة، حيث يعمل هذا النظام على تخفيف نسبة أكاسيد النيتروجين - التي تؤدي إلى تكوين الأوزون - الناتجة من احتراق الوقود في محركات السيارات والآلات.

ولما كانت أكاسيد النيتروجين تتكون بفعل اتحاد الأوكسجين والنيتروجين معا تحت درجات الحرارة العالية، فإنه بإعادة بعض غازات العادم إلى خليط الهواء والوقود الداخل إلى المحرك تقوم هذه الغازات بالتخفيف من شدة الحرارة المتكونة، الأمر الذي يؤدي إلى الحد من تكوين أكاسيد النيتروجين، وبالتالي تقليل معدل تكوين الأوزون في الغلاف الجوي.

(هـ)

إعلان هلسنكي

عقد في مدينة هلسنكي عاصمة فنلندا في الفترة مابين الثاني والرابع من مايو ١٩٨٩م الاجتماع الأول للدول الموقعة على بروتوكول مونتريال حول طبقة الأوزون. وقد أصدرت الدول المشاركة في هذا الاجتماع إعلانا دعت فيه جميع الدول التي لم تنضم بعد إلى اتفاقية فيينا وبروتوكول مونتريال إلى الانضمام إليهما. كما وافقت هذه الدول على الإنهاء التدريجي لإنتاج واستهلاك المواد الكلوروفلوروكربونية الخاضعة للرقابة بموجب بروتوكول مونتريال، على ألا يتأخر ذلك عن عام ٢٠٠٠م. ووافقت من أجل ذلك على اختصار الجدول الزمني المتفق عليه في بروتوكول مونتريال.

في أدب الرحلات


عبدالله بن حمد الحقيل

لقد استأثر أدب الرحلات باهتمام كبير من مفكري ومثقفي العالم قديما وحديثا، وعني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ، ويحرص كثير من الناس على الاهتمام بأدب الرحلات.

ومازالت رحلة ابن بطوطة مصدرا كبيرا من مصادر علمي التاريخ والجغرافيا في القرون الوسطى، حيث إنه أول من جاب الأقطار وكتب عن حياتها الاجتماعية والسياسية وأحوال الأمم وأسرارها وعاداتها وتقاليدها، وكشف عن الكثير من مخبآتها، ولقد كتب الكثيرون من المستشرقين والباحثين حول ذلك حيث أحلّوه المرتبة والمكانة اللائقة به. فهو رحالة واسع المعارف والمدارك راغب في اقتحام المخاطر والأهوال، ولقد وصف نفسه في رحلة إلى بلاد الهند ومشاهدة بعض العادات الغريبة قائلاً: "كدت أسقط عن فرسي لولا أن أصحابي تداركوني بالماء فغسلوا وجهي وانصرفت، حتى السحرة ذهبت لمشاهدتهم وعن ذلك يقول: لقد أصابني الخفقان ومرضت حتى أمر لي بشربة أذهبت ذلك عني.."

وهناك غيره كثيرون كالهمداني والأصمعي والبكري وياقوت وابن جبير وابن فضلان وغيرهم، حقيقة أن أدب الرحلات حافل بوصف أحوال الأمم وطبائع الشعوب وتصوير العادات والأعياد والتقاليد، وكم من أناس تعرضوا للضياع وألقوا بأنفسهم إلى التهلكة، خاصة مَنْ استهوتهم الرحلات في المحيطات والصحاري وتسلق الجبال وحب الاكتشافات. وفي عصرنا الحاضر تطورت وسائل المواصلات وأصبح السفر متعة ووسيلة مريحة لأنه وَفَّر على الرحالة والمسافر الكثير من المتاعب والجهد والمال فأصبح المرء يجد فائدة في الرحلات ومتعة في التجوال والاطلاع على مالدى الأمم والشعوب من حسنات ومزايا ومعارف ومعالم وآثار في أيام معدودة بل ساعات محدودة.

ويذكر المسعودي في رحلاته أشياء كثيرة ويروي في أسفاره الغرائب والعجائب وماتحف به من المخاطر والعقبات والصعاب وقد وصف أحد البحار قائلا: «لقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلزم واليمن وأصابني فيها من الأهوال مالا أحصيه كثرة، فلم أشاهد أهول من بحر الزنج وفيه السمك المعروف بأفال، وطول السمكة أربعمائة ذراع إلى خمسمائة ذراع بالذراع العمرية، وهي ذراع ذلك البحر، وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء في الجو أكثر من ممر السهم، والمراكب تفزع منه في الليل والنهار، وتضرب له الطبول لينفر من عند ذلك.." ويتحدث عن حركتي المد والجزر بوصف دقيق لطيف حيث يقول: "يضع عقبه في أقصى بحر الصين فيفور منه البحر فيكون المد، ثم يرفع عقبه من البحر فيرجع الماء إلى مركزه ويطلب قعره فيكون الجزر"، والمسعودي كمؤرخ ورحالة يجيد الوصف والسرد التاريخي.

إن ابن بطوطة (٧٠٣ - ٧٧٩هـ) يعتبر بحق أشهر الرحالين وله شهرة في عالم الرحلات والأسفار وحب التجوال، فقد دامت رحلته ثمانية وعشرين عاما، جاب في أثنائها شتى البلدان والأمصار والممالك، حيث انطلق من طنجة إلى إفريقيا ثم مصر وفلسطين وسورية والحجاز حيث أدى فريضة الحج، ثم تابع رحلته إلى العراق وفارس والهند والصين وبخارى وخوارزم وأفغانستان وسيلان والملايو وسومطرة وإسبانيا وجبل طارق، وغير ذلك مما جاء في كتابه المسمى «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار».

ورحم الله أسلافنا من الرحالة الذين كانوا ينشرون العلم والدين والمعارف والآداب والفضائل خلال رحلاتهم ومازالت آثارهم باقية خالدة في تاريخ الحضارة الإسلامية.

ولله در القائل:

سَفَرُ الفتى لممالك وديار
وتجّولٍ في سائر الأمصار
علمٌ ومعرفةٌ وفهمٌ واسع
وتجاربٌ وروايةُ الأخبار

قصة قصيرة:

المسرحية الكبرى



سراج حسين فتحي

ضجيج يصم الآذان.

العربات الفارهة ذوات الألوان المثيرة. نوافذها العاكسة كالمرآة. عيونها الكبيرة تضيء لها الطريق. الشارع واسع الأرجاء. يستلقي على جانبيه رصيف طويل. طويل جداً..

آلاف الأقدام تصطك على قارعة الرصيف. على أطرافه.

المسرح الكبير. بوابته الكبيرة.

تيار الجمهور يتدفق إلى الداخل، بعضهم يدفع البعض، وآخرون يمشون بانتظام. عيونهم معلقة بالسقف. ثريات كبيرة مشنوقة في هذا السقف. الكراسي كثيرة. ممتازة. مريحة!

عجيب أمر هذا الضجيج لايكاد يهدأ حتى يبدأ من جديد.!!

الجمهور إذا التأم شمله، إذا اكتمل حشده يبدأ في الفوضى. هذا يكلم رفيقه. وآخر ينادي على صديق له. وهذا بائع مرطبات. وآخر وآخر.

أوه. مكبر الصوت يرتفع منه نداء:

الرجاء الهدوء. المسرحية ستبدأ بعد قليل

يذوب الصوت في دوامة الضجيج. ويموت هذا الأخير إلى غير رجعة. ولكن بعد لأي الأنوار أطفئت. واهاً. الثريات الكبيرة ماتت أضواؤها البهيجة.

الأضواء الخافتة قتلت الظلام الدامس.

جو المكان استحال إلى شاعرية رائعة.!!

الجمهور يتطلع بشغف إلى المسرح. الستائر مسدلة. كبيرة جداً كالجفون الناعسة على عيني حسناء.!!

يهتز الستار. بدأ ينفرج. قليلاً قليلاً.

ثم دفعة واحدة.

المنظر رائع جميل.

غابة كثيفة معتمة. من بعيد يمتد خيط أزرق فاتح جداً، جدول صغير ينحدر عبر واد على طرف من الغابة.

أرضية الغابة أزاهير حلوة ألوانها.

بعض الصخور مرتمية عند أقدام الأشجار الضخمة.

الأضواء تزداد عتمة.

تبدأ المسرحية.

أحد الممثلين يظهر على خشبة المسرح. يلقي بجسمه على الأرض. ويستلقي على قفاه. يبدو أنه صياد. أدوات الصيد ملقاة على جانبه. يحاول النوم. لكنه لايستطيع. يحدث نفسه في صوت خافت أولاً. ثم يعلو صوته شيئاً فشيئاً فكأنما يسلي نفسه في عزلته هذه:

آه. طيلة النهار وأنا أسير. قدماي كادت الأرض تبليهما.

أوه هذا ظفري لقد انكسر. لايهم. الحياة هكذا. الصبر لابد منه وإلا فلن أعيش. الصيد في هذا المكان ليس أمراً سهلاً.

الصيادون ماأكثرهم، كل واحد منهم يريد لنفسه.

الويل لمن يسبق رفيقه. هيه. هيه.

يتلاشى صوته. يتظاهر بالنوم عند سماعه وقع أقدام تخطو نحوه.

صياد آخر، يبدو أكثر قوة وصلابة.

"يسلط الضوء على وجهه فيبدو وجهه صارماً شرساً"

الجمهور يصفق. ويصفق. الجميع يعرفونه. ممثل مشهور.

يركل رفيقه ليتأكد إن كان نائماً.

النائم لايحرك ساكناً.

وأخيراً يلقي بجسمه على صخرة قريبة منه. يتكيء على طرف منها. ثم يخرج من جعبته بعض السهام المدماة. وينظر إليها ثم يتنهد قائلا:

آه. لكم تعبت من أجل هذا الوعل الصغير. منظره وهو يقفز مع رفاقه ماأجمله.!

لقد جذبني إليه منظره الرائع. لكنني أرديته قتيلاً. أوه نقاط بيضاء على جلده البني. ماأجمله. ماألذ لحمه الطري.!!



فجأة يفيق الصياد الأول ويجلس إلى جوار رفيقه. ومن غير تحية يقول له في غيظ:

ألا ماأكذبك.

أنت اصطدت هذا الوعل؟!

عجيب أمرك. هل نسيت أنك لاتجيد الرماية؟

يرد عليه رفيقه في دهشة واستياء:

أنا. أنا لاأجيد الرماية؟

إذن لماذا أحمل هذه السهام. بل لماذا أجوب الغابات والأدغال. وهذه قدماي تشهدان على ذلك.!!

كاذب. مخادع. هه هه. بالطبع أنت ماهر. ماهر في حمل السهام حتى توهم نفسك بأنك صياد. ولكنك لاتعرف شيئا في الحقيقة.!

يصرخ الآخر في وجه رفيقه قائلا:

خسئت. أنا أتحداك ياهذا. هل تستطيع التحدي. بالقوة بدلاً عن الكلام. هيا شمر عن ساعديك.

(يقفان أمام بعضهما وكلاهما يكشر عن أنيابه متوثبان للانقضاض على بعضهما. وتبدأ المعركة بينهما. وإذ هما يتقاتلان يهرب الوعل الصغير الذي لم يكن قد فارق الحياة فعلاً. فينتبهان ويلتفتان. ثم يركضان نحو الوعل الهارب)

تنطفيء الأضواء لحظة. ثم تعود ثانية ويظهران. وكلاهما يجر بطرف من الوعل إليه.

كل واحد منهما يريده لنفسه. والوعل يحاول الفكاك منهما. لكن لافائدة. القبضتان قويتان.

أثناء المعركة يظهر صياد ثالث. أصغر سناً، أقل قوة. يجري نحوهما. ويقول في هدوء:

لا. لن تتقاتلا هكذا ليهرب منكما. سأحكم بينكما. هل تقبلان؟

يتحولان إليه بنظرهما وقد هدأت الحدة قليلاً.

يقول أحدهما للثالث:

كم أنت أبله. نحن لانتقاتل حقيقة!

إذن لماذا هذه الرماح في أيديكما. وهذه الأخرى لماذا تشدان على الوعل الصغير المسكين؟

يقولان في صوت واحد:

أنت أحمق.!!

نحن نقضي الوقت هكذا حتى لانمل الحياة هنا. ألا ترى كم هي الحياة ساكنة ومملة. ثم ألا ترى كم هو ممتع هذا القتال؟

يقول أحدهما في هدوء:

ثم هل ترى شيئا من دمائنا تسيل على الأرض لو كنا نتقاتل حقيقة لرأيت أحدنا أو كلانا مصاباً أو مقتولاً. ولكن.

يقول الثالث:

ولكنكما تميتان الوعل الصغير لتستمتعا بوقتكما!

وفي صوت واحد يقول الاثنان:

ليس تماماً. نحن لانريد قتله.

إذن ماالذي تريدانه؟

يقول أحدهما في هدوء:

أيها الغبي. لو قتلناه فكيف سنقضي بقية الوقت؟

يقول الثالث مستهزئاً:

الوعول غيره كثيرة.!

يقول الأول:

ولكنها ليست مثله. صغير. طري. جميل!!

الثالث في دهشة:

ها. حقاً. كم أنا غبي. أحمق. هل.

يقاطعه الثاني:

لا. لاتكمل. نحن نقبل. هيا بنا.

شمر عن ساعديك. هيا.

يقهقه الثلاثة ويشد كل واحد منهم بطرف من الوعل الذي يتألم. ولكن.

(الجمهور يصفق. ويصفق بشدة.)

أحد الثلاثة يقول لرفيقيه في صوت خافت:

ماأحمق هذا الجمهور. يصفق على هذه التفاهة!

يرد عليه أحد رفيقيه ضاحكاً:

رغم أنه يعلم أن مانفعله تمثيل في تمثيل.

(يضحك الجمهور ويصفق).

ثم يقول الثالث:

فهذا الوعل دمية وليس حقيقي.

والجمهور يعرف هذا. ولكنه مسكين يحاول أن يصدق شيئا يعرف أنه غير حقيقي!!

ثم يُسْدَل الستار. وتُضاء الثريات الكبيرة.

ويصفق الجمهور. ويعود الضجيج.



أسبوع ثقافي خليجي في جامعة الكويت

مؤتمر للأدباء العرب في المغرب

معرض للمؤلفات النادرة عن الجزيرة العربية

ندوة عن استراتيجية التعليم في الوطن العربي

معرض للمخطوطات في باريس

السعودية

الجنادرية تكرم الجاسر وتبحث الهوية في عالم متغير

اختتمت مجموعة برنامج العمل الثقافي المكلفة بمناقشة برامج المهرجان الوطني العاشر للتراث والثقافة (الجنادرية) اجتماعها الثاني بوضع تصورات لمحتوى البرامج الثقافية.

شارك في الاجتماع ٢٨ مثقفًا وأكاديميًا، وافتتحه الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري نائب رئيس الحرس الوطني المساعد نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبد العزيز نائب رئيس الحرس الوطني ورئيس اللجنة العليا للمهرجان.


عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري

وتم الاتفاق على أن يطرح سنويًا محور للأدب السعودي، وسيكون الشعر السعودي محور العام الحالي، كما سيتم تكريم علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر، ليكون أول شخصية ثقافية سعودية تُكرّم في المهرجان، حيث يتوالى في الأعوام المقبلة تكريم شخصيات أخرى.

وتقرر إقامة أربع ندوات، اثنتان منها صباحيتان، والأخريان مسائيتان، وستكون الندوة الرئيسة عن المتغيرات الجديدة التي يفرضها علينا الوضع العالمي الراهن وانعكاساتها على الخطاب العربي والهوية العربية، كما ستقام عدة محاضرات منها محاضرة عن المسلمين والغرب، وأخرى عن واقع الحسبة على ضوء المنهج الشرعي.

ووجه المشاركون في اللقاء في نهاية اجتماعاتهم التي استمرت يومين شكرهم لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني، والأمير بدر بن عبد العزيز، نائب رئيس الحرس الوطني ورئيس الهيئة العليا للمهرجان.

المسابقة المحلية لتلاوة القرآن الكريم وتجويده

تقام المسابقة المحلية السابعة عشرة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره خلال الفترة من ٢٢-٢٦ رجب الجاري في مدينة الرياض.

تنقسم المسابقة إلى خمسة فروع: الأول حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التجويد والترتيل وتفسير الجزء الرابع عشر منه باللغة العربية والتقيد بأحكام القراءات وأصولها، والتزام الرواية التي يختارها المتسابق، ويتضمن الفرع الثاني حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التلاوة والتجويد، فيما يطلب من المتسابق في الفرع الثالث حفظ عشرين جزءًا من القرآن الكريم مع التلاوة والتجويد، وفي الفرع الرابع حفظ عشرة أجزاء مع التلاوة والتجويد، وفي الفرع الخامس حفظ خمسة أجزاء مع حسن الصوت والتلاوة والتجويد.

يشترط أن يكون المتسابق سعودي الجنسية، ولايزيد عمره عن ٢٥ عامًا، ولايحق لمن مثلوا المملكة في المسابقات الدولية السابقة التي أقامتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف المشاركة، وكذلك بالنسبة لمن شاركوا في المسابقات المحلية عدا المشاركين في الفرعين الأولين ولم يوفقوا،

حيث يحق لهم المشاركة مرة أخرى في أحد الفرعين.

تنظم المسابقة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بغرض اختيار خمسة متسابقين ليمثلوا المملكة في المسابقة الدولية السابعة عشرة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده التي تقيمها الوزارة في مكة المكرمة خلال الفترة من ١٣ إلى ٢١ شوال ١٤١٥هـ.

معرض للمؤلفات النادرة عن المملكة والجزيرة العربية

تنظم مكتبة الملك عبد العزيز العامة في الرياض معرضًا للمؤلفات النادرة عن المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية في نهاية العام الحالي، بمشاركة الأفراد والجهات التي تملك كتبًا في هذ المجال.

يواكب المعرض تنظيم ندوة علمية تتناول مفهوم المؤلفات النادرة وتحلل بعضها، إضافة إلى إعداد كتاب عن موضوع الكتب النادرة يشارك فيه الباحثون المهتمون بهذا الموضوع، الذين وجهت إليهم إدارة المكتبة دعوة عامة للإسهام بجهودهم في هذا المجال وفقًا للضوابط التي حددتها.

ندوة تبحث ظاهرة الضعف اللغوي

تنظم كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ندوة بعنوان «ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية» خلال الفترة من ١٥ إلى ١٧ رجب ١٤١٥هـ.

ترمي الندوة إلى بحث أسباب الضعف اللغوي ومظاهره في المرحلة الجامعية، وإيجاد الحلول المناسبة لعلاجه، وذلك عبر مناقشة محورين رئيسين: الأول: «الضعف اللغوي في المحيط الجامعي.. مظاهره وأسبابه الداخلية وعلاجه»، والثاني «عوامل الضعف اللغوي من خارج الجامعة وعلاجها».

افتتاح جامع الملك فهد

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ورئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض في منتصف شهر جمادى الأولى الماضي جامع الملك فهد بن عبد العزيز.

يتسع الجامع لنحو ألف مصل، وتكلف قرابة خمسة عشر مليون ريال، وملحق به مكتبة ومسكن للإمام وآخر للمؤذن.

وكان خادم الحرمين الشريفين قد أمر بإعادة تعمير الجامع الذي يعد من أقدم جوامع حي الملز بمدينة الرياض، وبُدئ العمل في إعادة بنائه في جمادى الأولى ١٤١٣هـ.

فيلم عن أركان الحج بعشرين لغة

أعدت وزارتا الحج والإعلام فيلمًا إعلاميًا عن «أركان الحج» يقدم شرحًا للحج ومناسكه، وما يجب على الحاج القيام به، كما يتناول جهود حكومة خادم الحرمين الشريفين في خدمة ضيوف الرحمن.

قام بإخراج الفيلم مخرج عالمي مسلم بريطاني الجنسية سعودي الأصل، وأُعد ليتم ترجمته إلى عشرين لغة عالمية، كي يتم توزيعه على مختلف بلدان العالم.

معرض تشكيلي فرنسي

استضافت قاعة معرض سهوب للفنون الجميلة في الرياض - مؤخرًا - معرضًا للفنانين التشكيليين الفرنسيين.

ضم المعرض ثمانين لوحة بريشة ١٨ من كبار فناني فرنسا التشكيليين تتجاوز قيمتها أكثر من عشرة ملايين ريال سعودي.

كتب جديدة

«الغطاء النباتي الطبيعي في الإقليم الجنوبي الغربي» تأليف فريدة قدح، صدر عن نادي أبها الأدبي.

«ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب الجاحظ» تأليف د. رشيدة عبد الحميد اللقاني.

«قوانين المقاطعة العربية لإسرائيل» تأليف د. محمد عبد الحميد عبد الغني.

«التصوير الضوئي في التعليم» تأليف د.مصطفى محمد فلاتة.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود.

«كيف تحفظ القرآن الكريم؟» ط٣ تأليف د. عبد الرب نوّاب الدين آل نواب، صدر عن مكتبة العاصمة.

الإمارات

معرض الشارقة للكتاب

شاركت خمسمائة دار نشر تمثل ٣٥ بلدًا عربيًا وأجنبيًا في معرض الشارقة الثالث عشر للكتاب، الذي تنظمه دائرة الثقافة والإعلام.

وتميز معرض هذا العام الذي اختتم في الثامن من شهر جمادى الآخرة المنصرم بتنوع الكتب وأعدادها المتزايدة، حيث وصل المعروض إلى قرابة ٨٥ ألف عنوان، نسبة كبيرة منها تعرض للمرة الأولى. وأصدرت دائرة الثقافة والإعلام فهرسًا مبوبًا للكتب المعروضة تسهيلاً على الزائرين في اختيار مايريدونه.

أيام كازنتزاكيس الثقافية

نظم المجمع الثقافي بأبو ظبي بالتعاون مع السفارة اليونانية ندوة احتفالية بأدب الكاتب

اليوناني العالمي نيكوس كازنتزاكيس تحت عنوان «أيام كازنتزاكيس الثقافية».

شارك في الندوة بدراساتهم كل من: أحمد عثمان، سلوى رشاد، محمد علي اليوسفي، حاتم أحمد، إبراهيم المصري، حيث ناقشوا أبعاد أدب كازنتزاكيس، وردود الأفعال التي لاقتها أعماله أو أثارتها، والجوانب المأساوية في شخصيته وإبداعاته المختلفة من شعر وقصة ورواية، وبخاصة روايته الشهيرة «زوربا».

برنامج عمل لبعثات التنقيب

أعدت إدارة المتاحف والآثار التابعة لدائرة الثقافة والإعلام في الشارقة برنامج عمل للبعثات العلمية في مجال التنقيب عن الآثار في الإمارة.

ينظم البرنامج عمل هذه البعثات - المحلية والأجنبية - لمدة تصل إلى خمس سنوات، وفقًا لمواعيد محددة.

معرض للمنحوتات الزجاجية التشيكية

نظمت مؤسسة الثقافة والفنون في المجمع الثقافي بأبو ظبي - مؤخرًا - معرضًا للمنحوتات الزجاجية التشكيلية.

أقيم المعرض بالتعاون مع السفارة التشيكية وضم ١٣٠ تحفة قدمها نحو ٢٩ فنانًا.

سلطنة عمان

التراث العماني في ندوة علمية

تنظم لجنة تنسيق عام التراث العماني بجامعة السلطان قابوس ندوة علمية حول التراث العماني بمختلف صوره وفروعه وموضوعاته خلال الفترة من ١ إلى ٣ رجب ١٤١٥هـ (٣ - ٥ ديسمبر ١٩٩٥م).

تناقش الندوة أربعة محاور رئيسة هي: آثار عمان وتاريخها في العصور المختلفة، والتراث الإسلامي والعربي والمخطوطات والوثائق العمانية، والمأثورات الشعبية من واقع البيئة العمانية، والفنون والصناعات العمانية.

أسبوع ثقافي عماني - فرنسي

استضاف المتحف العماني الفرنسي في مسقط أسبوعًا ثقافيًا عمانيًا فرنسيًا في إطار احتفال عمان بعام التراث ومرور قرن على تبادل العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

تضمن الأسبوع معرضًا ثقافيًا يصور العلاقات بين البلدين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، وندوة بعنوان «لمحات تاريخية وثقافية عن عمان وفرنسا»، كما عرضت الآثار التي اكتشفتها بعثة أثرية فرنسية وقامت الفرقاطة الفرنسية «كومندان بوري» بزيارة لموانئ مسقط.

قطر

ندوة صحافة الطفل المسلم

أقيمت - مؤخرًا - في الدوحة ندوة ثقافية حول «صحافة الطفل في العالم الإسلامي» بمشاركة خبراء ومتخصصين في صحافة الطفل من قطر والسعودية ومصر والإمارات وسورية والمغرب وتونس وليبيا.

هدفت الندوة إلى تحديد خصائص صحافة الطفل ومتطلباتها بما يمكنها من الإسهام في تنشئة الطفل المسلم وتقوية اعتزازه بالانتماء الحضاري الإسلامي، وتحصينه ضد عوامل الانحراف، حيث بحثت الموضوعات السابقة وموضوعات أخرى تهم صحافة الطفل واتجاهاتها المعاصرة في العالم الإسلامي، من أبرزها الدور التربوي لصحافة الطفل، ودورها في تكريس هويته الثقافية، وتعزيز قطاع صحافة الطفل في العالم الإسلامي وتطويره، والوسائل التي يمكن بواسطتها تخطي المشكلات المهنية والحالية لإيجاد صحافة للطفل في العالم الإسلامي.

الكويت

أسبوع ثقافي خليجي

يقام الأسبوع الثقافي الثاني لجامعات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية خلال شهر مايو ١٩٩٥م في جامعة الكويت.

وكانت جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران قد استضافت الأسبوع الأول خلال شهر ذي القعدة ١٤١٤هـ الماضي.

والمعروف أن الأسبوع يقام دوريًا كُل عامين، وتستضيفه إحدى جامعات الدول الأعضاء.

كتب جديدة

«مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي» تأليف د. حسن محمد وجيه،

تقديم مصطفى الفقي، صدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

مصر

مجلة بلا كلمات للطفل العربي

صدر - مؤخراً - عن المركز القومي لثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة العدد الأول التجريبي من مجلة «تمر» الموجهة للأطفال ما بين سن ٤ - ٦ سنوات.

تعد «تمر» تجربة جديدة في مجال صحافة الطفل، حيث تعتمد الرسوم التشكيلية المحببة للطفل بديلاً للكلمات، وقدم الفنان عدلي رزق الله نصر مُعدّ المجلة فيها مجموعة من الرسومات والألعاب المستوحاة من بيئة الطفل العربي، وتميزت بتعريفات لبعض الأشكال والنباتات والحيوانات، ومحاولة إشراك الطفل في تكملة الرسومات الناقصة للمزاوجة بين إمتاعه وتعليمه وترويض ذوقه الفني.

والمعروف أن الهيئة المصرية العامة للكتاب تعد حاليا لإصدار جريدة للطفل.

تكريم علي شلش

تكريماً للناقد الراحل د. علي شلش تقوم الهيئة المصرية العامة للكتاب بإصدار الأعمال الكاملة له، التي تصل إلى قرابة خمسين كتاباً في القصة والمسرح والرواية والنقد والترجمة.

كما يصدر عن هيئة قصور الثقافة كتاب لشقيقه عبد الرحمن شلش بعنوان «علي شلش: الحاضر الغائب» جمع فيه الآراء والتعليقات التي تناولت الأديب والناقد الراحل، بأقلام مجموعة من النقاد والمفكرين والمبدعين العرب.

والمعروف أن علي شلش - رحمه الله - كان أحد كُتّاب «الفيصل» الدائمين، وله مقالة في هذا العدد بعنوان «دعه يلعب» وهي من المقالات التي خص بها الكاتب «الفيصل» قبل وفاته.

موسوعة «العالم بين يديك»

صدرت عن الهيئة العامة للاستعلامات موسوعة جديدة بعنوان «العالم بين يديك».

تتناول الموسوعة قارات العالم المختلفة برصد دقيق لمقوماتها البشرية والطبيعية، ودولها، ولغاتها، وسكانها، ونظم حكمها، ودياناتها، وثقافاتها، وحضاراتها، وغير ذلك من المعلومات.

مسابقة القصة والحرب

تنظم مجلة «النصر» التابعة للقوات المسلحة ، وصحيفة «أخبار الأدب» الأسبوعية مسابقة للقصة القصيرة تحت عنوان «القصة والحرب» بمناسبة الذكرى الحادية والعشرين لانتصار أكتوبر.

يشترط في الأعمال المقدمة للمسابقة أن تستوحي البطولات الفذة في ميادين القتال أو المشاعر الإنسانية لتداعيات الحرب والمواجهة، أو الروح المصرية في الجبهة الداخلية أثناء الحرب، وألا يزيد العمل المقدم على أربعة آلاف كلمة، مكتوباً على الآلة الكاتبة من أصل وصورتين، مع إرفاق كوبون الاشتراك المنشور في مجلة «النصر» أو صحيفة «أخبار الأدب» وأن يصل العمل في موعد غايته شهر يناير ١٩٩٥م.

ويسمح للمتسابقين بالاشتراك بأكثر من عمل، على أن يكون العمل المقدم جديداً لم يسبق نشره أو إذاعته.

وخصصت القوات المسلحة خمسة عشر ألف جنيه مصري لتقديمها جوائز لعشرين فائزاً من المتسابقين.

تسليم جائزة علي وعثمان حافظ الصحافية

استضافت القاهرة - مؤخراً - حفل توزيع جائزة علي وعثمان حافظ الصحفية بمشاركة مجموعة من المثقفين والمفكرين والصحافيين العرب.

وقام الناشر هشام علي حافظ بتسليم الفائزين جوائزهم وهم: د. أحمد كمال أبو المجد (مفكر العام)، عبد الرحمن الراشد (العمود الصحفي)، عوني بشير (المقالة)، فاطمة الصاعدي ووحيد جميل الحموي (التحقيق الصحفي)، عبد اللطيف المناوي (الحوار)، وعبد الوهاب العوضي (الكاريكاتير) وتحددت غرة رمضان ١٤١٥هـ (٣١ يناير ١٩٩٥م) موعداً نهائياً لاستقبال الترشيحات للجائزة في فروعها المختلفة لعام ١٩٩٤م.

وفاة عفت ناجي

توفيت - مؤخراً - الفنانة التشكيلية عفت ناجي عن عمر يناهز ٨٩ عاماً.

والفنانة الراحلة من أسرة عُرفت بالميول التشكيلية فزوجها سعد الخادم، وشقيقها الأكبر الفنان محمد ناجي، وهو الذي شجعها على إشباع هوايتها والالتحاق بكلية الفنون الجميلة في روما، التي تحصلت فيها على تعليمها الأكاديمي، ثم عادت إلى مصر لتستلهم البيئات الشعبية بالإسكندرية في لوحاتها.

وهي حاصلة على عدة جوائز من بينالي الإسكندرية والجائزة الثانية لبينالي البندقية في إيطاليا عام ١٩٥٥م.

ثقافة البحر المتوسط

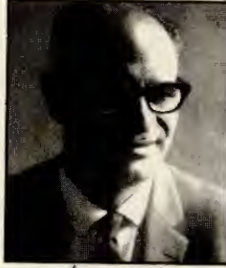
تستضيف القاهرة «مؤتمر تبادل الثقافات في البحر المتوسط» في دورته الثالثة خلال العام الميلادي ١٩٩٦م.

يقام المؤتمر بالتناوب في كل من مصر وإيطاليا والمغرب بإشراف اليونسكو، ويناقش عددًا من القضايا ذات الصبغة الثقافية تهم بلدان البحر المتوسط.

ندوة عن استراتيجية التعليم في الوطن العربي

ينظم اتحاد المعلمين العرب ندوة علمية في القاهرة حول موضوع «استراتيجية التعليم في الوطن العربي في ضوء تحديات القرن الحادي والعشرين الميلادي» خلال الفترة من ٨ إلى ١٢ رجب الجاري (١٠ - ١٤ ديسمبر ١٩٩٤م).

وصرح مقرر الندوة د. أبو صالح أحمد الألفي أن الندوة سوف تناقش سبعة محاور هي: الوضع الراهن لاستراتيجية التعليم (دراسة تحليلية تقويمية)، المتغيرات التي يشهدها العالم في الوقت الحاضر وأثرها في تشكيل مستقبل التعليم في الوطن العربي، أسس استراتيجية لمستقبل التعليم في الوطن العربي، وهناك أربعة محاور تتعلق بمكونات استراتيجية التعليم في الوطن العربي وهي: المعلم، المناهج، الإدارة التعليمية، واقتصاديات التعليم.


د. أبو صالح الألفي

حرب إعلامية بين الصحف بسبب «أولاد حارتنا»

أدت محاولة اغتيال الكاتب الروائي نجيب محفوظ إلى اندلاع حرب إعلامية بين الصحف المصرية، التي تسابقت إلى نشر روايته المحظورة «أولاد حارتنا».

كانت صحيفة «الأهالي» ذات الاتجاه اليساري، الأسبق إلى نشر الرواية مسلسلة، واتبعتها صحيفة «المساء» وأخذت دار«أخبار اليوم» أهبتها لنشر الرواية كاملة، إلا أن صحيفة «الأهرام» طالعت قراءها برسالة من نجيب محفوظ نشرتها في صدر صفحتها الأولى تعطيها - دون غيرها - الحق في نشر الرواية في وقت لاحق باتفاق مشترك.

ينتظر أن تشهد الأيام المقبلة إن لم يحدث اتفاق بين تلك الصحف انتقال الحرب إلى ساحة القضاء لتقرير أي صحيفة يحق لها الانفراد بنشر الرواية.

وفاة الشيخ عبد العزيز عيسى

ودع الأزهر علمًا من أعلامه بوفاة فضيلة الشيخ عبد العزيز محمد عيسى وزير شؤون الأزهر الأسبق، الذي وافته المنية في نهاية شهر

محاضرات وندوات

«المنظور الحضاري للشعر الأندلسي» عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي د. عبدالله المعطاني.

«الأدب الإسلامي» موضوع أمسية أقامها نادي المدينة المنورة الأدبي لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي.

«الجودة النوعية في الرعاية الصحية» عنوان محاضرة ألقاها في الكلية الصحية بالدمام د. ديف هاران.

«هيكل الاقتصاد السعودي» عنوان محاضرة ألقاها في مركز الدراسات العربية الأوربية في باريس د. عبدالعزيز داغستاني.

«جيل الرواد وأثره في رفع الحركة الفنية التشكيلية» عنوان ندوة نظمها مقر ثقافة الوادي الجديد في مصر للفنان التشكيلي مصطفى عبيد.

«أقيمت في دار الندوة في بيروت ندوة تكريمية للشاعر الفلسطيني الراحل توفيق زياد، شارك فيها: صقر أبو فخر، إلياس خوري، وسهيل سلمان.

نظم المركز الثقافي العربي في دمشق أمسية شعرية للشاعر القطري علي بن سعود آل ثاني.

«المشروع الصناعي: من الفكرة إلى الانتاج» عنوان محاضرة ألقاها في الغرفة التجارية الصناعية بالرياض د. عبدالله حمد المعجل.

«حديث في فقه الدعوة» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الملك خالد في أم الحمام بالرياض د. صالح عبدالله الحميد.

«تباين الأنماط العمرانية التقليدية في المملكة العربية السعودية» عنوان محاضرة ألقاها في مقر الجمعية السعودية لعلوم العمران د. محمد عبدالرحمن الحصين.

«الديموقراطية النبوية» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي العربي في دمشق د. مهدي دخل الله.

«ذكريات شخصية واجتماعية في بغداد» عنوان أمسية نظمها ديوان الكوفة في لندن، تحدث فيها مير بصري.

«مستقبل شركات توظيف الأموال المصرية» عنوان ندوة نظمتها كلية

جمادى الأولى الماضي عن عمر يناهز ٨٥ عامًا.

وُلد الفقيد عام ١٩٠٩م، وكان والده من علماء القراءات فحفَّظه القرآن الكريم صغيرًا، والتحق بالأزهر للدراسة فأظهر نبوغًا حيث أتم المرحلتين الأوليين في خمس سنوات بدلاً من تسع، ونال شهادة إجازة التدريس من كبار شيوخ الأزهر وهو دون العشرين، مما جعله أستاذًا لشيوخ يقاربونه في السن أو يصغرونه بقليل مثل فضيلة الشيخ متولي الشعراوي، وفضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر الحالي، وغيرهما.

وكان - يرحمه الله - عضوًا في لجنة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وتميز بعلمه الغزير إلا أنه لم يترك مؤلفات مطبوعة سوى رسالة في الحج والعمرة طبعت باللغتين العربية والإنجليزية، وكان يوزعها مجانًا، وكان حين يُسأل عن سر عزوفه عن التأليف يشير إلى مؤلفات العلماء الكبار في مكتبته ويقول: إنني أستحي أن أضع نفسي إلى جوار هؤلاء، ويا ليتنا نستوعب ماخلفوه لنا وهو كثير كثير.

رحيل شيخ شعراء الإسكندرية

توفى الشاعر محمد برهام الملقب بشيخ شعراء الإسكندرية صاحب ديواني (الشموع)، (القيثار).

وهو من مواليد عام ١٩٠٤م في محافظة دمياط، وقد تلقى تعليمه بالأزهر الشريف، وتخرج في مدرسة دار العلوم العليا وعمل بالتدريس، وتدرج في مناصب التعليم إلى أن أحيل إلى المعاش عام ١٩٦٩م. وقد كان عضوا بمجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين بالشاطبي بالإسكندرية وقدم نشاطا ثقافيا كبيرًا من خلالها. وعين مستشارًا ثقافيا لشركة الإسمنت لمدة خمس سنوات بعد إحالته إلى المعاش.

وتفرغ للشعر بقية حياته واستقر في الثغر ولقب بشيخ شعراء الإسكندرية بعد أن كان يطلق عليه شاعر الأهرام لاهتمام جريدة الأهرام بنشر قصائده في صفحتها الأولى، وشاعر دار العلوم.

ربطته صلات حميمة وواسعة بكثير من أدباء مصر والعالم العربي، ونشر في كثير من الصحف والمجلات الأدبية بالمملكة العربية السعودية ومصر وغيرهما.

اشتهر برهام في شعره بروح الدعابة والمرح وكتب إلى جانب القصيدة، المسرحية، كما كتب للأطفال، وكتب القصة التي نال عنها جوائز الأندية الأدبية في المملكة.

يتسم شعره أيضا بالحرص الشديد على فصاحة اللغة العربية بسبب نشأته وطبيعة دراسته بالأزهر ودار العلوم.

وقد كتب كثيرا عن الإسكندرية التي قضى أغلب سنوات عمره فيها، منذ وفد إليها عام ١٩٦٣م ولم يفارقها حتى وفاته.

كتب جديدة

«الأرض في الميزان» تأليف آل جور، ترجمته إلى العربية د. عواطف عبد الجليل، وصدر عن مؤسسة الأهرام.

الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة، وشارك فيها عدد من الأكاديميين والاقتصاديين.

«مصر والمصريون» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي المصري في لندن محمود السعدني.

ألقى د. راشد الراجح الشريف محاضرة في نادي الطلبة السعوديين المبتعثين بمدينة كاردف البريطانية عن «الغربة والابتعاث وتقوى الله».

«الأبعاد الاجتماعية للتنمية في المملكة» عنوان محاضرة ألقاها في نادي الشرقية الأدبي د. إبراهيم العواجي.

«القصة السعودية إلى أين؟» عنوان محاضرة ألقتها في مؤسسة عبد الحميد شومان الثقافية في عمان بالأردن جمانة طه.

«الإسلام وأهميته في حياة الإنسان» عنوان محاضرة ألقاها في مديرية الشؤون الصحية بالأحساء الشيخ ناجي العرفج.

«الاتصالات المكتبية» و«نظام الإدارة المدعم بواسطة الكمبيوتر للمديرين» موضوعا محاضرتين ألقاهما في مكتبة الأسد بدمشق البروفسور وولف كانك أور.

«العرب والحيرة بين الانفتاح على الغزو الثقافي العلمي التقني والانغلاق على الموروث» موضوع محاضرة ألقاها في النادي العربي الفلسطيني بحلب د. إسماعيل شعبان.

«مصر المستقبل» عنوان محاضرة ألقاها د. مصطفى الفقي بدعوة من المستشارية الثقافية في السفارة المصرية بلندن.

«الإسلام والسياسة» موضوع ندوة نظمتها رابطة الأكاديميين والباحثين السودانيين في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية في لندن، شارك فيها عدد من الأكاديميين.

«كيف تدرس العقيدة؟» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الخليل عليه السلام في الدمام د. عبد الرحمن المحمود.

«الاهتمام بالسنة النبوية» عنوان محاضرة ألقاها في بيت الشباب بمدينة الأمير عبدالعزيز بن مساعد الرياضية في حائل، الشيخ أحمد العتيق.

الحركة الثقافية في شهر

«مفكرون لكل العصور» **تأليف فتحي العشري، صدر عن الدار المصرية اللبنانية.**

«بديع القرآن» تأليف ابن أبي الإصبع، حققه حفني محمد شرف، وصدر عن دار نهضة مصر.

«عشرون اغتيالاً غيرت العالم» تأليف لي ديفيز، ترجمه إلى العربية حسن صبري، وصدر عن الدار المصرية للنشر والتوزيع.

«أمريكا أرض العجائب» تأليف أحمد عبد اللطيف أحمد، صدر عن دار النصر للطباعة الإسلامية.

«إبراهيم عبد القادر المازني» تأليف د. عبد البديع عبد الله، صدر ضمن سلسلة نقاد الأدب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.


حسن عبد الله القرشي

«عندما يترجل الفرسان» ديوان لحسن عبد الله القرشي، صدر عن دار المعارف.

العراق

آثار إسلامية في البصرة

عثر - مؤخرًا - في مدينة البصرة على مجموعة مهمة من الأواني والفخار تعود إلى القرنين الثاني والثالث للهجرة، ومسكوكات نحاسية تعود إلى العصر العباسي الأول.

ضمت المكتشفات جرارًا فخارية مختلفة الأحجام، قسم منها مزخرف والآخر مطعم بالزجاج، أما المسكوكات فمنها ما ضرب في البصرة عام ١٣٦هـ وعام ١٨٠هـ ومنها ما ضرب في مدينة السلام (بغداد) عام ١٥٧هـ.

سورية

كتب جديدة

«التصوير بين حاجة العصر وضوابط الشريعة» تأليف محمد توفيق رمضان البوطي، صدر عن مكتبة الفارابي.

«سامية» رواية للدكتورة عالية محمد صادق، صدرت عن دار المودة.

«طرق في الرواية» تأليف جون برجز، ترجمة رضا حسحس، صدر عن وزارة الثقافة.

«مداد التاريخ وخطاب الرواية العربية»، تأليف مفيدة الزريبي صدر عن دار الأهالي.

«اللؤلؤة» رواية لنبيل بلوكباش، صدرت عن دار كندة للنشر.

«للمرأة لغة أخرى» مجموعة شعرية لفاديا غيبور.

«تحولات عازف الناي» مسرحية للدكتور علي عقلة عرسان.

صدر الكتابان السابقان عن اتحاد الكتاب العرب

«أدب الصنّاع وأرباب الحرف حتى القرن العاشر الهجري» تأليف د. محمود سالم محمد.

«زوابع وأصداء وراء كتاب الجهاد في الإسلام» تأليف د. محمد سعيد رمضان البوطي.

صدر الكتابان السابقان عن دار الفكر

فلسطين

اكتشاف «ألواح اللعنة» الرومانية

اكتشف خمسون لوحًا مخطوطا بالرصاص كان يستخدمها الرومان في لعن أعدائهم في بئر محفورة بأحد قصور الملك هيرودوس على ساحل فلسطين شمال تل أبيب، في المنطقة التي كانت تسمى في العصر الروماني القيصرية البحرية.

تعود «ألواح اللعنة» المكتشفة إلى ما قبل نحو ألف وخمسمائة عام، وهي مكتوبة باللغة اليونانية .

وفاة مفتي القدس

توفي - مؤخراً - مفتي القدس فضيلة الشيخ سليمان الجعبري عن عمر يناهز ٨٠ عامًا أثر مرض في مستشفى عين كارم بالقدس.

وكان الشيخ الجعبري قد تولى الافتاء في القدس خلفا للشيخ سعد الدين العلمي - يرحمهما الله - في العام الماضي.

لبنان

مهرجان بشارة الخوري يستأنف نشاطاته


بشارة الخوري

يستأنف مهرجان بشارة الخوري أعماله في لبنان بعد توقف دام ٢١ عامًا بسب الحرب الأهلية، حيث تقام دورته

الرابعة عشرة خلال الفترة من ٢٢ رجب إلى ١١ شعبان الجاري (٢٤ ديسمبر ١٩٩٤م - ٢١ يناير ١٩٩٥م).

يتم خلال الدورة تكريم بعض الشعراء والأدباء والنقاد العرب وهم: عباس محمود العقاد، د. طه حسين، محمود سامي البارودي، خليل مطران، جبران خليل جبران، محمد الفاهوتي، د. أحمد الوليد، وأدونيس.

وتقام على هامش المهرجان عشر ندوات حول التحديات التي تواجه الإبداع العربي الراهن، يشترك فيها د. أبو الوفا عبد الله، وأحمد سلام، ومحمد أنور سليم، إضافة إلى عروض سينمائية ومسرحية.

وفاة سربيه

توفي الصحافي محمد بديع سربيه عن عمر يناهز ٦٤ عامًا.

بدأ الفقيد عمله في الصحافة في سن الثامنة عشرة حيث عمل في جريدتي «بيروت» و«بيروت المساء»، كما راسل صحف مؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة، وفي عام ١٩٥٣م أصدر «مجلة الموعد» الفنية، التي بدأت نصف شهرية ثم تحولت إلى مجلة أسبوعية، وفي عام ١٩٥٤م اشترى المجلة السياسية الأسبوعية «كل شيء»، وتابع إصدارها حتى مطلع الحرب الأهلية اللبنانية، وأصدر مع مطلع الثمانينيات الميلادية مجلة «نورا» الفنية.

و«سربيه» عضو في المجلس الأعلى للصحافة اللبنانية، كما كان أمينًا لسر نقابتها، ومستشارًا إعلاميًا لبعض رؤساء الوزارات، وهو حاصل على وسام الأرز الوطني من رتبة فارس عام ١٩٧٢م، وجائزة علي ومصطفى أمين الصحافية عام ١٩٩٣م، وله عدة كتب سياسية ومؤلفات فنية.

كتب جديدة

«شارع الأميرات.. فصول من سيرة ذاتية» تأليف جبرا إبراهيم جبرا.

«هموم عائلية» مجموعة قصصية لسمير اليوسف.

صدر الكتابان السابقان عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

«اتفاق غزة وأريحا: التحديات، المخاطر، التداعيات.. قراءة مختارة من المساهمات العربية». إعداد محمود عبد الفضيل، صدر عن دار الطليعة.

المغرب

الملتقى الدولي الأول للأدب الإسلامي



الشيخ أبو الحسن الندوي

عقد في مدينة وجدة - مؤخرًا - الملتقى الدولي الأول للأدب الإسلامي تحت عنوان «رسالة الأدب والشهود الحضاري». برئاسة سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي، رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

شارك في الملتقى باحثون من السعودية والمغرب ومصر والهند وفلسطين وسورية والأردن، حيث ناقشوا ثلاثين بحثًا تدور حول مفهوم الأدب ورسالته، والأدب والشهود الحضاري، وقضايا الأدب الإسلامي، وواقع الأدب وآفاقه. وأصدر المؤتمرون مجموعة توصيات من أبرزها ضرورة الاهتمام بأدب الطفل، وإدراج مادة الأدب الإسلامي في مختلف مراحل التعليم، والعناية بالكشف عن المواهب الإبداعية، وتوصيات أخرى، وتقرر أن يدور النقاش في الملتقى المقبل حول موضوع «نقد النقد».

مؤتمر للأدباء العرب ومهرجان للشعر

تستضيف مدينة الرباط أعمال المؤتمر التاسع للأدباء العرب في الخامس من شهر شعبان المقبل (٥ يناير ١٩٩٥م).

يقام على هامش المؤتمر مهرجان للشعر العربي، وندوة بعنوان «الإبداع الأدبي العربي بين الثوابت والمتغيرات».

كتب جديدة

«الاسطوجرافيا والأزمة» (دراسات في الكتابة التاريخية والثقافة)، تأليف مجموعة من الباحثين بإشراف عبد الأحد السبتي، من منشورات كلية الآداب بالرباط.

السنغال

صدور «المربد»

صدر في السنغال مؤخرًا العدد الأول من مجلة «المربد» الثقافية الإسلامية الفصلية التي يصدر نصفها بالفرنسية والنصف الآخر بلغة «ألولوف» المحلية ذات الأحرف الهجائية العربية.

أوزبكستان

ستة قرون على مولد تارجاي

احتفلت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» - مؤخرًا - بمرور ستة قرون على مولد عالم الفلك والرياضيات والتاريخ الشاعر ورجل الدولة السمرقندي

الحركة الثقافية في شهر

المسلم: محمد تارجاي.

شملت الاحتفالات تنظيم ندوة عالمية عن تارجاي شارك فيها علماء ومفكرون من أوزبكستان وتركيا وفرنسا، ناقشوا إسهاماته في مجالات الفلك والمعمار والفن والثقافة.

كما أقيم على هامش الندوة عرض فولكلوري ومعرض عن تارجاي وتاريخ أوزبكستان والحرف اليدوية التقليدية فيها، وقدرت اليونسكو الإسهام في إنشاء معهد في سمرقند للدراسات المتعلقة بآسيا الوسطى.

ومحمد تارجاي هو الابن الأكبر للفاتح الأسيوي تامر لين، زعيم العائلة التيمورية الملكية التي انتشرت من إيران إلى آسيا الوسطى، وعُرف تارجاي باللقب الذي كناه به والده وهو «أولوج بيج» أي الأمير الكبير، وتولى حكم سمرقند في سن الخامسة عشرة، وأصبح كبيرًا للعائلة بوفاة أبيه عام ١٤٤٧م.

معرض لآثار وادي النيجر

يقام حاليًا في باماكو معرض «وادي النيجر» المتنقل الذي يضم بعض القطع الأثرية التي اكتشفت خلال العقدين الأخيرين في كل من مالي والنيجر وبوركينافاسو ونيجيريا وموريتانيا.

يحتوي المعرض على مائة قطعة يعود تاريخها إلى ماقبل أربعة آلاف عام.

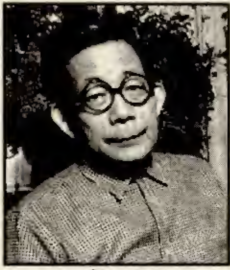
ومن المقرر أن ينتقل المعرض بعد ذلك إلى بوركينافاسو، ثم نيجيريا فموريتانيا ويختتم جولته في مايو ١٩٩٦م بعرض في كوناكري عاصمة غينيا.

السويد

الفائزون بجوائز نوبل

أعلنت ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين بجوائز نوبل في مجالات: السلام، الآداب، الطب، الاقتصاد، الفيزياء، والكيمياء. لعام ١٩٩٤م.

فاز بجائزة السلام بالمشاركة كل من الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين، ووزير خارجيته شمعون بيريز. الغريب أن ترشيح عرفات أثار أحد أعضاء اللجنة فقدم استقالته بحجة علاقة الزعيم الفلسطيني بالإرهاب، فيما تجاهل التاريخ الدموي لإسحاق رابين على امتداد مايقارب نصف القرن.


كنزا بورو أويه

ونال جائزة الآداب الروائي الياباني كنزا بورو أويه (٥٩ عامًا)، وهو ثاني ياباني يفوز بالجائزة، حيث سبقه إليها من ربع قرن مواطنه ياسوناري كواباتا عام ١٩٧٩م.

وُلد أويه في يناير ١٩٣٥م، وهو الابن الثالث لعائلة معروفة بأنها من الساموراي، وله نحو اثني عشر كتابًا، ومجموعة من المحاولات الشعرية والمقالات. وبدأ في نشر أعماله الأدبية منذ كان طالبًا بجامعة طوكيو، وترجم معظم أعماله إلى اللغة الفرنسية.

رسائل جامعية

«الحياة الأدبية في مجالس الخلفاء العباسيين حتى نهاية القرن الثالث الهجري» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب واللغة العربية بجامعة الجزائر، تقدم بها مصطفى البشير.

«عمليات استبدال مفصل الركبة الصناعي الكامل» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الطب بجامعة عين شمس، تقدم بها د. محمود يحيى الشناوي.

«دراسة تقويمية لمحتوى منهج الفقه للصف الأول الثانوي للبنات بالمملكة العربية السعودية في ضوء المفاهيم الفقهية اللازمة» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في الأقسام الأدبية بكلية التربية للبنات في الرياض، تقدمت بها نورة عبدالله الخليوي.

«الدخيل في فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني، من أول فاتحة الكتاب إلى الآية ٤ من سورة البقرة» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية البنات بالرياض، تقدمت بها لولوة عبدالله عبد العزيز القضيبي.

«استخدام المأثور الشعبي والتاريخ في روايات توني موريسون» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها سهى رأفت إبراهيم.

«التفكك الحراري لبعض الفلزات» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم بقنا في مصر، تقدم بها محسن موسى إبراهيم.

«الملكيات الزراعية في مديرية المنوفية» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في قسم التاريخ بجامعة عين شمس تقدم بها منصور عبد السميع.

«دور المؤسسة العسكرية في تنمية المجتمعات الصحراوية» عنوان رسالة

ومن أبرز مؤلفاته: رواية «طريدة مدجنة» التي فاز عنها بجائزة أكوتا غاوا عام ١٩٥٨م، ورواية «رهان القرن» ١٩٦٧م، و «رسائل سنوات الحنين»، وهو متأثر بدراساته الفرنسية في الجامعة، وبصفة خاصة بدانتي وبلزاك وسارتر.

وحصد الأمريكيون النصيب الأكبر في جوائز الطب والاقتصاد والفيزياء والكيمياء، حيث فاز بجائزة الطب الأمريكيان ألفريد غيلمان، ومارتن رودبيل، لاكتشافهما «بروتينيات ج ودورها المهم في توصيل إشارات الخلايا».

وألفريد غيلمان من مواليد عام ١٩٤١م وهو رئيس قسم العلوم الصيدلانية في جامعة تكساس، أما رودبيل فوُلد عام ١٩٢٥م، ويعمل حاليًا أستاذًا في معهد علوم الصحة البيئية في نورث كارولينا.

وتقاسم جائزة الاقتصاد الأمريكيان جون سي هارساناي وجون. أف.ناش، والعالم الألماني رينهارد سيلتين، على تحليلاتهم التي تتيح فرصة التنبؤ بالتفاعلات الاقتصادية المحتملة في مجالات متنوعة من الميادين الاقتصادية.

وجون هارسناي أمريكي من أصل مجري ولد عام ١٩٢٠م وهو أستاذ بجامعة كاليفورنيا، أما جون ناش فهو من مواليد ١٩٢٨م ويعتبر رينهارد سيلتين المولود عام ١٩٣٠م أول عالم ألماني يفوز بهذه الجائزة، وهو يعمل أستاذًا باحثًا في جامعة راين فريدريك فيلهلم.

ونال جائزة الفيزياء بالمشاركة الأمريكي كليفورد جي. شل (٧٩ عامًا) والكندي بيرترام. ان. بروكهاوس(٧٦ عامًا) لمساهمتهما الإبداعية من خلال دراسة انتشار النيترونات في المادة المكثفة، مما أمكن حل أسئلة كثيرة حول عمل النيترونات ومكان وجودها في المادة.

وفاز الأمريكي ذو الأصل المجري جورج. أيه. أولاه بجائزة الكيمياء لاحداثه ثورة كبيرة في دراسة المواد الهيدروكربونية والمواد الداخلة في تركيب النفط والغاز الطبيعي، واكتشافه طرقًا جديدة لاستخدامها والاستفادة منها، وهو يعمل حاليًا أستاذًا في جامعة كاليفورنيا الجنوبية.

أحدث الكتب

«الشعر رفيق السفر»، (دراسة لشعراء في سبعة بلدان يكتبون بإحدى عشرة لغة من بينها اللغة العربية) تأليف نينابورتون، صدر عن منشورات ليريهكلوب في استوكهولم

بريطانيا

معرض للطوابع السعودية

أقيم - مؤخرًا - في لندن معرض للطوابع السعودية يحكي من خلال طوابع البريد تاريخ المملكة، ويقسم معالم هذا التاريخ إلى فترات زمنية متواصلة المعالم. كما يقدم صورًا للإنجازات التي تحققت في المملكة في مختلف المجالات.

تزامن المعرض مع الحدث السنوي لهواة جمع الطوابع في بريطانيا، رمى إلى التعريف بإنجازات المملكة من خلال طوابع البريد.

جيمس كيلمن يفوز بجائزة بوكر

مُنح الكاتب الاسكوتلندي جيمس

ماجستير نوقشت في كلية العلوم التطبيقية بجامعة الخليج العربي في البحرين، تقدم بها جبير محمد بن إبراهيم بن جبير.

«الزمان والمكان والعاطفة في الأعمال الروائية للكاتب الفرنسية مرجريت دورس» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة طنطا في مصر، تقدم بها كامل محمد منير.

«المال في القرآن الكريم: دراسة موضوعية» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها سليمان بن إبراهيم الحصين.

«منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة من خلال كتابه: فتح الباري» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في مركز دراسة الطالبات في الملز، تقدمت بها لولوة بنت محمد المطرودي.

«البناءالدرامي لشعر لبيد» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس تقدم بها محمد صديق غيث.

«الخطاب الروائي عند غسان كنفاني.. دراسة أسلوبية» موضوع رسالة نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدمت بها منار حسن فتح الباب.

«الخبرات العربية والأجنبية في التعليم الجامعي باللغة القومية وإمكان تعريب التعليم الجامعي في مصر» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية بجامعة عين شمس، تقدم بها أحمد فريد عباس.

«النقد الإسلامي المعاصر بين النظرية والتطبيق» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة قسنطينة، تقدم بها أحمد رحماني.

«القلق النفسي وعلاقته بالأمراض النفسية والعصبية» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في قسم علم النفس بكلية الآداب في المنيا بمصر تقدمت بها هبة إبراهيم القشيشي.

كيلمن جائزة بوكر للأدب عن روايته التي تروي قصة شاب أصيب بالعمى بعدما أمضى مدة في السجن. وعقب خروجه سعى إلى الانتصار على عاهته في سخط وتصميم كبيرين.

أثار منح كيلمن الجائزة اختلافًا بين النقاد وكذلك وسائل الإعلام، نظرًا لما تحويه روايته من ألفاظ بذيئة، ولمحتواها الذي فيه شبهة دعوة إلى الانفصال السياسي عن بريطانيا.

معرض «الرومانسية في الفن الألماني»

يقام حاليا معرض بعنوان «النزعة الرومانسية في الفن الألماني» في صالة عرض هوارد بلندن.

يضم المعرض قرابة ثلاثمائة عمل فني لكبار فناني ألمانيا ذوي الاتجاه الرومانسي خلال الفترة من ١٧٩٠ - ١٩٩٠م، ومن أبرزهم جوهان هنريك وبازيلتز.

معرض فوتوغرافي لمصور كفيف

أقيم معرض للصور الفوتوغرافية بعدسة الفنان الكفيف نزيه رزق (٣٥عاما) في المركز الثقافي المصري في لندن.


نزيه رزق

ضم المعرض نحو ٥٥ لقطة تمثل «رؤية» الفنان الكفيف للطبيعة في الولايات المتحدة ومعالم مصر السياحية.

والمعروف أن الفنان نزيه رزق فقد بصره حين كان في السابعة عشرة من عمره، وهو حاصل على درجة الليسانس من كلية الآداب بجامعة عين شمس.

أحدث الكتب

«الأطفال أولاً» تأليف بينيلوبي ليتش، صدر عن دار نشر إم. جوزيف.

«مطر أسود مطر أحمر» رواية للأديبة العراقية ابتسام عبدالله، صدرت عن دار منشورات البزاز - دار مواقف عربية في لندن وروما.

«الجواسيس الجدد» (عن مهام الجواسيس في عالم اليوم)، تأليف جيمس آدمز، صدر عن دار نشر هتشينسون في لندن.

«عرفات: سيرة سياسية» تأليف آلان هارت، صدر عن دار نشر سيدجويك في لندن.

«الطب: القاهر والمقهور» (لقطات تاريخية عن التقدم الطبي ومشكلاته)، تأليف د. جيفري فالسوم، صدر عن دار نشرهيدلاين.

«الغرفة» رواية لجون جريشام، صدرت عن دار نشر سينشري في لندن

«فندق السعادة: حكايات من عراق صدام حسين» تأليف د. جليل العطية، صدر عن دار الحكمة في لندن.

«أحلام صحفية» (قصة ولادة صحيفة الأندبندانت البريطانية وصعودها) تأليف ستيفن جروفر، صدر عن دار نشر بنجوين.

«الملكة» كتاب عن الملكة اليزابيث يتعرض فيها الصحفي شارل هارجروف الذي عمل مراسلاً للتايمز لفترة طويلة لجوانب متعددة من شخصية ملكة بريطانيا في محاولة لسبر أغوارها.

«عربيات.. حضارة ولغة» تأليف المؤرخ نقولا زيادة صدر عن دار رياض الريس بباريس.

الولايات المتحدة

أول عربي يرأس وكالة أنباء عالمية

أعلن متحدث باسم بروستر جاكسون رئيس مجلس إدارة وكالة يونايتد بريس انترناشيونال (يو.بي.آي) عن تعيين رفاييل كاليس رئيسًا لتحرير الوكالة ونائبًا لرئيس مجلس إدارتها. ويعد كاليس - وهو عربي - من الكفاءات الصحافية، حيث سبق له العمل مديرًا لصحيفة «ديلي ستار» التي كانت تصدر باللغة الإنجليزية في بيروت قبل اندلاع الحرب، وكذلك رئيسا لتحرير مجلة «ميدل ايست سكيتش»، ومديرًا لمكتب وكالة الأنباء الكويتية في واشنطن، ومديرًا للتخطيط في الشركة السعودية للأبحاث والنشر التي تصدر مجموعة صحف ومجلات أبرزها صحيفة «الشرق الأوسط».

أحدث الكتب

«أمة مطلوبة للعدالة»(عن العنف في الولايات المتحدة) تأليف روث. د. هاس، صدر عن جامعة شيكاغو.

«برتداند رسل: حياة» تأليف كارولين مودرهيد، صدر عن دار نشر فايكنج.

«الصين: تنين التناقضات» تأليف ريك زورتون، صدر عن دار نشر ذافري بريس في نيويورك.

«الرعب المؤجل» (دراسات في علم النفس) تأليف مجموعة من الباحثين، صدر عن جامعة ستانفورد.

«باسم أوروبا: ألمانيا والقارة المنقسمة» تأليف تيموثي جارتون آش، صدر عن دار نشر راندوم هاوس في نيويورك.

«دليل الطب العقلي» طبعة جديدة، صدر عن الجمعية الأمريكية للطب العقلي.

«الناتو.. التحولات» تأليف وارين دودجان، صدر عن دار نشر بريتيس هول.

«الألعاب القذرة: كيف تسرق الشركات الأمريكية الشعب الأمريكي» تأليف الباحث الاقتصادي ميت أندرسن، صدر ضمن منشورات جامعة ميرلاند.

فرنسا

معرض للمخطوطات الإسلامية

تعرض حاليا في متحف القصر الصغير (بوتي بالي) في باريس أكثر من سبعين مخطوطة عربية وفارسية كتبت مابين القرنين ٨ إلى ١٩م تحت عنوان «من بغداد إلى أصفهان».

وتضم هذه المخطوطات مخطوطة للقرآن الكريم وترجمة عربية لأعمال الفيلسوف اليوناني أوكليدس، وبعض المنمنمات الفارسية والمنغولية، وجميعها من مقتنيات معهد الدراسات الشرقية في سان بطرسبرج في روسيا، وتعرض ـ للمرة الأولى ـ خارجه.

وينتظر أن ينتقل المعرض إلى «لوغانو» في سويسرا ثم في «فيلا فافوريتا» يغادر بعدها إلى متحف «متروبوليتان» في نيويورك وتجري حاليا مباحثات لنقله إلى الرياض وعمان.

ديب يفوز بجائزة الفرانكفونية

منح الكاتب الجزائري محمد ديب الجائزة الكبرى للفرانكفونية التي تقدمها سنويا الأكاديمية الفرنسية عن مجمل أعماله الأدبية.

ومحمد ديب جزائري يعيش في فرنسا ويكتب بالفرنسية وله أكثر من عشرين مؤلفًا لعل أبرزها الثلاثية الروائية «الجزائر: البيت الكبير» عام ١٩٥٢م و «الحريق» ١٩٥٤م، و«مهنة النسج» ١٩٥٧م.

الترينالي الدولي الثالث للحفر

شارك ٨٢٠ فنانًا تشكيليًا من ٥٨ دولة بينها ٦ دول عربية في الترينالي الدولي الثالث للحفر الذي اختتم أعماله مؤخرًا في «شماليه» بوسط فرنسا.

وصل عدد القطع المعروضة في الترينالي إلى ٦٨٥٠ قطعة، ومن الفنانين العرب الذين شاركوا: عبد الكريم فرج، عز الدين شحوط، رشيد القريشي، هند زلفة، محمد رويس، وآخرون.

معرض «حديقة الفراعنة»

استضاف متحف التاريخ الطبيعي في مدينة ديجون جنوب شرقي باريس معرضًا بعنوان «حديقة الفراعنة».

ركز المعرض على إبراز أهمية النباتات في حضارة مصر الفرعونية القديمة، بخاصة النباتات الطبية، وتلك التي استخدمت في صنع ملابس الفراعنة منها، أو استخدمت كأوراق للكتابة مثل ورق البردي، والتقدم الكبير في المجال الزراعي، وذلك من خلال عرض لوحات جدارية تصف أهم النشاطات الاقتصادية في العصر الفرعوني، وأنواع الحيوانات والنباتات وحياة المصريين آنذاك.

باريس القرن العشرين كما يراها جول فيرن

اكتشفت ـ مؤخرًا ـ في باريس مخطوطة عنوانها «باريس القرن العشرين» وهي من أعمال رائد روايات أدب الخيال العلمي الأديب الفرنسي جول فيرن.

يعود تاريخ كتابة المخطوطة إلى عام ١٨٦٣م، وظلت مختفية لأكثر من ١٣٠ عامًا إلى أن عثر عليها ـ مصادفة ـ حفيد الروائي الراحل في خزانة حديدية مغلقة ضاع مفتاحها، ليتم نشرها أخيرًا بعد أن ظلت مختفية طوال تلك السنوات.

الغريب أن فيرن وصف باريس القرن العشرين مكتظة بالسيارات ووسائل النقل والاتصال الحديثة الموجودة حاليا مما أثار دهشة ناشره الذي رفض ـ آنذاك ـ نشر الكتاب متعللاً بأن أحدًا لن يصدق ما تحويه من نبوءات مستقبلية.

وفاة فلوكون ومولر وبوليس

توفي في باريس الرسام والنقاش الألماني الأصل ألبرت فلوكون (٨٥ عامًا)، المولود في ألمانيا عام ١٩٠٩م التي غادرها إلى باريس مع وصول هتلر إلى الحكم، حيث عمل هناك في المدرسة العليا للفنون الجميلة، وتوفي كذلك الكاتب المسرحي الفرنسي جرمان مولر عن عمر يناهز ٧١ عامًا، والكاتب الروائي هنري بولسيس (٨٥عامًا) الحائز على جائزة الجوتكور الأدبية، وكانت آخر رواياته بعنوان «نهر من حمام»، وتدور أحداثها خلال الحرب العالمية الثانية.

الحركة الثقافية في شهر

جرمانديا يفوز بجائزة المحيطين

حصل الكاتب الفنزويلي سلفادور جرمنديا على جائزة «المحيطين» التي قرر مهرجان السينما والأدب الذي عقد في الشهر الماضي تخصيصها لأدباء دول أمريكا اللاتينية الذين تترجم أعمالهم إلى اللغة الفرنسية. وجاء فوز جرمنديا بالجائزة عن مجموعته القصصية «مواقف ضاحكة».

أحدث الكتب

«مذكرات جاك بريفيير»، أعد مقدمتها بيير أدمون روبير، وألين ريفير، وصدرت عن دار نشر جاليمار.

«ثورة اليابان الصامتة» تأليف كارولين بوستيل، صدر عن دار كالمان ليفي للنشر.

«مذكرات جرذ»، رواية لأندريه زانييفسكي، صدرت ترجمتها الفرنسية عن دار بلفون.

«صرخة طائر النورس» تأليف ايمانويل لابوزيتي.

«الجزائر» تأليف جوان أدولف.

«ذاكرة النسيان» قصة قصيرة للشاعر الفلسطيني محمود درويش ترجمها إلى الفرنسية إيف فومراليير وفاروق مردم.

بلجيكا

ملتقى ثقافي عربي

نظم المركز الثقافي العربي للفنون والآداب في بروكسل - مؤخرا - ملتقى أدبيًا بعنوان «نكهة ثقافية عربية» بمشاركة مجموعة من المبدعين والنقاد العرب.

تضمن الملتقى لقاءات أدبية وأمسيات شعرية وأمسية موسيقية، ومعرضًا للخط العربي ضم لوحات للفنان الموسوي، وآخر تشكيلي لأعمال الفنان غسان سلمان الزيتية.

عقد الملتقى في إطار سلسلة من الملتقيات ينظمها المركز مرتين في العام.

ألمانيا

جائزة السلام لسميرون

منح الكاتب الروائي الإسباني جورج سميرون جائزة السلام الألمانية التي يقدمها معرض فرانكفورت الدولي للكتاب عن مجمل أعماله.

وقد عُرف سميرون بمناهضته الشديدة للحرب، ونادى في كتاباته بالسلام، ويعد كتابه «الرحلة الطويلة» أشهر كتاباته، حيث ضمنه بعض تفاصيل تجربته في أحد معسكرات التعذيب الألمانية.

كتب جديدة

«رؤيا المعتوه» مجموعة شعرية لعدنان الأحمدي صدرت في كولونيا

«التمرد»، رواية جديدة للكاتب زيجفريد لينتس، صدرت عن دار نشر هوفمان وكامبه.

إسبانيا

مؤتمر دولي للالتقاء الثقافي

عقد - مؤخرًا - المؤتمر السنوي للالتقاء الثقافي في جامعة نافارا بالعاصمة الإسبانية مدريد، بمشاركة مجموعة من المثقفين والمفكرين من مختلف أنحاء العالم.

رمى الملتقى إلى خلق تقارب بين ثقافات العالم المختلفة، وتقريب وجهات النظر حول القضايا الثقافية ذات الطابع المحلي والعالمي.

جائزة بلانيتا لخوسيه

منح الكاتب والروائي كاميلو خوسيه سيلا جائزة بلانيتا الإسبانية في دورتها الثالثة والأربعين عن روايته «صليب القديس أندرس» بعد منافسة حامية مع الصحافية الشابة أنخليس كاسو.

وقد سبق لكاميلو خوسيه أن فاز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٩م.

وتعد جائزة بلانيتا التي تمنحها دار نشر تحمل الاسم نفسه في برشلونة من أكبر الجوائز على مستوى العالم حيث تصل قيمتها إلى خمسين مليون بيزته إسبانية (نحو ٤٠ ألف دولار)

روسيا

ندوة ستندال

أقيمت - مؤخرًا - في موسكو ندوة علمية أدبية دولية لدراسة تراث الكاتب الفرنسي هنري ماري بيل المعروف باسم ستندال تحت عنوان «ستندال في روسيا».

يرجع اهتمام الروس بهذا الكاتب تحديدًا إلى مشاركته في حملة نابليون على روسيا عام ١٨١٢م، وتسجيله مشاهداته وما عاشه من أحداث الحملة، إضافة إلى أنه كان يعد الوثائق الرسمية لنابليون. ويعد ستندال من أبرز الكتاب الفرنسيين، وأشهر رواياته: «أحمر وأسود» و«ديربارن».

حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة

كتاب للشيخ سعد بن عبدالله بن سعد السعدان، يقع في ١٢٢ صفحة من القطع المتوسط، وأصله مخطوطة للعلامة الإمام المحدث محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، وهي رسالة مختصرة وضعها الإمام الصنعاني جوابًا عن سؤال عُرض عليه عن «افتراق الأمة» فخلص إلى إجاباته مبينًا الحديث الشريف الوارد في هذا الموضوع، وموجهًا إياه توجيهات مفيدة ومتنوعة. وقام محقق المخطوطة بإيراد ترجمة لحياة الإمام الصنعاني، مولده، نشأته، مؤلفاته، الشيوخ الذين تتلمذ عليهم، وتلامذته الذين أخذوا عنه العلم.

قدَّم للكتاب فضيلة الشيخ د.عبدالرحمن بن صالح المحمود الأستاذ بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، موضحًا: أن البدع والانحرافات هي من أعظم أسباب تفرق المسلمين، وإذا أردنا العودة والاجتماع والاتفاق فلابد أولاً من أن تكون العقيدة الصافية هي الأصل، ومن انحرف عنها فهو المباين لطريق الحق والسنة.

الكتاب صدر في طبعته الأولى عام ١٤١٥هـ عن دار العاصمة للنشر والتوزيع.

الأرجوزة

بحث يضطلع بدراسة بدايات الأرجوزة وخصائصها الموضوعية والفنيّة، منذ الجاهلية (١٥٠ ق. هـ) حتى نهاية القرن الثاني الهجري ويتبع المؤلف الباحث د. عبد المجيد الأسداوي المنهج التأريخي الوصفي التحليلي، مع الاستفادة من المنهج الذي يدرس فن الأرجوزة في إطار وظيفته - الوجه الاجتماعي - وفي إطار طبيعته وظواهره واتجاهاته الفنية.

يتكون البحث من ثلاث أبواب، وقد اختص الباب الأول بدراسة مفهوم الأرجوزة وشاعريتها وتطورها، وتطرق الباب الثاني لدراسة وظيفة الأرجوزة، وتناول الباب الثالث الخصائص الفنية للأرجوزة مسلطًا الأضواء على لغة الأرجوزة وموسيقاها وبنائها الفني وصورها.

وفي الخاتمة رصد المؤلف النتائج التي ظهرت خلال صفحات البحث، كما أورد ملحقًا خاصًا بتراجم أعلام الرجز.

الكتاب يقع في ٣٣٦ صفحة ومن القطع الكبير، وقد صدر عن دار الأرقم بالزقازيق في مصر.

الورد والهالوك

شعراء جيل السبعينيات في مصر

يتناول د. حلمي محمد القاعود في هذا الكتاب ظاهرة ماسمي بـ "شعراء جيل السبعينيات" واحتفاء النقاد بشعراء معينين رغم أن شعرهم أقرب إلى الطلاسم، بينما لاينال شعراء آخرون مثل هذا الاهتمام لتمسكهم بأصالتهم.

ويضع الناقد بأسلوب علمي شعراء هذا الجيل على كفتي ميزان، ويرمز لشعراء الأصالة من جيل السبعينيات "بالورود" لأنهم ارتبطوا بقضايا أمتهم وهمومها، فيما رمز بـ "الهالوك" للشعراء المتسلقين ومحدودي الموهبة. فهم في ذلك يشبهون نبات الهالوك الذي ينمو مع الأعشاب الضارة، ويلتف حول النبات المثمر محاولاً خنق أنفاسه.

ويمثل هذا الكتاب محاولة جادة لتنقية الواقع الأدبي من الشوائب، حيث يكشف للمتلقي ألاعيب الهالوك، وخزعبلات المتشاعرين.

يقع الكتاب في ٢٥٣ صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن دار الأرقم في الزقازيق بجمهورية مصر العربية.

الأدب الإسلامي.. ضرورة

في كتابه المعنون بهذا الاسم يقدم د. أحمد محمد علي الأدلة العلمية والبراهين المنطقية على كون الأدب الإسلامي ضرورة في هذا العصر المضطرب، كأنما يرد بذلك على الدعاوى المشككة في أهميته.

يتناول الفصل الأول من الكتاب موضوع الإسلام والإبداع الأدبي، حيث تحدث المؤلف عن الإسلام والجمال، موضحاً أن الجمال في الإسلام، روح سارية في الوجود كله، وأن الإسلام لم يصادر موهبة الإبداع، وفي الوقت نفسه لم يترك لها الحبل على الغارب، لكنه وجهها توجيها حسناً لتكون في خدمة العقيدة.

وفي الفصل الثاني يتعرض لقضية الأدب الإسلامي، مؤكداً ضرورته، مبيناً علاقة الأدب بالعقيدة، ومعنى الحرية والالتزام، ومناقشاً مصطلح الأدب الإسلامي لإيضاح معانيه ومراميه، وكونه يقبل من المذاهب الأدبية وأشكالها مايتفق مع القيم والغايات الإسلامية.

ويؤكد في الفصل الثالث والأخير أن الأدب الإسلامي مع الوضوح وضد الغموض، وأن المستشرقين أخطأوا حين نظروا إلى أدبنا على أنه أدب عربي ولم ينظروا إليه على أنه أدب إسلامي. ويخلص في النهاية إلى التأكيد على أن كتابه دعوة إلى تأصيل الأدب الإسلامي.

يقع الكتاب في ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن دار الصحوة برابطة الجامعات الإسلامية.

لعينيك أغني

مجموعة شعرية لفياض شحادة نصّور، وهي العمل الثالث للشاعر بعد ديواني «أشجان المساء» و «تراتيل القلب» ورواية بعنوان «هند». وتشتمل المجموعة على «٣٩» قصيدة التزم فيهن الشاعر القافية، ووظف بحور الشعر في أكثر من غرض، منوعًا في التصوير والتشكيل والرسم والتعبير مباشرة وأحيانًا بالرموز، وتتراوح موضوعات الديوان بين القصائد العاطفية والمعالجات الاجتماعية والرواية الفلسفية للحياة والعلاقات الاجتماعية وتصوير ظلال الأحاسيس الإنسانية ويبدو في المجموعة أن فياض نصور رمى في بعض القصائد إلى مجاراة فحول الشعراء - شوقي وغيره - أسلوبًا وإن اختلفت الموضوعات.

المجموعة تقع في ٧٣ صفحة من القطع الصغير، وقد صدرت عن دار ملهم للطباعة والنشر في حمص بسوريا.

١ـ جوائز المسابقة :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية ـ وليس نسخة مصورة ـ للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة . مجلة الفيصل.
ص.ب . (٣) . الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد (٢١٤)

ج١: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج في سفر يدعو بأدعية كثيرة، منها:

١ـ مارواه أحمد ومسلم، عن عبدالله بن عمر، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبّر ثلاثًا ثم قال:«سبحان الذي سخّر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنّا إلى ربنا لمنقلبون»، اللهم إنّا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ماترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا واطوِ عنا بُعْدَهُ. اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل. اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال».. وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون».

٢ـ ماروواه أحمد والطبراني والبزار، بسند رجاله رجال الصحيح، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أراد أن يخرج إلى سفر قال:«اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل. اللهم إني أعوذ بك من الضُّبْنَة في السفر، والكآبة في المنقلب. اللهم اطوِ لنَا الأرض، وهوِّن علينا الرجوع»، والضُّبْنَة: الرفاق الذين لا كفاية لهم.

***

ج٢: حرّم الإسلام الغصب، وهو أخذ شخص حق غيره والاستيلاء عليه عدوانا وقهرًا عنه. قال تعالى: ﴿ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾. (البقرة ـ ١٨٨). لذلك نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الغصب. ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

١ـ مارواه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولايشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن، ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولاينتهب نُهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن».

٢ـ ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي ـ وحسّنه ـ، عن السائب بن يزيد عن أبيه، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «لايأخذنَّ أحدكم متاع أخيه جادًا ولا لاعبًا، وإذا أخذ أحدكم عصا أخيه فليردها عليه».

٣ـ ماارواه الدارقطني من طريق أنس مرفوعا إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «لايحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه».

***

ج٣: هو الصحابي الجليل، خُبيب بن عدي الأوسي الأنصاري (ت ٣هـ)، قتله المشركون ثأرًا لمقتل «الحارث بن عامر بن نوفل». طلب من قاتليه ـ قبل قتله أن يَدَعُوه ليصلي ركعتين ـ فكان أول من استن صلاة ركعتين قبل القتل ـ، وبعد أن صلاّهما قال لهم: والله لولا أن تحسبوا أن بي جزعًا من الموت، لازددت صلاة». ثم رفع يديه إلى السماء، ودعا ربه: «اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولاتبق منهم أحدًا».

وعندما صلبه قاتلوه، قالوا له: «أتحب أن محمدًا مكانك، وأنت سليمًا معافي في أهلك؟»، فأجابهم ـ بكل إيمان وتصديق ـ : «والله ما أحب أني في أهلي وولدي، معي عافية الدنيا ونعيمها ، ويصاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشوكة».

وذكر المؤرخون الشيء نفسه عن الصحابي الجليل زيد بن الدَّثِنَّة، الذي قتله المشركون قبل خبيب. ولا عجب، فهؤلاء هم الصحابة الكرام، وهذا مادعا أبا سفيان لأن يقول ـ وكان لم يسلم بعد ـ: «والله مارأيت أحدًا يحب أحدًا، كما يحب أصحاب محمد محمدًا».

***

ج٤: هو أبو معاذ بشار بن برد، مولى بني عقيل. ولد بالبصرة ومات بها، وكان أعمى

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....
العنوان: ....

جالس المتكلمين، فتحيّر واتُّهم بالزندقة، وتعلّل المهدي بذلك، فجلده لهجائه إياه حتى الموت. كان متعصبًا للفرس، خطيبًا، راجزًا، فتكسب بالشعر، وشهر بالغزل الماجن والخلاعة. يعد رأس المجددين لامتزاج العناصر القديمة والجديدة في شعره. عمد إلى البديع، فمهد الطريق أمام مدرسته. منعه المهدي من الغزل المفحش، فاحتال له، وشهر بالإقذاع في الهجاء. له ديوان ومختارات من شعره شرحها الخالديان.

***

ج٥: هي دولة «بولندا». غزاها الزعيم النازي أدولف هتلر (١٨٨٩ ـ ١٩٤٥م)، بعد رفضها لمطالبته بضم «دانزج» في أول سبتمبر ١٩٣٩م. وكان هذا الغزو سببًا مباشرًا لاشتعال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م)، التي انتهت بهزيمة هتلر وانتحاره بعد سلسلة من المعارك كبدت البشرية بأجمعها خسائر فادحة لاتزال بعض الدول تعاني من آثارها حتى الآن.

نتائج مسابقة العدد (٢١٤)

أ ـ فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، منصور أحمد زيدان الشاذلي، المحلة الكبرى ـ مصر.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، مجاهد أحمد النور الزاكي، أم درمان ـ السودان.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، عبد المجيب سومرو، السند ـ الباكستان.

***

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١ـ هند إبراهيم المشوح، بريدة ـ المملكة العربية السعودية.
٢ـ حمزة إبراهيم هويشل، الزرقاء ـ الأردن.
٣ـ منصور بن إبراهيم بن الحاج مبروك، قصر هلال ـ تونس.
٤ـ محمد نجيب باكير، حلب ـ سورية.
٥ـ عبد الرحيم عبده علي ملكدي، جيزان ـ المملكة العربية السعودية.

***

ج ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١ـ يونس اطريبق بوطريقة، طنجة ـ المغرب.
٢ـ فريد الرشيد مهدي عثمان، عطبرة ـ السودان.
٣ـ باسم حمدان اللحياني، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية.
٤ـ عمر سعيد محمد خروب، أبو ظبي ـ الإمارات العربية المتحدة.
٥ـ إسلام مصباح الرفاعي، دمياط ـ مصر.
٦ـ عبير محمد غسان طليمات، حمص ـ سورية.
٧ـ محمد العربي مفتوح، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.
٨ـ محمد الديب المرسي، القاهرة ـ مصر.
٩ـ حميوي محمد، بني ملال، المغرب.
١٠ـ مهدي سعيد رزق كريزم، الخرج ـ المملكة العربية السعودية.

***

د ـ كما فاز بجائزة إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

١ـ عمران بن منصور بن محمد الباي، منزل تميم ـ تونس.
٢ـ كمال عبد الوهاب إبراهيم، الشرقية ـ مصر.
٣ـ بسمة عبد الحكيم عاصي، الأغوار الشمالية ـ الأردن.
٤ـ عبد الرحمن محمود حسن الضحيك، حمص ـ سورية.
٥ـ محمد نمشان محمد الدوسري، الأحساء ـ المملكة العربية السعودية.

أسئلة مسابقة العدد (٢١٧)

السؤال الأول:

«آية الكرسي» لها شأن عظيم، فقد وصفها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنها: «أعظم آية في القرآن». اذكر حديثين شريفين في فضلها.

***

السؤال الثاني:

يستحب لمن حضر من الصالحين احتضار إنسان مسلم أن يدعو له بالخير. اذكر بعض السنن التي تجب مراعاتها عند الاحتضار.

***

السؤال الثالث:

تستعمل المكتبات في تصنيف الكتب وتبويبها «نظامًا عشريًا»، يقسم أنواع المعرفة إلى عشرة أقسام رئيسة، تتفرع منها عشرات أخرى فرعية، وهكذا. لمن ينسب هذا التصنيف؟

***

السؤال الرابع:

قامت في أرجاء العالم الإسلامي ثورات متعددة لأسباب مختلفة، ومن أشهر هذه الثورات، ما عُرف بـ «ثورة الزنج». عرّفها باختصار.

***

السؤال الخامس:

كانت «الرَّصافة» في أيام بني أمية، إحدى الحواضر الإسلامية. من الذي بناها؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل العدد (٢١٧)

مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

استراحة العدد

ويأتيك بالأمثال
أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ

هو سعد بن زيد مناة أخو مالك بن زيد مناة، الذي كان يقال له: آبَلُ من مالك. ومالك هذا هو سبط تميم بن مرة، وكان يحمق إلا أنه كان آبَلَ أهل زمانه. وحين تزوج وبنى بامرأته، أورد الأبل أخوه سعد، ولم يحسن القيام عليها والرفق بها، فقال مالك:

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ
مَاهكَذَا ياسَعْدُ تُورَدُ الإِبِلُ

ويروى
ياسَعْدُ لاتروى بهذَاكَ الإِبِلْ

فقال سعد مجيباً له:
يَظَلُّ يَوْمَ وِرْدِهَا مُزَعْفَراً
وَهْيَ حَنَاظِيلُ تَجُوسُ الْخَضِرا

قالوا: يُضرب لَمن أدركَ المراد بلا تعب، والصواب أن يقال:
يُضرب لمن قصر في الأمر، وهذا ضد قولهم: "بِيَدَيْنِ مَا أَوْرَدَهَا زَائِدَةٌ"

من عجائب الخلق

أصبح الطفل مايكل كيرني (١٠ سنوات) أصغر خريجي جامعة ثاوث الباما الأمريكية، وبمرتبة الشرف أيضاً عام ١٩٩٤م

الأمر الأكثر غرابة في قصة نبوغ مايكل وتفوقه، أن الأطباء أخبروا والدته حين كانت حاملاً به أنه سوف يولد معاقاً نظراً لتوقف نموه داخل رحمها، إلا أن إرادة الله شاءت أن يخرج طفلها نابغة، رغم فتوى الأطباء.

محكمة ٥ نجوم

قررت محكمة كوفنري في وسط بريطانيا بث موسيقى صاخبة خلال انعقاد جلساتها !

برر القاضي قراره بأن الموسيقى تريح أعصاب المراهقين الذين يقدمون للمحكمة !

بين شاعرين

كتب رجل إلى أبي العتاهية:

ياأبا إسحق إني
واثق منك بودك
فأعنّي بأبي أنـ
ـت على عيبي برشدك

فأجابه أبو العتاهية:

أطعِ اللهَ بجهدك
راغباً أو دون جهدك
أعط مولاك الذي تطـ
ـلب من طاعة عبدك

الساعة .. الهدية

أهدى الأديب د. حسين الهراوي ساعة إلى صديقه محمد الأسمر، الذي اكتشف أنها لاتعمل جيداً، فحضر إلى مقهى الحلمية حيث كان الهراوي يجلس مع د. زكي مبارك والشاعر حسين شفيق المصري، وأحمد زين، وشكا إليهم من أن الساعة تسير بالعربي تارة، وتارة بالأفرنجي، وثالثة لاتتحرك بالمرة، فأمسك الهراوي بالساعة وجس نبضها، ثم قال إنها مصابة بضغط الدم، وتحتاج إلى الراحة، أما د.زكي مبارك فأنشد:

واها لبعض الهدايا
بعض الهدايا رزايا
ساعات باريس عندي
لها جميع المزايا
تدق دقاً لطيفاً
كمثل همس منايا
وساعة الهراوي
أولى ببعض التكايا
تدق دقاً عنيفاً
كما تدور الرحايا

الفناء لها قرين

إذا الإيمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمَنْ لم يُحْيِ دينا
ومن يعش الحياة، بغير دين
فقد جعل الفناء لها قريناً
محمد إقبال

سل عقلك

حكى أبو علي الرازي قال: مررت بصبيان في طريق الشام يلعبون بالتراب، وقد ارتفع الغبار، فقلت: مهلاً قد غبرتم. فقال صبي منهم: ياشيخ أين تفر إذا هيل عليك التراب في القبر! فغشي عليّ وأفقت والصبي جالس عند رأسي، والصبيان يبكون، فقلت له: أعندك حيلة للفرار من التراب ؟ قال: لا أعلم، ولكن سل غيري. قلت: ومَنْ غيرك، قال: عقلك.

هكذا كانوا

كان بين الإمام أبي حنيفة ورجل من البصرة شركة في تجارة، فبعث إليه أبو حنيفة سبعين ثوباً ثميناً، وكتب إليه أنَّ في أحدها عيباً، وهو ثوب كذا، فإذا بعته فبين العيب. فباعها الشريك بثلاثين ألف درهم، وجاء بها إلى أبي حنيفة، الذي سأله: هل بينت العيب ؟ قال الرجل: قد نسيت ! فتصدق أبو حنيفة بجميع ثمنها.

عملات نقدية

اخترع الصينيون الأوراق النقدية عام ٩١٠م، وتعد تلك العملة التي صدرت في استوكهولم بالسويد عام ١٦٦١م أول أوراق نقدية في العصور القريبة.

وكالات الأنباء

تعد وكالة أنباء هافاس الفرنسية، أول وكالة أنباء عرفها العالم، إذ تأسست عام ١٨٤٥م، تليها وكالة اسوشيتدبرس الأمركية عام ١٨٤٨م، ثم رويتر الإنجليزية عام ١٨٥١م.

هارون الرشيد

كان الخليفة العباسي هارون الرشيد، يغزو عاماً، ويحج عاماً، ويصلي كل يوم مائة ركعة.

الغريب أن بعض الشعوبيين حاولوا تصوير عصره على أنه عصر لهو ومجون.

أطول رواية وأضخم موسوعة

تعتبر رواية «الرجال ذوو النية الطيبة» للروائي الفرنسي جول رومان، أطول رواية تم نشرها، حيث طبعت في ٢٧ مجلداً !

أما أضخم موسوعة فهي الموسوعة العالمية المصورة، الأوربية والأمريكية، حيث تقع في ١٠٤ مجلدات، وتضم ١٠٥ آلاف صفحة.

اكتشافات ومكتشفون

* عام ٢٥٠ ق. م اكتشف أرشميدس، قاعدة طفو الأجسام.
* عام ٨١٥ م اكتشف العالم المسلم جابر بن حيَّان، حامض الكبريتيك.
* عام ١٢٨٨م اكتشف العالم المسلم ابن النفيس، الدورة الدموية.
* عام ١٦٦٥م اكتشف العالم الإنجليزي إسحاق نيوتن، قانون جاذبية الأرض.
* عام ١٧٩٥م اكتشف العالم الإنجليزي إدوارد جيتر، مصل الجُدَري.
* عام ١٩١٠م اكتشف أدموند هالي، المذنب الذي عرف باسمه «مذنب هالي».
* عام ١٩١٣ م اكتشف الأمريكي كولدج، الأشعة السينية.

ضرجهم بدمه

يُروى أن أديباً شاباً اعتاد أن يغشى مجلس حافظ إبراهيم، متفاخراً ببطولات وهمية، وذات يوم أخذ يتحدث عن خلافه مع جماعة، وكيف توعدهم بأن يضرجهم بالدم، فسأله أحد الحضور: وهل نفذت قسمك ؟ فأجاب حافظ نيابة عنه: طبعاً وضرجهم بدمه !.

الحلم والعجز

سئل أحد الحكماء: ما الفرق بين الحلم والعجز ؟ قال: الحلم لايكون إلا عن قدرة. وأما العجز فلايكون إلا عن ضعف.

غسل الشافعي

حُكي أنه لما مرض الإمام الشافعي – رضى الله عنه – مرضه الذي مات منه، قال لقومه: إذا أنامتُ فقولوا لفلان أن يغسلني، فلما توفي، وبلغ الخَبر ذلك الشخص المعني قال: أئتوني بتذكرته، فجيء بها إليه، فوجد فيها أن على الشافعي ديوناً تقدر بسبعين ألف درهم لبعض الأشخاص، فكتبها الرجل على نفسه، وقال هذا هو الغسل الذي أراده.

ثلاثة وثلاثة

قال أبو يوسف القاضي: من طلب ثلاثة لم يسلم من ثلاثة : مَنْ طلب المال بالكيمياء لم يسلم من الإفلاس، ومَنْ طلب الدين بالفلسفة لم يسلم من الزندقة، ومَنْ طلب الفقه بغرائب الحديث لم يسلم من الكذب.

مفتاح السر

رُوي عن عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه، قوله: القلوب أوعية السرائر، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل أمرىء مفتاح سره.

لهذا ساروا

كان أسماء بن خارجة الفزاري سيد أهل الكوفة، فقال له عبدالملك بن مروان ذات يوم: ما أشياء تبلغني عنك يا أسماء ؟ قال يحدثك غيري عني ياأمير المؤمنين، فقال له عبدالملك: وعلى ذلك فأحب أن أسمعها منك. فقال: نعم ياأمير المؤمنين، مامددت رجلي بين يدي جليس لي قط مخافة أن يرى أني تكبرت عليه، ولاسألني رجل قط حاجة إلا كان أكبر همي من الدنيا قضاء حاجته، ولا أكل رجل قط عندي أكلة إلا كان له الفضل علي أيام حياتي، ولاظلمني أحد بمظلمة إلا رأيت عقوبته العفو عنه، فقال عبدالملك: حسبك بهذا شرفاً يا أسماء، ثم أنشد:

إذا مامات خارجة بن حصن
فلامطرتْ على الأرض السماء

لاتحقرن شيئاً صغيراً

لاتحقرن شيئاً من الخير وإن كان صغيراً، فإنك إذا رأيته سرك مكانه، ولاتحقرن شيئاً من الشر وإن كان صغيراً، فإنك إن رأيته ساءك مكانه.



نمط من البناء المعماري في قرى عسير



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

النفس الأبية

سئمتُ من العيش عيش الذّئاب ... ومن سدَّة المجد زيف السراب
ولذتُ بنفسي إلى مجد أمسي ... وقلتُ وداعا لهذا الخراب
وودّعت وجه الحياة الهضيم ... وأوصدتُ باب الأسى والعذاب
وضَمَّخْت بالعطر نفسي الأبيّة ... وأتْرعتُ بالحب قلبي المصاب
فعجّ بساح الفؤاد عبير ... ودَوْح عليل يجوب الوطاب
وفوق التلال طفت مهجتي ... وبين الجبال وفوق السحاب
وأنشدت لحن الطيور الشجي ... وحلّقت فوق الرّبى والهضاب
وسرت إلى العلِّ لا أنثني ... بقلب الأبيّ بعزم الشباب
وأسمعت نفسي زئير الضواري ... فحيح الأفاعي وهمس التباب
فقالت لي النفس لا أنتئي ... فبأسي شديد كبأس العقاب
وعزمي حديد وصبري فريد ... يجوس الصحاري يجوب الرِّحاب
فلا الخوف يسبي نسور الجبال ... ولا الويل يحني رؤوس الحراب

محسن بن منصور - ولاية صفاقس - تونس

تعليق

تنبئ هذه القصيدة عن ميلاد شاعر، يحاول جاهدًا أن يخوض غمار الشعر بروح وثّابة، ونرجو له دوام التوفيق..

التجربة الشعرية التي يريد الشاعر التعبير عنها هي روح الصمود والجلد أمام شدائد الحياة، وهي تجربة جيدة، وقد وفق الشاعر في التعبير في بعض الأبيات، وفي كثير من العبارات. فهو يقول:

ولذتُ بنفسي إلى مجد أمسي..

وزاد التعبير جمالاً ذلك الجناس اللطيف (بنفسي وأمسي).

وقوله: (وأوصدت باب الأسى والعذاب).

وقوله: (وضمّخت بالعطر نفسي الأبية) فهو اعتزاز بالنفس، وسموّ بها، وتكريم لها حين يضمّخها بالعطر.

وقوله: (وعزمي حديد وصبري فريد) يؤكد معناه بحسن التقسيم.

وفات الشاعر أن يحرص على سلامة الموسيقى الشعرية في القصيدة، ففي الأبيات

من نيازك اللقاء

عندما لا نكون معا   لا تخافي من عيون المساء
لوني صمتنا بالأغاني   علنا نلتقي بالغناء
أنه الليل صفاء   وغناء.. ولقاء
كلما نام على   أرواحنا النجم أضاء
وتعالى صوتنا   حتى متاهات السماء
عندما لانكون معا   نلتقي كيف نشاء
نرسل الشكوى أنينا   وحنينا.. ودعاء
فتعالي نشرب الكأس   مرارا ... بصفاء
ونداري شوقنا   بفراشات الرجاء
انه العمر تواشيح   على صدر.. البكاء

جمال محمد عامر ـ حلب ـ سورية

تعليق

تعد هذه القصيدة من قصائد الرومانسية الحالمة، التي يلجأ أصحابها إلى الرمز أحيانًا هروبًا مما يعانون من واقع غير مرض، وتسيطر عليها النزعة الوجدانية.

وفي أبياتها موسيقى انسيابية هادئة، تناسب الجو الرومانسي الحالم، نحسها في حروف المد المتوالية، وحسن التقسيم، وانتقاء الألفاظ مثل «صفاء، وغناء، ولقاء»، «أنينًا وحنينا ودعاء»، «متاهات السماء»، « فراشات الرجاء».

وفي القصيدة براعة في الجمع بين المتناقضات المتباعدة، يؤلف الشاعر بينها لتعبر في النهاية عن موقف شعوري واحد، ففيها «خوف، وشكوى، وأنين، ومتاهات، وبكاء». وفيها «صفاء، وغناء، ولقاء، ورجاء...»

وفي القصيدة أيضا، تصوير فني بديع، يوحي بالحذر والرغبة، ويشعر باللذة والألم، لذة اللقاء، وألم الحرمان «لا تخافي من عيون المساء»، «نام على أرواحنا النجم»، «متاهات السماء»، «فراشات الرجاء»، «صدر البكاء».

وبحق إن الشاعر لديه ملكة تصويرية ثرية محلقة لا حدود لها.

والأبيات في جملتها، تنبئ عن شاعرية منتظرة، لو تعهدها صاحبها بالرعاية والعناية، ونمّاها وهذبها بالاطلاع على الأصول الفنية للشعر العربي في القديم والحديث، فإنه لو روعيت تلك الأصول بالإضافة إلى ما يملك الشاعر من موهبة، لأتى بما يُطرب الأسماع، ويبهر الأبصار، ويهز القلوب ويحرك المشاعر.

د. حسيني محمد حسن

الثلاثة الأولى جاءت القافية باءً مجرورة بالكسرة، بينما أتبعها ببيتين يلزم أن يكون حرف الرويّ منصوبًا بالفتحة، ثم عاد إلى قافيته الأولى. والبيت قبل الأخير اختلّ فيه حركة حرف الرويّ أيضا.

ويبدو في الأبيات بوضوح تأثره الشديد بقصيدة أبي القاسم الشابيّ، المشهورة:

إذا الشعب يومًا أراد الحياة

فقد أكثر الشابيّ من ذكر عناصر الطبيعة، وكذلك فعل الشاعر هنا.

وفي الأبيات عبارات تقلّل من وهج القصيدة وجمالها، كقوله: (وسرت إلى العلّ لا أنثني) فكيف السير إلى العلّ؟.

(وهمس التباب)، تعبير فيه ضعف. وكذلك كلمة (لا أنتثي) غريبة في استعمالها.

ونأمل أن يقويّ الشاعر ملكته الشعرية بالإقبال على دواوين الشعر، وبخاصة الشعر القديم، حتى تنضج موهبته، وتكتمل شاعريته، ونجد منه في المستقبل ـ بإذن الله ـ شاعرًا موهوبًا.

د. محمد جمعه عابد





موقف ابن حزم من المجاز

لقد كان من بين موضوعات العدد (٢٠٩) من مجلة الفيصل حوار مع الدكتور توفيق الفيل تضمن آراء متنوعة ومهمة، غير أنه قد جاء في إحدى إجاباته: «إن ابن حزم وهو معروف بأنه من الظاهرية أنكر المجاز. وعندما نقول: رأيت أسداً ونحن نقصد الرجل يكون حقيقة في الرجل»

ولعل هذا سهو من الدكتور توفيق خاصة أنه لم يحل في جوابه هذا على أي مصدر أو مرجع لابن حزم. وحتى لايقع بعض الطلبة وغير المتخصصين ضحية هذا السهو رأيت من اللازم التنبيه على ذلك معتمداً أقوال ابن حزم نفسه في هذه القضية.

وقبل ذلك أشير إلى أن هذا التنبيه لاينقص شيئًا من تلك الآراء القيمة التي تضمنها الحوار، وإن كان بعضها ـ بالطبع ـ يقبل المناقشة، والاختلاف في الرأي، وذلك ماينتج عنه التطور الفكري، والتقدم العلمي في ميدان البحث.

وقبل العودة إلى الموضوع بالذات أشير إلى أنَّ المنكرين للمجاز طائفة تتكون في معظمها من الفقهاء مثل: داوود الظاهري وابنه، وأبي إسحاق الأسفراييني وغيرهم، ولهم في ذلك حججهم، وليس هنا مجال بسطها والتعليق عليها.

أما ابن حزم فعلى الرغم من كونه ظاهريًا فهو من الأصوليين المثبتين للمجاز وله طريقة خاصة به في الاستدلال على ذلك كما سيتضح.

طريقة ابن حزم في إثبات المجاز:

يرى ابن حزم «أنه لانقل للفظ عن معناه إلا بدليل نص، أو إجماع، أو طبيعة»(١). فإذا وجد أحد هذه الأمور دل ذلك على أن اللفظ منقول عن موضعه في اللغة إلى معنى آخر، ولا نقل دون دليل، واللفظ المنقول نوعان:

١ـ منقول يتعبد به قولاً وعملاً، كلفظ الصلاة والزكاة والحج إلى آخر الألفاظ الإسلامية، فليس شيء من هذا يسمى مجازًا، بل تسمية صحيحة، واسم حقيقي لازم، وضعه الله تعالى.

٢ـ ومنقول يتعبد بعمله دون تسميته. فهذا هو المجاز وذلك كقوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ (الإسراء:٢٤) فإنها التعبد بالتذلل للوالدين وبرحمتهما دون إلزام بأن ننطق بجناح الذل بالضرورة حين التعبير عن ذلك.

وينتقل ابن حزم إلى دعوى الكذب في المجاز قائلا:

«واحتج من منع المجاز بأن قال بأنه كذب، والله تعالى ورسوله يبعدان عن الكذب» فيرد ابن حزم بأن الله منزه عن الكذب إلا أن نقل الله تعالى الاسم عما كان علقه عليه في موضع إلى موضع آخر ليس كذبًا. بل هو الحق بعينه.

ثم يعرض ابن حزم قضية المجاز في صورة منطقية مفترضًا أن الأسماء الموضوعة للمسميات إما عن طريق التوقيف، وإما عن طريق الاصطلاح، وفي كلتا الحالتين ليس هناك مانع يمنع الموقف الأول ـ وهو الله سبحانه وتعالى ـ أن ينقل ذلك الاسم إلى معنى آخر في مكان آخر، وعلى هذا فلا يكون هناك كذب ولا مدخل له في ذلك، «وإنما الكذب من نقل اسما عن موضعه في اللغة إلى معنى آخر يلبس به بلا برهان، وكذلك لو اصطلح اثنان على أن يسميا باسم ما مخترع من عندهما أو منقول عن شيء آخر يتفاهمان به لا ليلبسا به، فلا كذب»

بعد ذلك يضرب ابن حزم أمثلة للمجاز من القرآن الكريم ومن كلام العرب موضحا أن النقل ثابت بدليل عن طريق العقل ـ فقوله تعالى: ﴿جدارا يريد أن ينقض﴾ (الكهف:٧٧).

«تدعو الضرورة العقلية الى القول فيه بالمجاز لأن الإرادة لاتكون عقليا إلا لذي ضمير حي. هذه هي الإرادة المعهودة التي لايقع اسم الإرادة في اللغة على سواها» ولما وصف الله تعالى بها الجدار علمنا يقينا أنه تعالى نقل الإرادة عن مكانها إلى ميلان الحائط، فسمى الميل «إرادة».

ويشير ابن حزم إلى أن هذا النقل لاينفي الإطلاق الأصلي وهذا شيء واضح من تعريف المجاز.

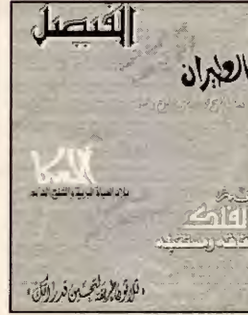
وهكذا ترى أن ابن حزم يتميز عن بقية الظاهريين بالقول بالمجاز وبطريقة خاصة في إثباته.

الحسن بن عاشر
مراكش ـ المغرب

الهوامش:

١ـ هذه الآراء ملخصة من كتاب ابن حزم «الإحكام في أصول الأحكام. المجلد الأول ج٤ ص ٤١٩ ـ ٤٣١.

هل نحقق التوازن الحضاري؟



قرأت في العدد (٢١١) المقالة الافتتاحية لرئيس التحرير الدكتور زيد بن عبدالمحسن الحسين بعنوان «العلوم التطبيقية والتوازن الحضاري»، والتي ينبه من خلالها إلى خطر إهمال المسلمين العلوم التطبيقية والتجريبية، واعتمادهم الرئيس على مايبدعه غيرهم من أبناء الأمم الأخرى.

فالمتتبع اليوم لحالة النهوض العلمي والتقدم الحضاري في العالم لايحتاج إلى المزيد من الجهد والعناء ليلاحظ الفارق الكبير في التفوق بين الأمم الأخرى والأمة العربية والإسلامية. فشتان مابين الأمس واليوم!

ففي الوقت الذي كان فيه الصراع على أشده في العالم الغربي بين العلماء ورجال الكنيسة الذين رفضوا كل إنتاج علمي يخالف تصورهم للكون، وصادروا حرية الفكر، وحجّموا الإبداع العلمي، وعرضوا العلماء إلى صنوف التعذيب، وأجبروهم على التخلي عن آرائهم؛ كان الدين الإسلامي الحنيف - في مقابل ذلك - يحث على طلب العلم حتى جعله فريضة على كل مسلم ومسلمة وهناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي حثت على طلب العلم، وبينت فضله، فقد جاء في محكم التنزيل: ﴿ وقل رب زدني علما﴾ (طه ١١٤)، وقال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة ١١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة».

فالإسلام الذي كفل حرية الفكر لكل إنسان، وعمل على إذابة الفوارق بين الناس، كان محركاً لكوامن الإبداع في النفس البشرية، حتى استطاع رجاله تسجيل صفحات مضيئة في تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، نقلت المجتمع من حياة الجهل والتخلف والفرقة إلى حياة التقدم والإبداع في مجالات الحياة الفكرية والعلمية كافة. لقد ارتقى العرب والمسلمون إلى مافوق المحسوسات، إلى ذورة العلوم البحرية والفلكية، ليضعوا الأسس العلمية التي كانت بمثابة حجر الزاوية لما يسمى بالتجاذب الكوني، وخاصة في عمليتي المد والجزر البحريتين وارتباطهما بحركة القمر ومهب الرياح والاستعانة بالنجوم والكواكب لتحديد خط السير ليلاً والاستعانة بالشمس نهاراً، وقياس المسافات ومعرفة حالة الطقس، وميزوا بين التنجيم والفلك، فبنوا المراصد وزوّدوها بأجهزة فلكية دقيقة، وأدخلوا على الاسطرلاب تعديلات جوهرية ضاعفت من فائدته في رصد الكواكب والنجوم، ولاتزال معظم النجوم تحتفظ بأسمائها العربية.

وتقدم على أيديهم فن تشخيص الأمراض ومعالجتها، وطوروا علم الجراحة والتشريح، وكانوا أول من استخدم المخدر في العمليات الجراحية، ووصف الطبيب ابن النفيس أول مرة في تاريخ الطب الدورة الدموية الصغرى، وبيّن أن الدم ينقى في الرئتين، وذلك قبل علماء أوربة بثلاثة قرون. ونظم العرب علم الصيدلة واعتمدوا فيه على الكيمياء والنباتات الطبية في تركيب الأدوية، كما اخترعوا علم الجبر برموزه ومعادلاته وربطه بالأشكال الهندسية.

وبالنسبة للميكانيك فكانوا يسمونه علم الحيل، شرحوا فيه كيفية صعود مياه الغوارات إلى أعلى، وابتكروا الساعة المائية الدقاقة، وتطرقوا إلى بحث الجاذبية الأرضية والمغناطيس. أما في الفيزياء فقد عللوا الصدى، وبرعوا في علم البصريات والضوء.

كما فتح العرب آفاقاً جديدة في تطبيق الرياضيات على الفلك، وهم أول من أوجد طول درجة من خط نصف النهار، وأول من عرف أصول الرسم على السطح الكروي، وقالوا بكروية الأرض، ودورانها حول محورها.

إنه غيض من فيض مما قدمه العرب والمسلمون لخدمة الحضارة الإنسانية، ويؤكد المستشرق هول سيدفا أن العرب سبقوا الأوربيين في أكثر الاكتشافات التي نسب الأوربيون اكتشافها لعلمائهم في الرياضيات والفلك والعلوم الأخرى. وقد عمد الاستعمار إلى محاربة الحضارة العربية والإسلامية عن طريق البعثات التبشيرية أحياناً واستعمال القوة أحياناً أخرى.

هذه الأمة ذات التاريخ الحافل بالأمجاد والإبداعات من خلال ماقدمته خدمة للحضارة الإنسانية؛ أليس بإمكانها أن تستعيد مكانتها بين الأمم الأخرى؟! ولكن لاستعادة مجد الحضارة العربية والإسلامية وعزها وقوتها ومكانتها،

يجب على كل إنسان منا أن يتطلع إلى النهوض الحضاري في العالم العربي والإسلامي، وأن يسلك طريق التقدم والنهضة. فهل نحن فاعلون؟ هذا مانتمناه.

وفي الختام كل الشكر والتقدير للدكتور زيد بن عبدالمحسن الحسين الذي يتطرق -كعادته دائماً- إلى مثل تلك القضايا المهمة في تاريخ الأمة، وعساها أن تكون دعوة ليقظة الوجدان في نفس كل إنسان، لنسهم جميعاً في خدمة الحضارة العربية والإسلامية وتطويرها حتى نحقق نوعاً من التوازن الحضاري مع الأمم الأخرى.

عبدالرزاق زعال
الحسكه - سورية

«لاتعذليه» الزريقية ليست يتيمة



لقد كنت من أشد الناس إعجابًا بقصيدة ابن زريق البغدادي (لاتعذليه) وإبداعه الفني في هذه الغراء البديعة، التي نالت إعجاب القدماء من الأدباء والمؤرخين، فأثنوا عليها ثناء عطرًا، ووصفوها وصفًا جميلاً، ولاقت منهم استحسانًا عظيمًا، وانكب عليها الأدباء المحدثون درسًا وتحليلاً يوضحون مميزاتها الفنية وسر إعجاب المتقدمين بها، ويذكرون المناسبة التي دعت ابن زريق إلى قولها وإنشائها؛ ومن ذلك مقالة أستاذنا الدكتور محمود الربداوي التي نشرتها مجلة الفيصل في العدد (٢١٤) بعنوان (قصة قصيدة: لاتعذليه) لابن زريق البغدادي. ولقد شدني إلى هذه المقالة جمال العرض والأسلوب واللفتات النقدية البارعة.

وكان اهتمامي بهذا الشعر كبيرًا، فلم يصدر كتاب قديم أو حديث فيه ذكر لهذا الشاعر البائس المضيع إلا قرأته، وسجلت كل نبذة عنه وكل خبر يحكي قصة حياته، وكل إشارة إليه أو إحالة على شعره حتى اجتمع لدي قدر صالح من المصادر التي ترجمت له وجاءت على ذكر خبره والمناسبة التي دعته إلى قوله هذه القصيدة.

والحق إنّ جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ليس أول من توسع في خبر قصة القصيدة «وأضفى عليها مسحة درامية» كما يقول أستاذنا الدكتور في مقاله، فقد سبق إلى ذلك السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ج١/ص١٦٤، وساق تمام القصة العجيبة ناقلاً الخبر عن ابن السمعاني بسنده «أن رجلاً من أهل بغداد قصد أبا عبدالرحمن الأندلسي وتقرب إليه بنسبه، فأراد أن يبلوه ويختبره فأعطاه شيئًا نزرًا، فقال البغدادي: إنا لله وإنا إليه راجعون سلكت البراري والقفار والمهامه والبحار إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء النزر، فانكسرت إليه نفسه فاعتل ومات. وشغل عنه الأندلسي أيامًا ثمّ سأل عنه، فخرجوا يطلبونه، فانتهوا إلى الخان الذي هو فيه، وسألوا عنه الخانية، فقالوا: إنه كان في هذا البيت وقد أمسى إليه ولم نبصره، فصعدوا إليه فدفعوا الباب فإذا هو ميت وعند رأسه رقعة مكتوب فيها:

لاتعذليه فإن العذل يولعه
قد قلت حقًا ولكن ليس يسمعه

وذكر أبياتًا من القصيدة غير تامة... فلما وقف أبو عبد الرحمن الأندلسي على هذه الأبيات بكى حتى خضب لحيته وقال: «وددت أن هذا الرجل حي وأشاطره نصف ملكي» وكان في رقعة الرجل «منزلي ببغداد في الموضع الفلاني المعروف بكذا والقوم يعرفونه بكذا» فحمل إليهم خمسة آلاف دينار وعرفهم موت الرجل٤٢١هـ.

وفي كتاب نفح الأزهار في منتخبات الأشعار جمعه شاكر البتلوني وضبطه وصححه الشيخ إبراهيم اليازجي مقدمة موجزة وضعها بين يدي القصيدة يحكي فيها مناسبتها «لأبي الحسن علي بن زريق البغدادي، وكانت له ابنة عم قد كلف بها أشد الكلف، ثم ارتحل عنها من بغداد لفاقة علته فقصد أبا الخيبر عبد الرحمن الأندلسي ومدحه بقصيدة بليغة فأعطاه عطاء قليلاً ثم يسوق الخبر الذي أورده السبكي في طبقات الشافعية»وأكبر الظن أن جرجي زيدان قد اقتبس القصة من هذين الكتابين نفح الأزهار وطبقات الشافعية ولم يكن متوسعًا من تلقاء نفسه كما يفهم من عبارة أستاذنا الدكتور.

وكما اضطرب الأدباء والمحققون في نسبة بعض أبيات القصيدة إلى ابن زريق اضطربوا أيضًا في اسمه وأصل موطنه فقد ذكر صاحب كتاب «الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب» للحافظ حسين ماكولا ما يلي:

«أما الزريقي بتقديم الزاي وضمها وفتح الراء فهو شاعر شامي يعرف بالزريقي مشهور بأبيات منها:

وكم تشفع لي أن لا أفارقه
وللضرورة حال لا تشفعه

قلت: وجدت في هامش كتاب الإكمال لمحققه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني أمين

مكتبة الحرم المكي قوله:

«هو أبو الحسن علي بن زريق كذا سماه بعضهم، وذكر أنه بغدادي وفي قصيدته:

استودع الله في بغداد لي قمرًا
بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

مايثبت ذلك

وحقًا ماذكره الدكتور الربداوي في مقالته من أن قلة من الأدباء عنوا بهذه القصيدة ، وقد جمعت أثناء اهتمامي بهذا الشاعر ماذكره الأستاذ فؤاد سزكين في كتابه الكبير تاريخ التراث العربي مجلد٢/جـ٥ من الشروح التي وضعت على هذه القصيدة وهي:

١ـ شرح لعلي بن عبدالله العلوي بعنوان «إشارات التحقيق الفيضية إلى خبايا القصيدة الزريقية» يوجد مخطوطًا في برلين.

٢ـ فكاهة ذي الفطن في شرح عينية أبي الحسن لولي الدين يكن. طبع في القاهرة

وقد قام بتخميس القصيدة:

١ـ شهاب الدين أحمد الباعوني ويوجد مخطوطا في برلين.

٢ـ طه أفندي أبو بكر بعنوان «بث الشجن على عينية أبي الحسن» طبع في القاهرة

ولما وقفت على ذلك في كتاب سزكين بادرت إلى طلب المخطوطة التي تضم شرحًا للقصيدة الزريقية والمخطوطة التي تضم تخميس الباعوني، ولقد وجدت في إحدى الأوراق المصورة عن مخطوطة القصيدة الزريقية المرسلة إليّ من برلين أبياتًا نادرة لأبي العباس الواسطي عارض فيها صاحبها قصيدة ابن زريق وهي طويلة ولاتقل جودة عنها:

يروم صبرًا وفرط الوجد يمنعه
وسلوةً ودواعي الشوق تردعه
إذا استبان طريق الرشد واضحةً
عن الغرام فيثنيه ويرجعه
مشحونة بالجوى والشوق أضلعه
ومفعَم القلب بالأحزان مترعه
تُصبيه إنْ هتفتْ ورقاءُ ساجعةً
في كل يوم لها لحن يُرجّعه
لإلفها نازح تنهلُّ أدمعُه
عليه وجدًا كما تنهلُّ أدمعُه
عاثَتْ يدُ البين في قلبي تمزّقه
على الهوى وعلى الذكرى توزعه
كأنما آلت الأيامُ جاهدةً
لَمّا تبددّ شملي لاتجمعه

وقد كنت أتساءل بيني وبين نفسي هل يعقل أن تكون لابن زريق قصيدة واحدة فحسب، حتى قرأت في كتاب الأستاذ سزكين وهو يترجم للشاعر أثرًا آخر غير هذه القصيدة، وقد قمت بطلب القصيدة من مكتبة برلين الوطنية فجاءتني نسخة مصورة عنها مع القصيدة الزريقية، وقد أرسلتها قبل الغزو العراقي إلى مجلة معهد المخطوطات العربية في الكويت رجاء نشرها فيها، ولكن المد الأسود أضاعها كما أضاع كثيرا من الأشياء النفيسة ولم أحتفظ بصورة عنها والقصيدة التي ذكرها الأستاذ سزكين بعنوان «رثاء ديك» يبث فيها ابن زريق زفرات صدره حزنًا وأسى على هذا الديك، ويصور خطبه ومصابه فيه، وهي قصيدة طريفة نادرة. وأعد القراء إن وفقني الله في الحصول عليها مرة ثانية أن أنشرها بين أيديهم.

وفي كتاب تاريخ الأدب العربي لبروكلمان جـ٢/ص١٦٤ ترجمة موجزة أشد الإيجاز لابن زريق يختمها بقوله: وله أرجوزة في الأخلاق موجودة في برلين تحت رقم ٥٩:٣ .

ولما طلبت صورة عن الأرجوزة من مكتبة برلين جاءني الرد بأن إحالة الأستاذ بروكلمان على الأرجوزة غامضة وغير دقيقة ولم نعثر عليها تحت الرقم الذي ذكر.

وليت الباحثين والمهتمين بنشر التراث يبحثون عن هذه الأرجوزة فيكون بين أيدينا لهذا الشاعر ثلاث قصائد هي:

الأندلسية ـ رثاء ديك ـ أرجوزة في الأخلاق. فلاتبقى عندئذ قصيدة «لاتعذليه» يتيمة والله الموفق.

عبد الهادي عبد العليم صافي
السالمية ـ الكويت

واقع العملية التربوية التعليمية : هموم وتساؤلات



لقد حملت إليّ مجلة الفيصل الغرّاء، منبر الفكر الحرّ الأثيل في العدد «٢١٥» بادرة طيّبة، هذه البادرة برأيي هي ذلك الاهتمام العميق الذي وجد طريقه إلى فكر المدرِّسة فادية العمر والأستاذ سعد مهدي بني هميم وقبلهم الأستاذ عبد اللطيف جلاب في العدد «٢١٤» وكم سعدت بهذه المناقشة، والتي أرجو من الله تعالى أن تؤتي أكلها وثمارها، إذ إننا بالمناقشة الحرة وبالنقد البنّاء، نتقدم ونتطور، ونرقى بأمتنا إلى النجوم، فطوبى للنقد البنّاء.

والآن، أرى أن الحديث حول العملية التربوية استقبل بحفاوة بالغة، فاستمال القلوب وأذكى القرائح وفجّر ينابيع الحرص والغيرة، فأصبح الحديث بعد ذلك؛ كلّه ذا شجون. والحقيقة التي أراها كالشمس في كبد السماء واستنتجتها من خلال هذا الحديث، أننا جميعًا متّفقون على شيء واحد، ألا وهو الطفل، مستقبلنا الذي نعقد عليه الآمال، ونبذل في سبيله الغالي والرخيص، وإنني أشكر الأستاذ سعد مهدي حرصه الشديد على فلذات أكبادنا فيما كتب،

كما أشكر المدرِّسة فادية العمر حرصها أيضًا على أطفالنا، ولكنّي أود أن أوضح لها بعض الأمور التي غابت عنها حين قرأت موضوعي.

أولا: إنني لم أقل بمنع المرأة من التدريس، إذ إن وجودها إلى جانب الرجل في حقل التدريس يعكس آثارًا إيجابية في نفوس التلاميذ والطلاب، ولكن الذي أتمناه أن نختار المدرِّسين الأكفياء - من الجنسين - للتدريس في المرحلة الابتدائية الأولية. وأرى أن طرح الأستاذ سعد مهدي فيما يخص تكريم المدرس الجامعي وترفيعه لكي يقوم بالتدريس في المرحلة الابتدائية خير طرح، حيث لا يخفى الهدف من ذلك:

أ- الثقافة تختلف بين خريجي الجامعات وخريجي المعاهد.

ب - فارق الخبرة شاسع وطبعًا لصالح خريجي الجامعات.

ثانيا: أرجو لو أن فادية العمر كانت منطقية وموضوعية في كلامها، فكلنا يعرف كيف تجري العملية التربوية التعليميّة في بلداننا العربية، ويكفي أن نقول: إنها تجري من وراء الظهر، وما قلته عن المعلم لايخالف الواقع البتة، بل إنّني أصبت عين الحقيقة ووضعت يدي حيث الداء، إذ إن التعليم بالنسبة للمعلم لا يشكل أي أهمية، وذلك بسبب الدخل غير الملائم والذي لايكفيه لتغطية تكاليف الحياة في عصرنا هذا، مما يدفعه إلى البحث عن عمل آخر.

وما يحز في النفس أن الواقع المادي البائس الذي يعيشه المعلم يدفعه - على الرغم من وعيه وإدراكه لقيمة العلم - إلى فعل أمورٍ هي أقرب ما تكون لفعل إنسان متخلف، فكثيرٌ من المعلمين يجبرون أولادهم على ترك الدراسة، كي يعملوا أعمالاً حرة يجلبون منها المال. بل إنني أؤكد أن المعلمين في الوطن العربي - وفي الأغلب الأعم - يعملون إلى جانب التدريس أعمالاً أخرى تكفيهم العوز والحاجة.

لنتخيل بعد هذا أيّ وضعٍ تعليمي تعيشه أقطارنا العربية؟؟؟

فمن هو المسؤول؟

لاشك في أن الدولة في كثير من بلداننا أحد مسبّبات هذا التدهور الحاصل للعملية التربوية إذ إنها، أولاً: يجب أن توفّر للمعلمين قدرًا أوفى من الحياة الكريمة، كي يكون العطاء متميّزًا، فتموت السلبية التي وُسموا بها، وتنتهي اللامبالاة، والتي أصبحت شعارًا لهم، يعبّرون من خلالها عن الرفض التام لواقعهم المادي البائس.

على أنه لو وجد الناظم لمؤسساتنا التعليمية، لما احتجنا إلى الكلام، والناظم المقصود هو النقد، ولكن أنّى للنقد أن يأخذ طريقه في البناء، حينما ينعدم الإحساس بالمسؤولية لدى الكثيرين، ممن لايدركون فداحة الخطب جرّاء استهتارهم ولامبالاتهم، وهذا ما سيعود بالآثار السلبية على الطفل والمجتمع والأمة.

ثالثًا: في كثيرٍ من الأقطار العربية أصبح التعليم الابتدائي بالذات حكرًا على المرأة، ولطغيانها هذا مساوئ كثيرة نذكر منها:

أ- عدم توافق الحاصل بين عمل المرأة كمدرسة وبين بيتها، وما لهذا الأمر من نتائج سلبية خطيرة تنعكس على الأطفال بشكل خاص وعلى الحياة الاجتماعية بشكل عام.

ب - ثمة آلاف مؤلفة من خريجي الجامعات العربية ليس لديهم عمل، وحريٌ بنا أن نوجّه أفكارنا نحو هؤلاء، فنستفيد من طاقاتهم الهائلة، وهذا بحد ذاته مكسب كبير للأمة ولمستقبلها، وإلا فإن الخسارة ستكون فادحة، وأقصد بالخسارة هجرة هؤلاء الخريجين «أصحاب العقول والكفاءات» إلى البلدان المتقدمة، وهنا الطامة الكبرى في جميع النواحي علمية - ثقافية - اجتماعية - اقتصادية.

والذي أراه كما يراه كثيرون، هو إلغاء معاهد المعلمين، التي لم تعد تنفعنا في عصر الثورة المعلوماتية، ما لم تواكب هذه الثورة ومتطلّباتها، واستبدال معلمي هذه المعاهد بخريجي الجامعات. إذ إننا يجب أن ندرك ونعي أن قطاع التعليم هو القاعدة التي تُبنى عليها الدولة، فمن هذا القطاع تتخرج العقول والكفاءات والخبرات، رافدةً كل قطاعات الدولة، والمصيبة الكبرى حين لاتهتم بهذا القطاع.

لنتخيل رسامًا ليس لديه من الألوان أي لون، تُرى كيف سيرسم لوحته؟

نعم إن قطاع التعليم بالنسبة للدولة كمجموعة الألوان بالنسبة للرسام، فالاهتمام بالقاعدة، هو في الوقت ذاته اهتمام بالبناء كاملاً.

جـ - أرجو ألا يفهم من الكلام ظاهره فقط، فالقضية التي نحن بصددها، ليست قضية معلمين ومعلمات ولاهي قضية منع المرأة من التدريس أو السماح لها بذلك، بقدر ماهي قضية طفل هو مستقبلنا وأملنا، وبقدر ما هي قضية وجودنا كأمة تتكالب الأمم جميعًا للقضاء عليها، ومحوها من الوجود رغم تفرّقها!

وبعد:

حريٌّ بنا ونحن ندق أبواب القرن الحادي والعشرين، في ظل هذا التطور التقني المذهل، وخصوصًا ثورة المعلومات والاتصالات، ومايرافقها من تطورات اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية.. بل وظهور قيم ومفاهيم جديدة للحياة والثقافة. حريٌّ بنا أن ندرك خطورة الوضع التعليمي في بلادنا، بدءًا من القاعدة الأساس «رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية» وصعودًا حتى التعليم الجامعي وما بعده. والذي يُعوزنا بحق، رؤية جديدة شاملة للعملية التربوية التعليمية، وأؤكد أن ذلك لن يتم إلا بتكاتف الجهود العربية كافة، ولن نستطيع الوقوف أمام التحديات التي تواجه أمتنا، كما لايمكننا درء الأخطار المحدقة بنا، ما لم ننتقل من دائرة القول إلى دائرة الفعل، ما لم نحل التناقضات العربية الداخلية كافة.

فهل آن لنا أن نعي دروس تاريخنا؟ وما أطول تاريخنا وما أكثر عبره وعظاته!!

هل آن لنا أن نتعلم من تجارب الآخرين، سواء في التعليم أو في غيره؟

إنها ليست تساؤلات بقدر ماهي هموم نطرحها على مائدة البحث والنقاش.

قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿إن الله لايغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد١١) فهل نتعظ ونعتبر؟؟

عبد الغفور الخطيب
دمشق - سوريا

الأخ د. محمد إدريس السند - سند - باكستان:

يمكنك مكاتبة دار المعلمي للنشر وعنوانها (ص.ب ٦٨٣٧ الرياض ١١٤٥٢) بشأن كيفية الحصول على كتاب «الأعلام في القرآن» للأستاذ يحيى المعلمي، ونحن على ثقة بأنك ستجد الاستجابة والعون إن شاء الله، مع التمنيات لك بالتوفيق في نشر كتابك «الأعلام في القرآن الكريم» باللغة السندية، نفع الله به دينه.

الأخوة نعمان مصطفى - الحراش - الجزائر، عبد اللطيف بكوش - ولاية سبكرة - الجزائر:

الملاحظات الخاصة بالاشتراك السنوي تجدها منشورة في أسفل هذه الصفحة، ويمكنك إرسال قيمة الاشتراك بالريال السعودي أو الدولار. ونأسف لعدم إمكاننا الاستجابة للطلبات التي ترد بشأن الحصول على اشتراك مجاني.

الأخ أحمد يحيى عسيري - ثانوية تحفيظ القرآن الكريم - نجران:

نشكر لك ولصديقك الذي نصحك بمراسلة «الفيصل» ثقتكما الكبيرة، آملين أن نكون عند حسن ظنكما وظن الأخوة القراء على امتداد عالمنا الإسلامي وخارجه إن شاء الله وبالنسبة للكتب التي طلبتها، فإننا نعتذر لك عن عدم إمكاننا إجابة طلبكم، ولكن سوف نرسل لك بعض أعداد المجلة التي تناولت الشعراء الثلاثة الذين تودّ معرفة معلومات عنهم، ونحن نأمل أن تفيدك هذه المعلومات في مرماك الذي تسعى إليه. مع التمنيات لك بالتوفيق إن شاء الله.

الأخ دريزة ياسين - الشلف - الجزائر:

نشكر لك اهتمامك وثقتك بالمجلة، ونفيدك أن القسيمة التي أرسلتها خاصة بمسابقة «الفيصل» الشهرية، إذ لا باب للتعارف في المجلة.

الأخت فاتن عودة الخالدي - جدة:

أحلنا رسالتك إلى قسم الاشتراكات لإجراء اللازم، وثقي أن المجلة دائمًا صادقة مع قرائها الكرام.

الأخ محمد أحمد بن محمد الشنقيطي - مكة المكرمة:

نشكر لك إعجابك بمقالة رئيس التحرير «الوطن في عيون الآخرين»، والمجلة في إطار اهتمامها بتعريف القارئ بعالمه العربي والإسلامي حريصة على نشر استطلاعات مصورة عن بلدانه، ونأمل أن نوفق في القريب في نشر استطلاع مصور عن موريتانيا.

الأخ العلمي عبد المالك - الجزائر:

كنا نود إرسال بعض الأعداد من المجلة إليك، علمًا بأن الاشتراك المجاني ليس في الإمكان نظرًا لكثرة الطلبات التي ترد إلى المجلة بهذا الشأن. والمهم أنك نسيت أن تكتب عنوانك في الخطاب، وعلى الظرف أيضًا، فنأمل أن تعرفنا عنوانك في رسالة قادمة حتى نبعث إليك ببعض أعداد المجلة.

الأخ حسام أغا - دمشق - سوريا:

نشكرك على ثنائك، والمجلة يهمها كثيرًا معرفة آراء قرائها في الخطوات التطويرية التي تتخذها، لأن القارئ يمثل الناقد الأساس الذي يستطيع تحديد الإيجابيات والسلبيات من خلال متابعته الدائمة للمجلة، فمرحبًا بآراء القراء واقتراحاتهم، وشكرا لك مرة أخرى. ونفيدك أن بعض أعداد المجلة في الطريق إليك إن شاء الله.

الأخت هالة سيد علي - الخرطوم - السودان، الأخوة سعيد رابح،

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢- ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣- حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

خالد إبراهيم ـ الجزائر،
هاني عبدالرحمن ـ القاهرة ـ مصر.:

نشكركم على ثقتكم ونعتذر عن عدم قدرتنا على تلبية طلباتكم الخاصة بإرسال كتب ومجلات إليكم، ويسعدنا في الوقت نفسه أن نرسل لكم بعض أعداد المجلة المشار إليها في رسائلكم.

الأخ ظافر محمد عبدالله الأحمر ـ قرية الجفر ـ أبها:

أحلنا رسالتك إلى قسم الاشتراكات الذي سيتولى الرد على استفسارك، وسوف نبعث إليك بعضًا من أعداد المجلة.

الأخ التلميذ الصغير زرقط أحمد فؤاد ـ ولاية الجلفة ـ الجزائر:

سنحاول إرسال بعض صور البقاع المقدسة إليك، أما القصص والمجلات التي تطلبها فليس في إمكاننا أن نوفرها لك، ولكننا سنبعث إليك بعضًا من أعداد المجلة، فمرحبا بك صديقا للمجلة. وتمنياتنا لك بالتوفيق في دراستك، وليتك تبعث بمثل الرسم الجميل الذي أهديته إلى المجلات الخاصة بالأطفال والشباب، والتي تحرص على إبراز مواهبهم.

الأخ عبد الله علي حسن الحرز ـ الجبيل:

ستصلك أعداد المجلة دون تأخير حين ترسل قيمة الاشتراك للمدة التي تريدها، وهي موضحة أسفل هذه الصفحة، ونشكرك على تحيتك الرقيقة للمجلة.

الأخ بودرقة مولاي ـ المغرب:

المعلومات التي تود معرفتها عن المعهد الإسلامي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الامكان أن تستفسر عنها من المركز الإعلامي التابع للسفارة السعودية في الرباط، وكذلك يمكنك مراسلة الجامعة مباشرة في الرياض، أما عدد المجلة الذي طلبته فسوف يصلك قريبا إن شاء الله.

الأخ ياسر محمد الهادي ـ ولاية الجزيرة ـ ود مدني ـ السودان:

نشكر لك إطراءك المجلة، ونحن فخورون أن المجلة تصل إلى مدينتك شهريًا دون تأخير، ونأمل أن تصلنا أراءك وآراء أصدقائك في الخطوات التطويرية التي تخطوها مجلتكم، أما أعداد المجلة التي فزت بها في المسابقة فسوف تُرسل لك على عنوانك الجديد.

الأخ مغلوط محمد ـ بلدية هيليوبوليس ـ ولاية قالمة ـ الجزائر:

أحلنا رسائلك إلى قسم الاشتراكات الذي سيتولى الرد على استفساراتك، أما عناوين المجلات التي طلبتها فيمكنك الحصول عليها من المركز الإعلامي في عاصمة بلدكم.

الأخت فتحية جمعه عبد الله ـ البلاد القديم ـ البحرين:

نحييك على أمانتك، وبما أنه لا يد لك في الخطأ الذي وقع حين أرسلت إليك أعداد زائدة عن الأعداد المقررة كجائزة للمسابقة التي فزت بها، فإننا نعفيك من دفع قيمة الأعداد الزائدة، فنأمل أن تقبليها كهدية من المجلة تقديرًا لأمانتك . ويسعد المجلة أن يكون قراؤها على هذا المستوى من الأمانة والحرص على إعادة الحقوق لأصحابها.

الأخوة سليم عثمان ـ الخرطوم ـ السودان، سعيد خلفان ـ سلطنة عمان، أسامة صالح ـ نيويورك ـ أمريكا:

نرحب بآرائكم، ولايخفاكم أن هناك بابا جديدًا في المجلة بعنوان «تباشير» يُعنى بنشر الإنتاج الأدبي للمواهب الناشئة مع تقويم له بقلم أحد كبار النقاد حتى يستفيد الأديب الناشئ الذي يتلمس طريقة إلى ساحة الإبداع من الملاحظات والنقد الموجه لإنتاجه، لأن التوجيه والإرشاد للناشئة يضيء الطريق، ويجعل خطاه أكثر ثباتا ورسوخًا، فمرحبًا بإنتاجهم وإنتاج كل من يأنس في نفسه الموهبة، على أن يرفق مع إنتاجه سيرته الذاتية.



العنوان

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ -
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

الأسعار:

السعودية ٨ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسا ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسًا ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٢٥ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٣ جنيهات ـ المغرب ٦ دراهم ـ تونس ٦٠٠مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٢٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنكًا ـ لبنان مايعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

دعه يلعب!



د. علي شلش

زرت مُتحفًا صغيرًا عجيبًا في لندن. ومع أنني أقيم في هذه المدينة الكبيرة الكئيبة منذ سنوات كثيرة فلم أسمع بهذا المتحف العجيب من قبل. وقد سمعت عن متحف للقطارات وآخر للجيش وثالث للبريد، ولكني لم أسمع عن متحف للعب الأطفال. وليس من السهل أن تسمع عن هذا المتحف مالم يكن عندك أطفال يسمعون عنه من مدرسيهم أو زملائهم في المدرسة.

هكذا سمعت بمتحف لُعب الأطفال، وكان عليّ أن أصحب طفلتيّ لزيارته في يوم عطلة رسمية، وهو اليوم الذي يزداد فيه زبائنه وعائداته.

وهذا المتحف الصغير العجيب يشغل بيتًا كبيرًا قديما في وسط لندن، وتمتد معروضاته فتشمل طابقا تحت الأرض وحديقة خلفية. أما زبائنه فلايقتصرون على الأطفال بالطبع، لأن كل طفل يصحب ـ أو تصحبه ـ أسرته. ومع أن المتعة الحقيقية مخصصة لهذا الطفل بالطبع فهي مُعْدية أيضًا، تنتقل عدواها بسرعة من الصغير إلى الكبير. وأعترف بأنني استمتعت بالساعات التي قضيتها مثلما استمتعت طفلتاي وأمهما. والفرق الوحيد بيني وبينهن هنا هو أنني أسجل متعتي بالكلمات وأعبر عنها كتابة.

معروضات المتحف تسجل بدورها صورة صادقة لتطور لعب الأطفال في بريطانيا منذ القرن الثامن عشر، وهذا أقدم تاريخ للُعب التي استطاعوا المحافظة عليها. ولاشك أن القرون التي سبقت القرن المذكور لم تخل من لعب الأطفال، ولكن التفكير في المحافظة عليها لم يكن موجودا. ولو كان موجودا لرأينا لعبا من عهد الرومان الذين غزوا إنجلترا سنة ٤٣م. وأبرز صور التطور في المعروضات التي شاهدتها هو الزيادة التدريجية لدور الآلة في صناعة لعبة الطفل، وتقلص دور اليد في هذه الصناعة. وخرجت من جولتي بانطباع خلاصته أن الآلة حرمت اليد من لمساتها الأصيلة وحيويتها. وكلّما وقفت أمام نموذج لعروس من القطن أو الخشب أخذت أقارنها بالعروس البلاستيكية «باربي» أو «سيندي»، فأشعر بالحزن على الحرفة وأرثي لحال الصناعة.

والحرفة معناها الفن، والفن معناه اليد والتشكيل اليدوي، ولكن الصناعة معناها النمط، والنمط معناه القالب، والقالب معناه الإنتاج الكبير الأعمى. وإذا كان الحرفيُّ القديم صنع القالب بدوره فقد كان أيضًا يتولى عملية الإنتاج من الألف إلى الياء. أما الصانع الحديث فقد صنع النمط والقالب ثم اختفى، وتولت الآلة باقي العملية.

ومع ذلك فالآلة لها مزاياها بلاشك، حتى في صنع لعب الأطفال. وأول مزية هي التنوع الهائل في المصنوعات والسرعة الكبيرة في إنتاجها. ولو قارنت بين لعب القرن الماضي ولعب هذا القرن في متحف اللعب لاتضح لك أن أطفال القرن العشرين محظوظون، وأن أطفال النصف الأخير منه محظوظون أكثر، لأن الآلات ذاتها تطورت كثيرًا.

ولكن، وآه من «لكن» هذه، ألم يكن أطفال القرن الماضي وماقبله من قرون محظوظين أيضًا؟ ألم يكن لكل منهم لعبة تختلف عن لعبة أخيه، حتى إذا كانت في الحالتين حصانا من الخشب، وحتى إذا كان الحصانان من صنع حرفيّ واحد، أقصد من صنع يد واحدة؟

ولكن، مرة أخيرة، هل يدري الطفل الفرق بين صنعة اليد وصنعة الآلة؟ لماذا نفرض عليه مزاج الكبار مادام سعيدًا بلعبته، سواء صنعتها اليد أو خرطتها الآلة؟

دعه يلعب، ودعنا نستمتع بشراء لعبه. وهذا أفضل من التفلسف. أليس كذلك؟.

ـ من مجموعة المقالات التي خص بها الكاتب ـ رحمه الله ـ «الفيصل» قبل وفاته بشهرين.